

حقائق الإيمان

حوى عدة مسائل مهمة

ذات فوائد جمّة

لمؤلفه العلامة

الشيخ يوسف الفقيه

بسم الله الرحمن الرحيم

الله احمد على جزيل قسمه، وسوابغ نعمه، واياه اسأل أن
يخص سيدنا محمد وآله بأفضل صلواته، واسنى تحياته وبركاته،
وبعد فإني ذاكر في هذا الكتاب جملة من المسائل التي لا يسع
احدا جهلها وإن تمدينا موضوعها فلحاجة موجبة أو طلبا لفائدة
وقدسميته (حقائق الإيمان) ومنه سبحانه استدالتوفيق والمعونة

مسألة

ذهب فريق من الناس إلى انه لا أول لهذا العالم ولا آخر
له ونعني بالعالم السماء والأرض وما فيهما من الموجودات وأنه
ما تحرك الفلك بحركة الا وتحرك قبلها حركة لا إلى بداية
وسيتحرك بعد كذلك لا إلى نهاية وأنه لا ليل إلا وقبله
نهار ولا نهار إلا وقبله ليل ولا إنسان إلا من نطفة ولا نطفة
إلا من إنسان وهكذا سائر الموجودات لم تنزل تتعاقب ليس
لما مضى منها أول ولا لما يأتي منها آخر وهو لا هم المعروفون
بالدهرية، ومنهم فرقة قالت بوجود الصانع وأن هذا العالم من
صنعه والتزموا بقدم الصنعة والذي يجب التصديق به هو

حدوث العالم وانه كان بعد أن لم يكن وانه سيفنى بمعنى أنه ينقضي امر الدنيا وينتقل الحكم إلى عالم الآخرة ولنا على الحدوث امور (الأول) أن الليل والنهار متناقضان فلا يمكن وجودهما في آن واحد لاستحالة اجتماعهما وعليه فلا بد ان يكون وجد احدهما قبل الآخر وإذا صح ذلك كان المتأخر حادثا بالاريب والقول بحدوثه يوجب القول بحدوث المتقدم لبطالان الانفصال عند المخالفين حيث قالوا لا ليل إلا وقبلة نهار ولا نهار إلا وقبلة ليل (الثاني) ان هذه الموجودات منها ما هو محتاج إلى محل يقوم فيه كالسواد ونحوه من الأعراض ومنها ما يقوم بنفسه كالأجسام وغيرها من الجواهر والأول حادث بالضرورة لافتقاره في وجوده الى محل فهو مسبوق به والثاني يجب ان يكون كذلك ايضا لأنه لا ينفك عن الحركة او السكون والاجتماع او الافتراق وهذه الامور حادثة فلو قلنا بقدوم الأجسام لزم خلو الجسم عنها وهو محال لأن الجسم محتاج الى حيز يشغله وحينئذ فيما ان يبقى فيه اكثر من زمان واحد او ينتقل عنه فإن صح الأول كان ساكنا وإن صح الثاني كان متحركا وليس هناك قسم ثالث فالجسم ابدا إما متحرك او ساكن

وهكذا القول في الاجتماع والاقتراق فإن الجسم إما ان يكون مجتمعا مع غيره بحيث لا يتخللها ثالث او يكون بينهما فاصل فهو ابدا إما مجتمع مع غيره او مفترق عنه ويقال في الاستدلال على حدوث الأمور الأربعة ان الحركة عبارة عن كون الجسم في حيز بعد كونه في آخر فهي ابدا مسبوقة بكون اول وإلا لم يتحقق الانتقال . والسكون عبارة عن كون الجسم في حيز اكثر من زمان فتحققه موقوف على مضي اكثر من زمان والاجتماع كون الجسمين في حيزين بحيث لا يفصل بينهما ثالث والاقتراق ان يكونا في حيزين مع الفاصل ولا ينحى توقف تحققهما على وجود الحيز والجسم الفاصل (الثالث) انه لو لم يكن لهذه الموجودات اول لامتنع وجود الحوادث اليومية بيان ذلك ان وجود زيد مثلا موقوف على وجود ابيه بالطبع وابوه كذلك متوقف على وجود ابيه وهكذا والمفروض ان آباءه ليس لهم ابتداء وما ليس له ابتداء لا يمكن انقضاؤه وعليه فلا يمكن وجود زيد لتوقفه على امر مستحيل الوجود وهكذا القول في سائر الموجودات وهو واضح (الرابع) ان هذه الموجودات إما ان تكون وجدت بذاتها

او لشيء اقتضى وجودها وعلى الثاني فهي حادثة لانسباقها
بالمقتضى والأول باطل وإلا لوجب دوامها لوجود مقتضيه
وهو ذاتها ولازم ذلك اجتماع الليل والنهار والحر والبرد وهو
محال (الخامس) انه قد مضت ايام وليال ووقفنا اليوم عند
آخرها ولا يخالو الأمر من أن تكون الليالي أكثر من الأيام
أو الأيام أكثر أو هما سواء وفي الأولين يجب القول بتناهيها
للتناهي الناقص ولزوم الاتصال لو لم نقل بتناهي الزائد
وهو خلاف ما يقولون من انه لا ليل إلا وقبله نهار ولا نهار
إلا وقبله ليل وإن قالوا بتساويهما قلنا لا ريب بأن عددهما
مما يزيد على عدد احدهما وهذا موجب للتناهي ايضاً إذ لو
كانا غير متناهيين لما تصورت العقول فيهما الزيادة والنقصان
وهكذا القول في غير الليل والنهار من الموجودات

(السادس) أن القائلين بقديم العالم إما ان يقولوا بأنه يوجد
في المستقبل ما يساوي الموجودات الماضية ام لا فإن قالوا
بالثاني لزمهم القول بتناهي المستقبل لنقصانه وهم لا يقولون
به وإن قالوا بالأول قلنا لهم فلو اقتطعنا من الماضي جملة
كالوجود من زمن الطوفان إلى اليوم فهل تنقص الماضية

عن المستقبل أم لا فإن قالوا بنقصها لزوم القول بتناهيها
وإن يكون لها أول لعدم تصور النقص في غير المتناهي وإن قالوا
بعدم النقص لزومهم أن يكون الشيء مع غيره كبر لا معه
وهو محال ويقال لمن قال بوجود الصانع أن العقل يستقل بتقديم
الصانع على صنعة والفاعل على فعله والا لم يكن صانعاً وهذا
أمر لا ينكره إلا مكابر لعقله هذا كله مع أنهم لم يأتوا بدليل
على ما زعموه وما يثبتهم على القول به إلا الجمود والقصور
عن إدراك ما ذكرناه مما يوجب القول بالحدوث وأما فناء العالم
بمعنى تعطيل نظامه والانتقال إلى الآخرة فهو أمر ممكن وقد
أخبر الشرع بوقوعه فوجب التصديق به وسيأتي تفصيل ذلك
مسألة

لا ريب في وجود الصانع لهذه الموجودات لأنها كانت
معدومة وليس في العقل ما يمنع من بقائها كذلك ولا ما يقتضي
وجودها من نفسها وبذلك استوى فيها الأمران الوجود
والعدم وعليه فلا بد لوجودها من مقتضى والا لزم الترجيح
بلا مرجح وهو محال ولم يكن عندنا شيء يقتضي وجودها
ولو بالفرض غير إرادة الصانع فيجب القول بوجوده

مسألة

اعلم أن الصانع لا بد أن يكون مغايرا لهذه الموجودات
اذا لو كان مثلها لاحتاج الى صانع فلا بد من الانتهاء إلى
صانع مغاير لها وهو واجب الوجود لذاته لأن كل ما يفرض
سواه فهو ممكن مثلها اي يجوز عليه الوجود والعدم

مسألة

لا ريب في ثبوت الاختيار للصانع سبحانه وأنه قادر على
الفعل وعدمه ويدل على ذلك ايجاده الأشياء في وقت دون
وقت ولو لم يكن كذلك لوجب وجودها دفعة واحدة بل
اللازم وجود كل ممكن لا استواء الكل بالإمكان ومن حيث
النسبة إلى الصانع فإن كل واحد منها نسبته إليه نسبة الممكن
إلى الواجب وايضا فإننا نرى الاختلاف في اجزاء الشخص
الواحد من النوع الواحد كمنقود العنب مثلا . يكون بعض
حبه اسود وبعضه ابيض وبعضه حلوا وبعضه حامضا مع ما فيه
من الاختلاف في الصغر والكبر هذا مع تلاصق الحب
وإننا لنفلق الرمانة فنرى فيها الحبتين المتلاصقتين مختلفتين في
الصغر والكبر واللون والطعم ومقتضى الاتحاد في الشخص

والنوع والهواء والشمس والماء التساوي في ذلك من كل
 جهة ولا يمكن ان يكون الاختلاف فيها من حيث الامكان
 لاتعدادها وبالنسبة اليه فلم يبق وجه لاختلافها الا ارادة الصانع
 واختياره وايضا فلماذا اختلف رأسا البيضة من الدجاجة ولماذا
 اكتست بقشرين احدهما اغلظ من الآخر ولماذا اشتملت على
 مائتين ابيض واصفر ولماذا كان بينهما حائل ترى اختلفت
 الطبيعة في الدجاجة او ان الغذاء اقتضى ذلك كلا بل لو كان
 للغذاء مدخل فيه لوقع الاختلاف فيما ذكرنا كثيرا لاختلاف
 الغذاء في غالب الأحوال فعدم الاختلاف فيه وعجيبه على
 مقتضى الحكمة كما لا يخفى دل على انها اي البيضة صنعة قادر
 مختار حكيم وفي الخبر قال ابو شاكر الديصاني للصادق (ع)
 دلتني على مبيودي فتناول الصادق (ع) بيضة من غلام كان
 يلعب فيها وقال يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ
 وتحت جلد رقيق وتحت الجلد الرقيق ذهب مائة وفضة مائة
 بينهما حائل رقيق فلا الذهب المائة تختلط بالفضة المائة ولا
 الفضة المائة تختلط بالذهب المائة فهي على حالها لا يخرج
 منها خارج مصلح فيخبر عن اصلاحها ولا يدخلها داخل مفسد

فيخبر عن فسادها لا يدري للذكي خلقت أم للأثني تنفلق عن
مثل الطائوس ترى لها مدبرا قال فأطرق الديصاني مليا ثم قال
أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده
ورسوله وأنت إمام وحجة من الله على خلقه وأنا نائب ممسك
كنت فيه وقد كان يرى عدم وجود الصانع

مسألة

اعلم أن الصانع واحد لا شريك له ويبدل على ذلك
أمور (الاول) أنه لو كان معه آخر لكان بينهما فارق والا
لانتفى التعدد والفارق لا بد أن يكون مغايرا لما اشتركا فيه
لاستحالة الإفتراق بما به الإشتراك وعليه فيكون كل منهما
مركبا من الفارق ومن الجزء المشترك والمركب حادث
لانسباقه بأجزائه وقد عرفت أن الآله قديم (الثاني) لو كان
له شريك فلا يخلو الأمر من أن يكون كل واحد منهما
قادرا أن يعمل على الآخر أو كل منهما غير قادر على ذلك أو
أحدهما قادر دون الثاني ولا سبيل إلى الأول لأنه يلزم منه أن
يكون كل منهما قادرا وغير قادر وهو محال ولا إلى الثاني
للزوم نسبة المعجز إلى الآله وهو من صفات الحادث فيتمين

الثالث وعليه فيكون القادر هو الإله دون الثاني لضعفه
 فيكون الإله واحدا (الثالث) انه لو فرض التعدد فإما ان
 يكونوا متساوين في القدرة او احدهما اقدر من الآخر ولا
 يمكن القول بالأول لإيجابه المحال وذلك فيما لو اراد احدهما
 سكون شيء في وقت واراد الآخر حركته في ذلك الوقت
 فإن وقوع المرادين معا مستلزم لكون الشيء الواحد متحركا
 ساكنا في وقت واحد واحتمال وقوع احدهما دون الآخر
 مندفع بلزوم الترجيح بلا مرجح فيتمين القول بالثاني وأن
 القادر هو الرب لكماله دون الثاني لنقصه فيكون الإله
 واحدا (الرابع) لو قلنا بالتعدد فلا يخلو الأمر من أن يكون
 احدهما قادرا على ان يكتم شيئا عن الآخر أولا والأول
 يلزمه نفي الربوبية عن المكشوم عنه لجهله والثاني يلزمه نفي
 الربوبية عن غير القادر لمجزئه (الخامس) ان الضرورة قضت
 بوجود الصانع لا امتناع وجود الممكنات بنفسها ولسم يقيم
 برهان على التعدد والأنبياء على كثرتهم لم يدع منهم احدا الى
 عبادة اثنين او ازيد

مسألة

لا ريب في ثبوت الحسن والقبح العقليين للقطع بحسن الإحسان وقبح الظلم مثلا من غير مراجعة الشرع ولذا حكم بذلك من ينكر وجود الشرع كالملاحدة ولأنه لو لم نقل بإثباتهما لما أمكن اثبات نبوة الأنبياء لأن ثبوتها بالمعجز ولا مانع من اظهاره على يد الكاذب الا لزوم القبح عليه تعالى من حيث استازامه الإضلال والإغراء بالجهل وقد فرضنا انتفاء القبح العقلي وبذلك ينتفي المانع وايضاً لو قلنا بانتفائها لزم انتفاء الشرعين ايضاً لجواز الكذب على الشارع حيثئذ اذ لا مانع منه سوى حكم العقل بقبحه وقد فرضنا انتفاءه وعليه فلو حكم الشارع بحسن فعل او قبحه لم نقل به لاحتمال الكذب ولا يرتفع ذلك بقوله لا اكذب لاحتماله ايضاً تعالى الله عن ذلك وقد خالفنا في ذلك الأشاعرة واجتمعت مرة مع بعض فضلائهم فقات له ما تقول في جواز الظلم على الله فقال لا يجوز فقات ما الدليل على ذلك فقال قوله تعالى وما ربك بظالم للعبيد فقلت الا يجوز ان يكون كاذبا في هذا قال لا قلت ولم نفيت عنه الكذب قال لقوله تعالى ومن اصدق

من الله قولا فقلت ولعل هذا كذب ايضا واعلم ان الواجب عليك ان تثبته لنا دليلا قاطعا على انه لا يكذب وقوله لا يصلح لذلك فقال الكذب نقص والنقص لا يجوز عليه قلت وما المانع منه قال القبح قلت ومن حكم بقبحه ان كان الشارع فهو غير مسلم لاحتمال الكذب فيه فقال بل العقل فقلت فلم تنكروا علينا القول بالحسن والقبح العقليين فأحجم عن الجواب وانقطع . والمراد بالفعل الحسن ما حسن مدح فاعله عليه وبالقبح ما يذم فاعله عليه

مسألة

اعلم ان الآله كامل بذاته لأنه لو لم يكن كذلك لكان ناقصا والناقص محتاج إلى غيره والحاجة من لوازم المجز والمجز من صفات الممكن وقد عرفت لزوم مغايرته للممكن ومن هنا يعلم انه يجب ان ينفي عنه كل ما يعد نقصا ولذا اصطالحوا على تقسيم صفاته إلى ثبوتية وسلبية يعنون بالثبوتية لازم الكمال وبالسلبية لازم النقص وقد أتضح وجوب ذلك بما ذكرناه وها نحن نذكره مفصلا ايضا فنقول

مسألة

في الصفات الثبوتية وهي امور (الأول) القدرة وإنما
 وجب ان يكون الإله قادراً لأنه لو لم يكن كذلك لكان
 عاجزاً والله منزّه عن العجز وايضاً فقد اوجد السماء والأرض
 وما فيها وصدور الفعل عن غير القادر عليه محال واعلم انه
 قادر على كل ممكن قابل للتأثر لثبوت المعجز على تقدير العدم
 مضافاً الى تساوي الممكنات بالنسبة اليه اذ تأثيره فيها ليس
 الا من حيث وجوبه وامكانها وهذا لا تفاوت فيه ومن
 هنا يعلم ان خلق السماء بالنسبة اليه وخلق الذرة سواء قال
 سبحانه ما خلقكم ولا بمشكم الا كنفس واحدة (الثاني) الاختيار
 وقد علم وجوب اتصافه به فيما تقدم (الثالث) العلم ويدل على
 ثبوته له مضافاً الى ان عدمه نقص صدور هذه الموجودات
 عنه مع ما فيها من إحكام الصنعة وغريب الحكمة والخواص
 المجيبة ومثل ذلك لا يكون الا من عالم حكيم ومن تفكر في
 خلق الله وتدبر الحكمة في خلق السماء والنيرات وتفاوتها في
 القرب والبعد المقتضين للسخونة والبرودة حتى تتكون الأشياء
 واختلاف الليل والنهار وغير ذلك من الأمور الفلكية وتفكر

في خلق أعضاء الحيوانات ومنافعها وغير ذلك من الموجودات
 المنصيرية اتضح له ذلك وضوحاً تاماً وقد علم مما ذكرنا أنه عالم
 بكل ما يمكن تعاق العلم به لازوم النقص على تقدير العلم
 والنقص لا يجوز عليه ولتساوي الأشياء بالنسبة إليه فتى صح
 علمه ببعضها صح بالكل والالزام الترجيع بلا مرجع (الرابع)
 الحياة ويدل على ثبوتها له اتصافه بالعلم والقدرة والحياة عبارة
 عما من شأن الموصوف بها أن يوصف بالعلم والقدرة (الخامس)
 السرمدية أي عدم جواز الفناء عليه ويدل على ذلك أنه لو
 جاز عليه الفناء لكان متلوياً وهو عجز لا يجوز عليه على أن
 ذلك موجب لا مكانه وقد عرفت أنه واجب (السادس)
 (والسابع) السمع والبصر ويدل على اتصافه بهما إطلاقها عليه
 في الكتاب وهو كثير ولأن عدمها نقص والمراد علمه بالمسموعات
 والمبصرات لاستحالة الجوارح عليه إذ هي من لوازم الجسم
 (الثامن) الإرادة ذكر ذلك جماعة وهو متجه إن قلنا كالأشاعة
 بتعلق إرادة الله بكل كائن أو فسرناها بالعلم وسنقردها بمجئها
 خاصاً فيما يأتي

مسألة

ذهب الأشاعرة الى ان الكلام من الصفات الواجبة لله تعالى والمراد به معنى نفسي غير الارادة والعلم والحب والكراهة والطلب والخير وسائر المماني النفسية ويمبر عنه بالحروف والاصوات التي يتألف منها الكلام المسموع ولا يخفى ان هذا في نفسه غير معقول فلا يمكن الحكم بشبوته لله سبحانه والمعقول منه انما هو الأصوات المنتظمة المولفة من الحروف الدالة على معنى يريد المتكلم الإخبار عنه وهو بهذا المعنى فسل يجوز ان يصدر عن الله ويوصف به كما وصف بالخلق والرزق ويدل على جواز وصفه به اجماع المسلمين وايضا فإنه مقدور ولا مانع منه ولا ريب بأنه محدث كغيره من الأفعال يوجد الله عند وجود ما يقتضيه وذهب الأشاعرة إلى قدمه كغيره من الصفات الواجبة التي ذكرناها لكن بالمعنى الذي ذكروه وقد عرفت انه غير معقول فلا نطيل الكلام معهم على ان ذلك موجب لتعدد القدماء وهو موجب لترك الواجب سبحانه ولازم ذلك الحدوث

مسألة

الحق ان الصفات الثبوتية ترجع الى السلبية فمضى قولنا

عالم مثلاً انه ليس بجاهل وهذا هو المقول من قول الحكماء ان صفاته عين ذاته ويدل على ذلك انها لو كانت زائدة عليه فإما ان نقول بحدوثها فيلزم تغيره لأنه معها غيره بدونها قطعا ويلزم اثبات النقص له قبل حدوثها او نقول بتقديمها فيلزم تركيبه منها ومن الذات وكل ذلك من صفات الممكن وقد اشار امير المؤمنين (ع) الى ذلك بقوله اول عبادة الله معرفته واصل معرفته توحيده ونظام توحيده نفي الصفات عنه جل عن ان تحله الصفات لشهادة العقول ان كل من حله الصفات فهو مصنوع

مسألة

اعلم ان الآله ليس بمرض لا يحتاج العرض إلى محل فيكون حادثاً ولا مجسماً لما عرفت من ان الجسم حادث ولا مركب لانسباقه بأجزائه وليس له شريك لما تقدم ولا محدود اذ يلزم منه ان يكون متحيزاً إلى جهة والتحيز ان كان لا عن حاجة كان عبثاً والمبث قبيح لا يجوز على الله تعالى وإن كان عن حاجة لزم نسبة النقص اليه مضافاً الى ان المتحيز لا ينفك عن احد الا كوان الأربعة اعني الحركة والسكون والاجتماع والافتراق والملازم لها حادث كما عرفت ولا موهوم لأن

فالوهم لا يقع على غير المحدود ولا مشابه لشيء إذ كل موجود
سواه يقع عليه الحد والوهم ولا مرئي لوجوب كونه في
جهة وقد علم من هذا انه لا يحويه مكان ولا زمان ولا شيء
اقرب اليه من شيء لأنه لا يخرج في هذه الأحوال عن
كونه محدودا او متحيزا قال الله سبحانه ما يكون من نجوى
ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا ادنى من
ذلك ولا أكثر إلا هو معهم اينما كانوا فإن قلت الستم
تقولون ان الله في كل مكان قلت نعم ولكن معنى ذلك انه
عالم بكل مكان وما فيه وهذا معروف عند اهل اللسان
يقول الرجل لصاحبه اني معك حيث كنت ولا اغيب عنك
يريد انه عالم بما يكون منه فإن قلت ما معنى قوله الرحمن على
العرش استوى قلت المراد بالعرش الملك وبالأستواء الإستيعلاء
ويشهد للأول قوله

إذا ما بنو مروان ثلث عروشهم

واودوا كما اودت اباد وحمير

والآخر قوله

إذا ما علونا واستويننا عليهم تركناهم صرعى لنسروكاسر

﴿ حقائق الايمان ٢ ﴾

يريد استولينا عليهم فإن قلت ما معنى قوله ويحصل
عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية قلت قيل إن هذا العرش بانية
خالقها الله وتعبد الملائكة مجملها كما تعبدنا في تعظيم الكعبة
والحج اليها وقد سميت ببیت الله بل المساجد كلها تسمى
كذلك من حيث اقامة الشعائر فيها لا من حيث انه
يسكنها فإن قلت ما معنى رفع الأيدي بالدعاء الى السماء قلت
ذلك من حيث جعل الرزق فيها او من حيث انها اشرف
فإن قلت ما المراد بقوله اليه يصعد الكلم الطيب قلت ان
الملائكة يصعدون الى السماء حيث انها مسكنهم ومهمم الاعمال
وبالجملة فإن مثل ذلك توسع في الكلام ولا يمكن حمله على
ما يوجب الحلول والتحيز لما ذكرنا من البرهان على الامتناع
مسألة

ذهب السنة من المسلمين الى جواز الرؤية على الله
وافرط المشبهة منهم فقالوا انه في جهة لادم تصور موجود
لا في جهة وقالوا انه في جهة فوق لأنها اشرف وبعضهم قال
بأنه جسم لا كالأجسام محتجا بقوله (ص) ان الله خلق آدم على
صورته ويقال لهؤلاء ان عدم التعقل ليس بدليل والبرهان

القاطع دل على امتناع التحيز كما عرفت والحديث ورد في رجل ضرب وجه عبده فقال له النبي (ص) ان الله خلق آدم على صورته اي صورة العبد والجسم ان عنوا به المنتسم في الطول والعرض والسمق فقد عرفت انه حادث وإن عنوا غير ذلك فلا تجسيم والكلام معهم زيادة عن ذلك تطويل فلنرجع الى الكلام مع الاشاعرة الذين قالوا بالرواية مع كونه ليس في جهة فنقول احتجوا بذلك بأمر الأول قياسه على الموجودات المراتية وتقريره ان الجوهر والعرض مرئيان فالرواية حكم مشترك بينهما ولا بد له من علة مشتركة ولا اشتراك بينهما الا بالحدوث والوجود والأول جزؤه عدمي فلا يطل به الموجود فلم يبق الا الوجود وهو ثابت في حق الله تعالى فيلزم وجود الحكم فيه وهو الرواية لوجود علته الثاني قوله تعالى رب ادني انظر اليك ولو كانت الرواية ممتنة لما سألها موسى (ع) وقوله تعالى فانظر الى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فإنه علق الرواية على استقرار الجبل وهو ممكن فتكون الرواية ممكنة الثالث قوله تعالى وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة الرابع قوله (ص) إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما يرى

القمر ليلة البدر والجواب عن الأول منع وجود العلة اذ ليس كل حكم يجب تعليله والا لزم التسلسل سلمنا لكن نمنع رؤية الجوهر وانما المرئي اللون والضوء سلمنا لكن لانسلم اشتراك الجوهر مع العرض فإن الجوهر لا يرى الا بتوسط العرض سلمنا لكن يجوز تعليل الحكم بمال مختلفة باختلاف موضوعه سلمنا لكن نمنع انحصار الاشتراك بين الجوهر والعرض فيما ذكر اذ لم هناك جزء ثالث هو علة الرؤية وعدم علمنا به لا يدل على عدمه سلمنا لكن يجوز ان تكون العلة الامكان وكون احد جزئيه عدميا لا يمنع من ذلك لأن إمكان الرؤية ايضا احد جزئيه عدمي سلمنا لكن يجوز ان تكون العلة الوجود الحادث او الممكن وهو متتف في حقه تعالى سلمنا لكن نمنع اشتراك الوجود بين الواجب وغيره فإنه في الواجب عين ذاته وفي غيره احد جزئيه وعليه فلا يتم القياس لانتفاء الجامع والجواب عن الثاني ان موسى سأل الرؤية لقومه وقد دل عليه قوله تعالى فقد سألو موسى اكبر من ذلك فقالوا اردنا الله جهرة وانما اضافها لنفسه ليعلم قومه انه لم يمكنه الرؤية واذا لم يتمكن هو فهم اولى بعدم التمكن وقوله انك لن تراني يؤيد

ما ذكرنا ايضا من الامتناع لإفادة لن النفي الموبد واماتمايق
 الروية على استقرار الجبل فإنه لا يدل على امكانها لأنه علقها
 عليه حال تحركه واستقراره حال حركته محال فالروية محال
 والجواب عن الثالث والرابع انه يجب التأويل بتقدير مضاف في
 الآية اي الى ثواب ربها ونحوه وحمل الحديث على قوة المعرفة
 وصيرورتها ضرورية هذا على تقدير صحته وانما وجب التأويل
 لاستقلال العقل بامتناع رويته تعالى لأن المرثي لا بد ان
 يكون مقابلا او في حكم المقابل وعلى التقديرين يلزمه ان يكون
 في جهة وكونه في جهة محال كما عرفت مضافا الى أن كثيرا من
 الموجودات لا يمكن رويتها كالنفوس الناطقة والعقول وغير
 ذلك والله سبحانه لا يقل عنها وايضا لو جازت عليه الروية
 لرأيناه والتالي باطل والشرطية ظاهرة فإن الشرائط سلامة
 الحاسة وعدم اللطافة وعدم القرب والبعد المفرطين وعدم العشر
 وهي موجودة ولا مانع سوى امتناع الإمكان والمفروض انتفاؤه
 مسألة

ذهب النصارى الى حلول الآله في المسيح عيسى بن
 مريم (ع) وقال النصيرية بحلوله في علي ابن ابي طالب (ع)

والمتصوفة قالوا بمحاوله في قلوب العارفين ولم نقف على مرادهم وكيف كان فالحلول بأي معنى فسروه فهو غير جائز عليه تعالى لأنه يستلزم التحيز والتحديد وهو محال كما عرفت ولي في المقام كلام مع بعض فضلاء النصارى وقد ضمنى واياهم مجلس جرى فيه ذكر النصيرية فقلت العجب منهم كيف يقولون بمحاول الرب في علي فقال النصراني كأنكم لا تجيزون الحلول عليه قلت لا فقال نحن نجيزه ونقول حل في عيسى فقلت إذا يكون الكلام معكم ومعهم سواء ما تقول احل الرب في عيسى على جهة التبيين كحلول العرض في الجسم ام على جهة التحيز كحلول الجسم في المكان وايهما فرضت فهو مستحيل عليه تعالى لاستلزامه الحدوث فقال لم يكن الحلول بأحد المعنيين بل كان بمعنى ثالث قلت لا يكون حلول بدون تحيز الى جهة بالبداهة اولا ونقول ثانيا ان الرب سبحانه لما حل بعيسى ابقى شيء منه خارجا عنه او انحصر بناسوت عيسى (ع) واحاط الناسوت به وفي الأول لم يحصل الحلول المطلوب وفي الثاني يازمكم الحدوث لحصول التحديد وقد بينا امتناعه فقال نحن نقول بمحاوله في عيسى وبقاؤه خارجا عنه ومنتشرا لا الى حد فقلت

إن مثل هذا ليس مجاوباً وعليه فالإلزام أن يكون حالاً في
 وفيك فقال نعم قلت فقل في كما تقول في عيسى (ع) فقال
 حلوه في عيسى حلوه تأثير وقد ظهرت آثار قدرته الباهرة
 بإبراء المرضى وإحياء الموتى ولم يكن منك مثل ذلك قلت
 ما كان من سيدنا المسيح مثله في الخروج عن طوق البشر ما كان
 من موسى بن عمران ككفلق البحر وقلب العصا حية ونحو
 ذلك وغيره من الأنبياء فإنه لا تثبت نبوة النبي إلا بفعل
 ما لا تقدر عليه البشر فقل فيهم ما تقول فيه أو بين لنا الفارق
 فانقطع والحمد لله تعالى ويقال للقائلين بالحلول كان ذلك عن
 حاجة إليه أم لا عن حاجة والأول يستلزم الحدوث كما عرفت
 والثاني نوع من السفة وهو محال على الرب وإيضاً يقال لهم
 حلوه كان حادثاً أو قديماً والأول يستلزم التغير والثاني يلزمه
 تعدد القدماء لتغاير الحال والمحل وتعدد القدماء محال كما بينا

فيما سبق

مسألة

ذهب النصارى إلى تثليث الأقانيم أعني الأصول المعروفة
 عندهم بالآب والابن وروح القدس وقالوا باتحادها ويردهم

اولا ان تثليث القدماء مستحيل لما بينا سابقا مضافا الى انه لا تمدد الا مع الفارق وحيث يزيد المدد عن الثلاث لاستحالة التمايز بالجزء المشترك وهم لا يقولون به وايضا معنى الاتحاد صيرورة الشئين او الأشياء شيئا واحدا وامتناعه على الآله ظاهر لأنه اما ان يقولوا ببقاء الأشياء حال الاتحاد او يقولوا بانعدامها او بانعدام احدها وفي الأول لا اتحاد قطعا لبقاء التمايز وفي الثاني خروج عن الشيئية وما ليس بشيء لا يمكن نسبة الاتحاد اليه على ان الالتزام به التزام بانعدام الواجب وقد عرفت استحالة المدم عليه

وفي الثالث يلزم اتحاد المدوم بالموجود وهو مستحيل ايضا لخروج المدوم عن الشيئية وقياس ذلك بالماء والتراب وصيرورتهما خزفا فيه ان مثله يعد فسادا وحدثا اخر كصيرورة الخطب رمادا ومثله لا يجوز على الله سبحانه وايضا يقال لهم ان الاتحاد كان من الآلهة عن حاجة اليه ام لا عن حاجة والأول يلزمه الحدوث والثاني يلزمه السفه والعبث والكل غير جائز على الآله سبحانه وايضا يقال لهم هل تغير الآلهة بالاتحاد ام لا فإن قالوا بالأول لزمهم القول

بحدوث الآلهة لما عرفت من ان التغير من لوازم الحادث وان
قالوا بالثاني لزمتهم بقاء التعدد لاستحالة الإتحاد حينئذ والا
لزم كون الشيء ممزوجا بغيره من جا صيرهما واحدا فهو محال
كونه منفردا وهو محال

مسألة

زعم النصارى أن المسيح هو الله وانه مركب من
اللاهوت وهو الآله والناسوت وهو الجسم الإنساني ثم
اتحدا فكانا واحدا في الحقيقة ويرد هذا القول بأن يقال لهم
لقد اجمعتم معنا على ان الآله قديم والجسم حادث وقد زعمتم
انهما صاروا واحدا فماتقولون في هذا الواحد قديم هو ام حادث
فإن قالوا قديم لزمتهم القول بقدم الحادث وهو الجسم لأنه جزء
منه وإن قالوا حادث لزمتهم القول بحدوث القديم وهو
اللاهوت لأنه احد جزئيه ولا يمكنهم ان يقولوا بعبءه قديم
وبعبءه حادث لمناقضته الإتحاد ولا أن يقولوا قديم حادث
للتناقض وايضاً يقال لهم إذا كان المسيح مركبا من شيئين
إله وإنسان فأخبرونا عن القتل والصلب وقع عليهما ام على
احدهما فإن قالوا عليهما قيل لهم هذا قول بأن الآله قتل

وحساب ودفن وهذه فضيحة لا يلتزم بها عاقل وإن قالوا وقع على أحدهما وهو الناسوت قيل لهم فإذا قد انتفى الاتحاد لحصول التمايز والالام يمكن التخصيص قطعا وصح مذهب المسلمين بأن المسيح لم يقتل ولم يصاب لأن المسيح عندكم ليس هو الناسوت بانفراده وإنما هو مجموع شيئين واليهود لم يظفروا به وإنما ظفروا بأحدهما

مسألة في العدل

اعلم ان العدل واجب على الله لقبح الظلم والقبيح لا يجوز عليه مضافا إلى انه نهانا عنه فهو أولى بتركه وقد انفاه عن نفسه وهو الصادق بقوله فقال وما ربك بظلام للعبيد وقال ولا يظلم ربك احدا وغير ذلك ويجب ايضا ان يجري في أفعاله على مقتضى الحكمة إذ لو جرى على خلافها فيما ان يكون الحاجة إلى ذلك أو لجهله بها وكلاهما محال لما بينا سابقا من انه غني بذاته عالم لذاته لا يخفى عليه شيء أولا أحدهما بل تشهيا وعشا وهو سفيه قبيح لا يجوز عليه سبحانه

مسألة

اعلم انه يجب ان يكون فعل الله سبحانه معطلا بالغرض

والا لكان عابثا والعبث قبيح وقد اشار إلى ذلك بقوله وما
 خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
 وقوله أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم اليها لاترجعون وذهب
 فريق من العلماء الى ان الله يفعل لا لغرض لأنه غني لذاته
 فيستحيل الغرض عليه سبحانه وجوابه ان الغرض عائد إلى
 المخلوقين لا اليه فلا منافاة

مسألة

لا يجب على الله ان يبين الغرض الداعي إلى الفعل لعدم
 المقتضي له اي لوجوبه وجبته فإن بينه قلنا به وإن لم يبينه
 وعرفناه بمقولتنا قلنا بأنه الغرض وإن قصرت عقولنا عن ادراكه
 نقول به في الواقع لماننا بأنه لا يجوز عليه العبث ولا حاجة
 للعالم به تفصيلا

مسألة

الغرض في خلقنا لا يجوز ان يكون الا ضارا لأنه ظلم
 ولا النفع الدنيوي لانقضائه ولأنه في الحقيقة دفع الآم
 كالغذاء يدفع الم الجوع وشرب الماء يدفع الم العطش ومثلهما
 غيرهما من المنافع الدنيوية مضافا الى عدم تحقق ذلك لمن عاش

ممنوعاً عن الملائكة أرض ونحوه أو مات صغيراً فتعين أن يكون
 الفرض هو النفع الأخروي وهو على قسمين مقارن للتعظيم
 ومجرد منه والأول يعرف بالثواب والثاني بالعوض في اصطلاح
 المتكلمين والأول انفع وأصلح وهما متساويان بالنسبة إليه
 فيجب أن يكون هو الفرض إذا امتناع منه إما حاجة أو
 جمل وهو الغني بذاته والكريم المطلق ويدل على أن الفرض
 من خلقنا الثواب قوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا
 ليعبدون وبيان الدلالة أن العبادة مشتملة على المشاق فلا يمكن
 أن تكون علة في الخلق إذ هي أشبه بالأضرار وقد نفاه العقل
 فيجب أن يكون الفرض ما يترتب عليها من الثواب وإنما
 حسن إطلاق العلة بملاقاة السببية وهو

مسألة في الثواب

اعلم أن الثواب لا يمكن الوصول إليه بالفضل لا شتماله
 على التعظيم وتعظيم من لا يستحق التعظيم قبيح ويدل عليه قوله
 تعالى ليعجزني الذين أسأؤ وأبأعمالوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى
 وقوله تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون بتقريب
 أنه لو لم يكن الوصول إلى الثواب متوقفاً على الطاعة لم

يمكن للتكليف بالعبادة معنى لائق بل لكان الأصر بها قبيحا لما فيها من المشقة فإن قلت ان الالتزام بما ذكرت يوجب منع الطفل من الثواب وهو خلاف ما دلت الأخبار واجمع عليه المسلمون قلت منهم من الثواب لاشبهة فيه ونحن نلتزم به والنقل انما دل على دخولهم الجنة وليس كل من دخلها حصل على الثواب فنحن نقول بدخولهم الجنة وانقاذهم اخذاً بالأخبار ومنعهم من الثواب اخذاً بدليل العقل

مسألة في العقاب

اعلم ان العقاب لا يكون إلا باستحقاق اذ بدونه يكون ظلما والظلم قبيح لا يجوز على الله سبحانه وقد دل عليه كثير من الكتاب

مسألة

اعلم انه يجب على الله سبحانه اللطف بعباده والمراد به ان يفعل معهم ما يقربهم الى الطاعة ويبعدهم عن المعصية ويدل على الوجوب انه لو لم يفعل ذلك لكان اما حاجة الى عدم الفعل او بخلافه بنفع العباد وكلاهما محال عليه تعالى وايضا فإنه يريد من عباده الطاعة وقد امرهم بها فقال أطيعوا الله

ومن اراد فعلا من غيره وعلم توقفه على ان يفعل معه نوعا من الملاطفة او المكاتبة او الوعد بالجزاء ونحو ذلك من غير مشقة عليه لو لم يفعل ولم يحصل الفعل من الغير لذلك لكان ناقضا لغرضه وتوجه اللوم اليه والله منزّه عن ذلك

مسألة

اعلم انه يجب على الله ان يكلف عباده لأنه خلقهم
للاثواب والثواب لا ينال إلا بالطاعة فيجب تمكينهم منها
بالأمر والنهي وهو المعنى بالتكليف وإلا كان ناقضا لغرضه
وقيل إنه يكفي في حسن التكليف جعل العبد في معرض
الشكر لما أسدى إليه من النعم والثواب يمكن الوصول إليه
بفضل الله فلا يكون موجبا للتكليف وجوابه ان التكليف
مشمول على المشاق وحمل الكرم المطلق من انعم عليه على
الشكر بطريق المشقة قبيح والثواب قد عرفت انه لا ينال
بالتفضل لا شتماله على التعظيم فيجب ان يكون عامة في
التكليف كما ذكرنا وما قيل من أن أعمال العباد ضعيفة وان
اجتهدوا عن ان تكون جزاء لنعمه السابقة فكيف تجعل سببا
لنيل الثواب الدائم يقال في جوابه انها وإن كانت كذلك

إلا أنه لا ريب باستحقاق فاعلها المدح ومن استحق المدح استحق الثواب هذا وقد استدل أيضا على وجوب التكليف بأنه حافظ للنظام لأن الإنسان مدني بالطبع يحتاج في تمييزه إلى المماونة والإجتماع مع بني نوعه وقد تحصل المزاومة والمنازعة فلا بد بمقتضى الحكمة من جعل حدود ينتهي الناس إليها لقطع الخصومة وحفظ النظام وفيه أن هذا الدليل لا يتم في المبادات كما لا يخفى نعم يوجب وضع قوانين فيما تحتاج الناس إليه في حسن المعاملة وحفظ الحقوق ومن هذا الدليل يعلم احتياج الناس إلى قيم يحفظ تلك الحدود ويلزم الناس بها إذ هي بمجرد تشريعها غير كافية في حفظ النظام

مسألة

اعلم أن الثواب واجب لاستحققه للزوم الظالم مع الحرمان نعم يشترط فيه الموت على الإيمان ويدل على ذلك قوله تعالى ولئن أشركت ليحبطن عملك وقوله إن الله لا يغفر إن يشرك به ويغفر ما دون ذلك وقوله ومن يرد منكم عن دينه قيمت وهو كافر فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون

مسألة

اعلم ان العقاب يجب للكافر لا لخيار الله سبحانه بذلك
كما سمعت قالو عفا عنه لزم الكذب ولا يجب لشيره من
المصاة لجواز العفو وحسنه وقد وعد الشارع بذلك والبال
عليه كثير في الكتاب والسنة قال جعفر الصادق (ع) لو لم
يكن في الخلق من يعصي الله خلق الله خلقا يعصونه ليغفر لهم

مسألة

قد امتن الله على عباده بالتوبة فجعلها مسقطا للعقاب
وهو مجمع عليه بين المسلمين حكاه في مجمع البحرين وقد دل
على ذلك الكتاب والسنة فمن الأول قوله تعالى . كتب ربكم
على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوء بجهالة ثم تاب من
بعده واصلح فإنه غفور رحيم ومن الثاني قوله عليه السلام التوبة
تهدم الحوبة هذا مضافا الى الأمر بها بقوله استغفروا ربكم
ثم توبوا اليه وغيره وهو كثير ولازمه وجوب قبولها على انه
وعد في كتابه بالقبول قال إن الله يقبل التوبة من عباده والوفاء
بالوعد واجب عليه لقبح الخلف ولا معنى لقبولها إلا سقوط
العقاب المستحق بسبب العصية والمراد بالتوبة الندم على فعل

المعصية قال رسول الله (ص) كفى بالندم توبة وقيل هي الندم مع العزم على عدم المود وهذا القيم حسن ان اريد به التوضيح لعدم تحقق الندم بدونه مع الالتفات وغير صحيح ان اريد به الاحتراز لظاهر ما تقدم فالناهم الغير الملتفت للمستقبل تأبى بالأريب

مسألة

اعلم أنه يشترط في قبول التوبة الإختيار فلو اضطر إليها بمعاينة الموت واهوال الآخرة لم تقبل ويدل عليه قوله تعالى وليست التوبة للذين يعملون السوء حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن

مسألة

اعلم ان التوبة واجبة لأنها دافعة للضرر وقد امرنا بها والأمر يقتضي الإلزام والوجوب

مسألة

التوبة لا تسقط الحق الذي لزم بسببه العقاب لعدم الدليل عليه ولا منافاة بين بقاءه وسقوط العقاب لترتب العقاب على المعصية المتحققة بترك اداء الحق عند التكليف

به وارتفاعه بالتوبة لا يضر ببقاء الحق غايته ثبوت التكليف
بأدائه ثانياً وعلى تقدير الترك ايضاً يثبت استحقاق العقاب
ويحتاج في رفعه الى توبة اخرى وهكذا

مسألة

الحق إن كان لله تعالى وجب ادائه إن كان وقته باقياً
كالحبس والزكاة والا وجب قضاءه إن كان له قضاء كالصلاة
والصوم مثلاً والا كفى الندم على الترك في ارتفاع العقاب
وإن كان الحق للعبد وجب التحلل منه إن لم يكن مالياً
او الاستغفار له إن لم يمكن الوصول اليه بموت ونحوه وهذا
مستفاد من الأخبار وإن كان مالياً وجب ادائه اليه او اتها به
منه إن كان موجوداً والا قام مقامه وارثه وإن لم يمكن ذلك
لجهل ونحوه وجب الرجوع إلى السلطان العادل او نائبه وإن كان
الحق مجهولاً دون صاحبه وجب ان يسلمه القدر المعلوم لبراءة
الذمة من الزائد والأولى التخلص بالصلح وان جهل صاحبه
مع ذلك وجب الرجوع إلى السلطان وإن كان المال عيناً واختلط
بالحلال ولم يتميز وكان مجهول المالك والقدر وجب اخراج
خمسه ومع التقصير في شيء مما ذكرنا لا تتحقق التوبة وبقي هنا

مجال للبحث الا انه خارج عن موضوع كلامنا والله العالم
مسألة

اعلم انه يجب على الله الوعد على الطاعة والوعيد على
المصية لأنهما مقربان للطاعة فهما نوع من اللطف والالطف
واجب كما عرفت

مسألة في الجبر

ذهب الأشاعرة من اخواننا السنة الى ان العبد مجبور
على افعاله وأنه لا تأثير لقدرته فيها بل الفاعل الحقيقي هو الله
تمالي والتأثير فيها لقدرته وذهب اصحابنا الإمامية والمعتزلة
إلى أن افعال العبد مخلوقة له وان المؤثر فيها قدرته واختياره
وهو الحق الذي لا يحصى عنه ولنا على ذلك وجوه (الأول)
وجود الفرق بين حركة المرتعش وحركة المختار وبين حركة
النبض وحركة الأصبع الحاصلة بتحريك العبد ولو لم يكن
للعبد قدرة واختيار لكان الحركتان في الوجود سواء لتساويهما
بالفرض من حيث صدورهما عن الله تعالى والتساوي باطل
بالوجدان والبدية والقائل به مكابر لمقله (الثاني) انه لو
قلنا بالجبر لزم بطلان الثواب والعقاب لترتبها على الطاعة

والمصحية والمجبور غير فاعل فلا يمد مطيما ولا عاصيا (الثالث)
لو قلنا الفاعل هو الله وقلنا مع ذلك بالثواب والعقاب كما
يقولون لزم نسبة القبيح الى الله سبحانه امان حيث العقاب
فظاهر لأنه ظلم واما من حيث الثواب فلما عرفت من اشتغاله
على التعميم وتهظيم من لا يستحق التعميم قبيح فإن قلت أن
الله تعالى لا يسأل عما يفعل بنص الكتاب العزيز فلا يقال لم
خاف الإنسان ناطقاوا لجمارا ناهقا وعدم جواز السؤال يدل على
جواز اي فعل اراده قات معنى الآية منع السؤال منه عن
الفعل الواقع وكلامنا هنا انه لا يجوز له الفعل فهو خارج
عن مصداقها فإن قلت أن هذا يقتضي التحديد في قدرة الله
وهو خلاف ما نص عليه الكتاب من أنه على كل شيء قدير
قلت انما يلزمنا ما ذكرت لو كنا نقول بأنه غير قادر على الجبر
ونحن لا نقول كذلك بل نقول انه لا يفعله لنافاته الحكمة
وازوم القبيح ان قلنا ببقاء الثواب والعقاب مضافا إلى أن المراد
من الآية التعميم للممكن القابل للتأثر والا فما تقول في جمع
القيضين هل هو مقدور وما تقول في جملة الدنيا على سمعتها
في البيضة على صغرها ومثل هذا في الإمتناع فعل القبيح

عند من قال بعدم قدرته عليه فالتخصيص لازم على كل حال (الرابع) انه لو كان الفاعل هو الله لجاز وصفه بما فعل من خير او شر كما وصف بالخالق والرازق من حيث صدر عنه الرزق والخلق وحينئذ فيجوز ان يقال انه صائم وحاج وفاسق وكافر ومنافق وبطلان هذا ضروري من الدين ومجمع عليه بين المسلمين بل بين اهل الملل والاديان وقد قلت لبعض علماء الأشاعرة ما تقول في افعال العباد هل هي مخلوقة لله او للعباد فقال مخلوقة لله فقلت ما تقول في فعل الله تعالى هل يتصف بالقبح فقال لا بل فعله حسن على كل حال فقلت من فعل الايمان في المؤمن فقال فعله الله قلت ومن فعل الكفر في الكافر فقال هو الله تعالى قلت اذا يكون الكفر حسنا كالايمان لتساويهما بالنسبة الى الله فقال نعم قلت فلم لعن الكافر وتوعده بالمذاب الدائم ولما تذرته انتم وتبرؤون منه فقال لا ادري ما اقول وقلت لا آخر منهم في مدينة بيروت وقد مدح رجلا مؤمنا بالصلاة والصوم والصدق ونحو ذلك المجب من مدحك له وهو عار من هذه الصفات فقال كيف تقول ذلك فاني قد رأيته يفعل ما قلته فيه بل هو في الحقيقة قطب

من الأقطاب فقلت هو لم يفعل شيئاً وإنما هو آلة والفاعل هو الله وعليه فلا يستحق المدح فقال إذا هو وشارب الخمر وفاعل الزنا وغيرهما من القبائح سواء قلت نعم لأن كليهما آلة والفعل من الله وبعد فلا يجوز أن تعد السكر والزنا من القبائح لصدورهما عنه تعالى وفعله حسن على كل حال فقال على الفور أنا ابرأ من هذا القول ومن قائله فما تقول انت قلت اقول ان أفعال العباد صدرت منهم باختيارهم والموتربها قدرتهم والتوفيق للخير من الله سبحانه فقال كذلك اقول أنا (الخامس) لو كان الفاعل هو الله لانتفت فائدة الرسل إذا ما أرسلوا لتبليغنا أو أمر الله ونواهيه والزامنا بمجوده وإذا لم يكن لنا اختيار ولا قدرة على الفعل كما هو المفروض كان تبليغهم وإنذارهم بلا طائل ولا زم ذلك العبث والسفه والله منزّه عنه (السادس) ما ورد في الكتاب من الآيات المحكمة المنافية بصريح الدلالة للقول بالجبر منها قوله سبحانه لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي وقوله فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وهي نص في إرجاع الإيمان والكفر إلى مشيئة العبد واختياره ومنها قوله من عمل صالحاً فلنفسه وقوله وليجزى الذين أساءوا بما عملوا وقوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات

وقوله من عمل سيئة فلا يجزي إلا مثلها وقوله وما تفعلوا من خير
 فإن الله يعلمه وقوله لبئس ما كانوا يصنعون وقوله ووفيت كل
 نفس ما كسبت وقوله قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله
 وقوله ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله وما تقدموا
 لأنفسكم من خير تجدوه ومنها قوله وما منع الناس أن
 يؤمنوا وقوله وما منعك أن تسجد وقوله وما لهم عن التذكرة
 معرضين وقوله من شاء اتخذ إلى ربه سبيلا وقوله كيف تكفرون
 بالله وقوله لم تصدقوا عن سبيل الله وقوله لم تكلمون الحق
 وقوله انا هديناه النجدين اما شاكرا واما كفورا ونحو ذلك
 وهو كثير في الكتاب وقد دل بصرحة على اسناد الفعل الى
 المبد من وجوه متعددة لا تخفى مع التأمل (السابع)
 الاخبار المنقولة عن النبي (ص) واهل بيته المعصومين بطريق
 التواتر وهي كثيرة جدا من ذلك ما رواه الأصمعي بن نباته
 قال قام شيخ الى علي بن ابي طالب (ع) بعد انصرافه من صفين
 فقال أخبرنا يا امير المؤمنين عن مسيرنا الى الشام اكان بقضاء الله
 وقدره فقال (ع) والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما وطئنا موطأ
 ولا هبطنا واديا ولا علونا تامة الا بقضاء الله وقدره فقال

الشيخ عند الله احتسب عنائي ما ارى لي من الأجر شيئا فقال
له مه ايها الشيخ عظم الله اجر كم في مسيركم وانتم سائررون وفي
منصرفكم وانتم منصرفون ولم تكونوا في شيء من حالاتكم
مكرهين ولا اليها مضطرين فقال الشيخ كيف والقضاء والقدر
ساقانا فقال ويحك لمالك ظننت قضاء لازما وقد رايتما ولو كان
كذلك لبطل الثواب والعقاب والوعود والوعيد والأمر والنهي
ولم يأت ملامة من الله للذنب ولا محمدة لمحسن ولم يكن
المحسن اولى بالمدح من المسي ولا المسي اولى بالذم من المحسن
تلك مقالة عبدة الاوثان وجنود الشيطان وشهود الزور واهل
العمى عن الثواب وهم قدرية هذه الأمة ومجوسها ان الله
تعالى امر بتحيرا ونهى تحذيرا وكلف يسيرا ولم يمهض مغلوبا
ولم يطع مكرها ولم يرسل الرسل الى خلقه عبثا ولم يخلق
السموات والأرض وما بينهما باطلا ذلك ظن الذين كفروا
فويل للذين كفروا من النار فقال الشيخ وما القضاء والقدر
الذان ما سرنا الا بهما فقال (ع) هو الأمر من الله والحكم
من ذي الحكم ثم تلا قوله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا إلا
إياه اقول مرحى ثم مرحى ومرحبا بهذا الكلام الرشيق

الذي بلغ في الإيجاز حد الإعجاز وكشف عن وجه الصواب
القناع من غير سرية ولا خداع فحبذا انت يا امير المؤمنين ما اقرب
لسانك من ماضيك كلاهما مجده الفصل ولعمري لقد وضع
رسول الله (ص) الشيء في محله إذ نبتك بأقضا الأمة ودعاك
بباب العلم إذ قال انا مدينة العلم وعلي بابها
احتج الأشاعة لما ذهبوا اليه بوجوه (الأول) قوله تعالى إن
الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء وقوله لا ينفكم نصحي
ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم وقوله
لا إله إلا هو خالق كل شيء بدعوى ان افعال المباد من جملة
الأشياء فتكون مخلوقة له تعالى وقوله خلقكم وما تعملون
وغير ذلك من الآيات الظاهرة بإسناد الأعمال خيرها
وشرها الى الله (الثاني) ان الله يعلم بما يفعله العبد قبل فعله
ولو قلنا باختيار العبد يلزم ان نقول يجوز الترك والترك
موجب لانقلاب علم الله جهلا وهو محال فلا بد من القول
بعدم قدرة العبد على الترك وعليه يكون مضطراً إلى الفعل
(الثالث) ان العبد لو كان موجدا لأفعاله لكان عالماً بتفاصيلها
إذ صدور الفعل عن غير عالم به محال والتالي باطل لأن النائم

يصدر عنه الفعل ولا يشتر به فضلا عن ان يعلم بتفاصيله
 (الرابع) ان العبد لو كان له إرادة مؤثرة فأراد الله سكون
 شيء في وقت وأراد العبد تحريكه في ذلك الوقت فإن وقع
 المراد ان لزم اجتماع النقيضين وهو كون الشيء متحركا ساكنا
 في وقت واحد وهو محال وان وقع احدهما دون الآخر لزم
 الترجيح بلا مرجح وحيث لا بد من القول بنفي الإرادة
 المؤثرة عن احدهما ونفيها عن الله سبحانه موجب لمجزه فيتين
 نفيها عن العبد وهو المطلوب (الخامس) ان ارادة الله يجب
 ان تكون متعلقة بكل كائن والا لزم نسبة المجز اليه وحيث لا
 فإن اراد من العبد الطاعة وأراد العبد المعصية فإن وقعت
 المعصية لزم ان يكون الله مغلوبا وهو نقص لا يجوز في حقه
 وعليه فلا بد من وقوع الطاعة من العبد وان لم يردّها وهو
 المطلوب

والجواب اما عن الآيات فبوجوب تأويلها لما عرفت من
 الأدلة القطعية على امتناع الجبر فتحمل الهداية على ارادة الطريق
 والاضلال على الاهلاك وكذا الفواية ويخص الخلق بالأعيان
 دون ما يتجدد من الأفعال بل هو الظاهر منه كما ان الظاهر

من قوله خالقكم وما تعملون الأصنام التي كانوا يعملونها
ويعبدونها والجواب عن الثاني بأن العلم بالشيء لا يمكن
حصوله إلا بعد وجود ذلك الشيء ولو في التصور فهو تابع
للمعلوم متأخر عنه فلو كان مؤثراً به لكان متقدماً عليه وهو
محال وايضا فإن ما ذكر غير مختص بالله تعالى بل لو حصل
لأحدنا العلم بوقوع شيء ولم يكن ذلك جهلا صركيا فلا بد
من وقوعه ايضا ومن المعلوم بالضرورة عدم تأثره بعلمنا واسناد
وجوده اليه والجواب عن الثالث ان صدور الفعل لا يتوقف
على العلم بتفاصيله بل يكفي العلم به اجمالا ومن هنا لم يستدلوا
على ثبوت العلم لله تعالى بايجاده الموجودات بل استدلوا على
ذلك بإتقانها واحكام صنعها والجواب عن الرابع بأن نلتزم
بوقوع مراد الرب لأن ارادته اقوى فيكون الترجيح لها
من حيث القوة والجواب عن الخامس بمنع تعلق ارادة الله تعالى
بكل كائن ان اريد بها ما ينبعث عنها الفعل واريد بها العلم
كان التعلق المذكور حقا ولكنه لا يفيد الخصم لما عرفت من
ان العلم لا يؤثر بالمعلوم هذا مضافا إلى أن الدليل المذكور انما
يتوجه على من قال بأن الله لا يقدر ان يجبر العبد على الطاعة

أو يمنعه عن المصيبة ونحن لا نقول بذلك بل نقول ان الله
يقدّر على ذلك لأنه ممكن وقد تقدم انه قادر على كل ممكن
ودل عليه ايضاً قوله ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
وقوله ولو شاء الله لهداهم ونقول انه مع قدرته على ذلك
لا يفعله لما فيه من منافاة الحكمة والخروج عن سنن التكليف
وقد اشار إلى هذا امير المؤمنين (ع) بقوله لم يمض مغلوباً
ولم يطع مكرهاً وقد قلت لبعض المجبرة ما تقول في رجل نكح
امه في الكعبة في نهار الجمعة من شهر رمضان وتغدى مع
ذلك بلحم الخنزير وشرب الخمر وهو عالم ذاكر غير جاهل
ولا ناس أكان ذلك بإرادة الله تعالى قال نعم فقلت له اخبرنا
عن ابليس ايريد ذلك ام يكرهه قال بل يريد فقلت اخبرنا
عن النبي لو حضر كان يريد ذلك قال لا فقلت يازمكم اذاً
ان تثبوا على ابليس لموافقة ارادته لا بإرادة الله دون النبي لأنه
كره ما أراد الله سبحانه وتعالى عما تقولون وهذا مما لا محيد
لهم عنه ولا يخفى ما في الالتزام به من الفظاعة ومن ثم لزمنا
بسط الكلام في الإرادة وان نفرد لها مجئاً لإزالة الشبهة فنقول

مسألة في الإرادة

اعلم ان الإرادة عبارة عما ينبعث عنه الفعل ولا ريب
 بتقدمها عليه كتقدم القدرة على المقدرة والا ازم إيجاد الفعل
 بلا إرادة لو كانت مقارنة له كما يقول الجبائي وهو محال كما
 انه لا ريب أيضا في وجوب وجود الفعل عند وجودها
 وذلك لأن الله إذا اراد حركة شيئا مثلاً فإما ان توجد الحركة
 عند الإرادة وهو المطلوب أولا توجد في وجود السكون لامتناع
 خلوص الجسم عنهما وعليه فإما ان يكون السكون وجد بلا
 إرادة وهو محال لعدم جواز الغفلة على الله او وجد بإرادة وهو
 أيضا محال لأن المفروض انه يريد للحركة واجتماع الإرادتين
 محال إذا عرفت هذا فاعلم ان الأشاعرة ذهبوا إلى ان الإرادة من
 صفات الله تعالى الواجبة له كالعلم والقدرة وهي متعلقة بكل كائن
 والذي نذهب إليه نحن انه لا يجوز ان يوصف إلا به بالإرادة بمعناها
 المذكور وذلك لأنه إما ان يكون مريدا لنفسه كما هو عالم
 لنفسه او مريدا بإرادة والاول يازمه ان يكون مريدا للأشياء
 كلها قبيحها وحسنها وخيرها وشرها كما انه يعلم بالأشياء
 كلها ويجب حينئذ وجودها لوجود الإرادة وعدم المانع ولازم

هذا نفي القدرة والاختيار عن العبد وحينئذ فيبطل الثواب والعقاب والتكليف ويلزم العبث في إرسال الرسل إلى غير ذلك مما حردنا في مسألة الجبر ، وإن كان مريدا بإرادة فاما أن تكون متجددة وتحدث أنا بعد أن فيلزم تغير الآلة مجدوثها والتغير عليه محال كما بينا في بحث الصفات أو تكون قديمة وحينئذ فيلزم تعدد القدماء وقد بينا فيما سبق أنه لا قدیم سواء وايضا لو قلنا بأن الله يريد بذاته أو بإرادة قديمة فالواجب وجود ما اراد لعدم تخلف المراد عن الإرادة ويجب على هذا وجود الأشياء كلها دفعة واحدة لأنها مرادة له بزعمهم فوجودها في وقت دون وقت دليل على ما قلناه فإن قيل فالمراد بالإرادة الموصوف بها في الكتاب والحديث وهو أكثر من أن يخصى قلنا ان كانت موصوفا بها من حيث فعله كما يقال ان الله يريد حياتي أو فقري مثلا فهي عبارة عن نفس الفعل أو علمه بما اشتمل عليه من المصاحبة الداعية للفعل وان كانت متعلقة بأفعال العبد كما لو قيل انه يريد من العبد الصلاة والصيام مثلا فالمراد بها الأمر والطالب كما انه عند وصفه بالكرهية كما لو قيل ان الله كاره للزنا ويكره الغيبة يراد بها النهي

وطلب الترك ويمكن ايضا حمل الإرادة والكراهة هنا على علمه بداعي الامر والنهي وهو المصلحة في الأمور به والمفسدة في المنهي عنه وعلى كل حال فهما لا يوجبان وجود الفعل قطعا والا لاستحال الطلب من العبد إذ لا يمكنه ايجاد الموجود فإن قلت المفهوم عرفا من لفظ الارادة الحب والميل فهل يجوز ان تكون من صفاته بهذا المعنى قلت لا يجوز لأن الحب والميل ينبعث عن الدواعي والخواطر ومحالها القلب والفكر والآلة والخواطر مستحيلة عن الله تعالى نعم هي بهذا المعنى من صفات المخلوقين

مسألة في انعدام الوجود

ذهب قوم إلى استحالة انعدام الوجود وما يرى من صيرورة الحيوان ترابا مثلا انما هو تحليل التركيب والمنعدم في مثله الصور والهيات والحق الذي يجب المصير اليه ان كلما سوى الله من الموجودات يجوز انعدامه لأنه ممكن والممكن يجوز عليه الوجود والعدم ولو لم يجز عليه العدم لكان واجبا قديما وقد عرفت اختصاص القدم بالله وحده وان ما سواه حادث ولا فرق في ذلك بين النفوس الناطقة وغيرها من الموجودات

لاشتراك الكل في الامكان والحدوث وعدم تعقل انعدام
الموجود وصيرورته لا شيء لا يقتضي امتناعه ومثاله في عدم
تصوره وجود الشيء من عدم وانت تعلم ان الاشياء كلها
وجدت من المدم

مسألة في فناء العالم

ذهب كثير من المحققين إلى أن هذا العالم سيفنى وينتقل
الأمر إلى عالم الآخرة وهذا الطريق لا يثباته بالمقل قالوا يجب
الرجوع في ثبوته إلى الشرع وقد دل عليه من طريق المسلمين
قوله تعالى كل من عليها فان وقوله يوم تبدل الأرض غير
الأرض وقوله يوم نطوي السماء كطي السجل وقوله إذا
الشمس كورت وغير ذلك وهو كثير في الكتاب العزيز إلا
أنه على كثرتة لا صراحة فيه بانعدام الموجودات جميعها بل
ولا ظهور فإن أقوى الآيات دلالة على ما ذكر قوله كل من
عليها فان ولا يخفى عدم عمومها للأرض نفسها ولا للسماء وما
فيها بل انما دلت على فناء ما على الأرض ويحتمل أن يكون المراد به
خصوص الحيوان والمراد بالفناء الموت أي ذهاب الحياة بل
لعله الظاهر منها وحيث فلا تكون دليلا على انعدام الموجودات

نعم هي دالة على تعطيل هذا العالم وتخريبه بتعطيل الأفلاك
وانطماش النيرات وموت الحيوانات وتبدد الجبال وحصول
الاستواء في الأرض وبه يحصل التبديل فيها وهذا ما اعتقده
واقول به ويؤكد ذلك قوله تعالى ويسألونك عن الجبال قل
ينسفها ربي نسفا فيذرها قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا
امتا فإنه ظاهر في بقاء اسفل الجبال المسامت لوجه الأرض
وقوله منها (اي من الأرض) خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم
تارة اخرى فإن اخراجنا من الأرض دليل بقائها وقوله ياويلنا
من بعثنا من صرقدنا وقوله فإذا هم من الأجداث الى ربهم
ينسلون فان انبعاثهم من صرقدهم كانسلاهم من الأجداث
وهي قبورهم دال صريحا على بقاء الأرض وبقاء اجسامهم
المنحلة ترابا في تلك المراقد والا فلامعنى لخروجهم منها ويؤكد
هذا قوله تعالى ايجsb الانسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين
على ان نسوي بنانه وقوله يوم تشقى الأرض عنهم سراعا
وقوله إذا بعثر ما في القبور وقوله من يحيى العظام وهي رميم
قل يحييها الذي انشأها اول مرة ونحو هذا كثير في القرآن
وهو نص في بقاء الاجسام الإنسانية وعدم انعدامها اي

صيرورتها لا شيء

مسألة في الإنسان

اختلف الناس في حقيقة الإنسان فقال بعضهم وهم أكثر
المتزلة على ما حكى عنهم ان الإنسان هو الهيكل المحسوس
المشاهد واستدلوا بإشارة العقلاء اليه بالمخاطبة . او الاخبار
عنه وفيه ان هذا الهيكل يزيد وينقص وتتبدل اجزائه وذهب
العلامة الحلبي إلى انه اجزاء اصلية في هذا البدن باقية مسن
اول العمر الى آخره لا يتطرق اليها التغير والتبديل ولا
الزيادة والنقصان وحكاه عن محققي المتكلمين وعن النظام انه
جسم لطيف داخل في البدن سار في اعضائه فإذا قطع منه جزء
تقلص ما فيه الى باقي اعضائه وإذا قطع بحيث انقطع ذلك
الجسم مات الإنسان وعن ابن الراوندي انه جزء لطيف في
القلب وعن بعض الاطباء أنه الدم لفوات الحياة بخروجه وقال
آخرون انه الأخلاط الأربعة وقيل انه الروح وهي جوهر
مركب من بخارية الأخلاط ولطيفها ومسكنه الأعضاء البدنية
التي هي القلب والدماغ والكبد ومنها تنفذ في الأعصاب
وحكى عن بعضهم أنه قال الإنسان هو المزاج المتبدل وهو

كيفية متوسطة بين كيفيات متضادة لحصول الموت بفساده
وعن آخر انه الحياة وهي عرض قائم في البدن لحصول الموت
بفقدانها وقيل انه جوهر غير جسامي عاقل بالقوة متعلق
بهذا البدن ليديره تعلق الماشق بمشوقه وقد حكى هذا
القول عن المفيد واولاد فونجت من الإمامية وجهور الحكماء
هذا ما وقعت عليه من الأقوال وقد ذكروا الكل واحدا منها
وجهاً ليس بوجيه وقد عرفت أكثرها والذي يساعد عليه
الاعتبار هو ما ذهب اليه المفيد فان الجسم بجملة وكذا
المزاج والحياة يضيفها الإنسان الى نفسه فيقول جسمي
ومزاجي ونحو ذلك وفي هذا دلالة على ان هناك امر يشار
اليه اشارة غير حسية واذا صح ان يضاف اليه الجسم والمزاج
وايضا فان احداً يتمثل جسمه ويتصوره ولو كان الإنسان
هو الجسم المرئي لما امكن ذلك لوجوب التغاير بين المتصور
بالكسر وبين المتصور بالفتح وايضا نجد من انفسنا الانقطاع
والذهول عن هذا الجسم عند الاشتغال في الفكر والتعمق
فيه ولو كنا نفس هذا الجسم او شيئاً منه لما كان مثل ذلك
وقد حدثني بعض المفكرين في مدينة بيروت انه اضطر الى

مراجعة الطبيب لعله كانت فيه وعزم الطبيب على اغفاله
بالبنج ليتمكن من معالجة العلة وعند ذلك احضر قسواه
وفكر في نفسه انه ينقطع عنه الادراك باغفال جسمه اولا فقال
انه كان يرى ويعقل امورا وخيالات وقد انس بها ولكن لم
يذكرها على التفصيل وانه صعب عليه الانقطاع عنها منذ تنبه
من غفلة البنج هذا مضافا الى قوله تعالى الله يتوفى الأنفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها
الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى فانه دل على مساواة
النفس المتوفاة حين الموت والنوم هذا مع بقاء الحركة
والحياة حال النوم وذلك يوجب كون النفس غير الحياة وغير
الجسم ايضا لوجوده في الحالين وغير الدم والاخلاط والمزاج
وغير ذلك مما ذكره وهو واضح وقد حكى عن ابن عباس
ان في بني آدم نفسا وروحا وبينهما مثل شمع الشمس والنفس هي
التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحريك
فاذا نام قبض الله نفسه ولم يقبض روحه واذا مات قبض الله
نفسه وروحه وعن الباقر محمد بن علي بن الحسين (ع) ما من
احد ينام إلا عرجت نفسه الى السما وبقيت روحه في بدنه

وصار بينهما سبب كشماع الشمس فإذا اذن الله في قبض الروح
جذبت الروح النفس وإن لم يأذن بقبضها جذبت النفس الروح
وهو قوله الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها
وما رأت في ملكوت السماء فهو مما له تأويل وما رأت فيما
بين السماء والأرض فهو مما يخياه الشيطان ولا تأويل له وعن
أمير المؤمنين (ع) وقد سئل عن الرويا الصادقة والكاذبة
أنه قال إن الله تعالى خلق الروح وجعل لها سلطانا فسلطانها
النفس فإذا نام العبد خرج الروح وبقي سلطانها فيمر به جيل
من الملائكة وجيل من الجن فما كان من الرويا الصادقة فن
الملائكة وما كان من الكاذبة فن الجن والمراد بالروح هنا
النفس لا الحياة وقوله فسلطانها النفس بالفتح يعني هو الذي
يروحها ويجذبها وعن أبي الحسن موسى الكاظم (ع) قال إن
المرء إذا نام فإن روح الطيران باقية في البدن والذي يخرج
منه روح العقل وعن الباقر (ع) قال إذا ناموا خرجت
أرواحهم إلى السماء فما رأت الروح في السماء فهو الحق وما رأت
في الهواء فهو الأضغاث الألوان الأرواح جنود مجندة فما
تعارف منها اتلف وما تناكر منها اختلف فإذا كانت الروح

في السماء تعارفت وتباغضت فإذا تعارفت في السماء تعارفت
 في الأرض وإذا تباغضت في السماء تباغضت في الأرض
 وغير ذلك من الأخبار الواردة في بيان الروءيا عن اهل بيت
 العلم والنبوة وهي صريحة فيما قلناه ويؤيد ذلك ايضا ما دل
 على تنعيم العبد الصالح بعد الموت وقبل الآخرة من ذلك
 قوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء
 عند ربهم يرزقون وهي كثيرة جدا وفي بعضها ثبوت التمثيب
 لغير الصالح من العباد ومن المعلوم فناء الاجسام والأمزجة
 إلى غير ذلك مما ذكره بالموت فلو لم يكن الإنسان امراً
 آخر قابلاً للألم واللذة لم يكن للتمذيب والتنعيم معنى وكانت
 الآية الشريفة والأخبار المؤيدة لها أشبه باللفظ ويدل على
 ما ذكرناه ايضا قوله (ع) الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا فإن
 الإنسان إذا كان هو الجسم او ما يتعلق فيه من الأخلاط او
 غيرها كما قالوا فالإنتباه غير متصور لتعطيل الآلات المشبهة
 بالموت فلا بد أن يكون الإنسان غيرها وليس إلا النفس
 الناطقة العاقلة والله العالم وعن ابن فضيل الهاشمي قلت لأبي
 عبد الله (ع) لأي علمة جعل الله الارواح في الاجسام بعد كونها

في ملكوته الأعلى فقال ان الله علم ان الارواح في شرفها وعلوها
 متى تركت على حالها نزع اكثرها الى دعوى الربوبية دونه فجعلها
 في الأبدان التي قدرها لها في ابتداء التقدير نظرا لها ورحمة
 واحوج بعضها الى بعض ورفع بعضها فوق بعض وكفى بعضها
 ببعض وارسل اليهم رسلا مبشرين ومنذرين يأمرهم بتطاطي
 العبودية والتواضع لله بالأأنواع التي تعبدهم بها ونصب لهم
 عقوبات في الآجل والآجل ومثوبات في الآجل ليرغبهم في
 الخير ويترهبهم في الشر وليعلمهم بطلب المماش فيعلموا بذلك
 انهم مربوبون وعباد مخلوقون فيقبلوا على عبادته ويستحقوا
 بها نعيم الأبد وجنة الخلد ويأمنوا من النزوع الى ما ليس لهم بحق
 ثم قال يا ابن فضيل ان الله تعالى احسن نظرا بعباده منهم بأنفسهم
 الا ترى انك لا ترى فيهم الاحياء للماو على غيره حتى ان منهم
 من نزع الى دعوى الربوبية ومنهم من نزع الى دعوى النبوة
 بخبر حقها مع ما يرون في انفسهم ومن النقص والعجز
 والمهانة والفقر والآلام المتناوبة عليهم والموت الغالب لهم
 والقاهر لجميعهم

مسألة في المعاد

قد اتفق المسلمون كافة على ثبوت المعاد الجسماني أي إعادة الأجسام مدبرة بالنفوس مفاضنة عليها الحياة كما كانت في الدنيا وهو من ضروريات الإسلام فمن لم يؤمن به لم يكن مسلماً وذهب الحكماء إلى ثبوت المعاد الروحاني أي إعادة النفوس الناطقة دون الأجسام فقد وافقونا من جهة النفوس وخالفونا من جهة الأجسام وهذا التفصيل منهم مبني على قولهم بتقديم النفوس وعدم انعدامها وقولهم بانعدام الأجسام وامتناع إعادةتها وفيه أنه لا فرق بين النفوس والأجسام وإن كلا منهما مصنوع حادث والقدم مختص بالله سبحانه وقد بينا ذلك في أول الكتاب وعليه فاللازم أن يحيزوا على النفوس ما يحيزونه على الأجسام وأما قولهم بانعدام الأجسام فإن عنوا به الإتحال أي انحلال الأجزاء وزوال التركيب فسلم ولكن هذا لا يمنع من جمعها وإعادة تركيبها كما كانت فإن مثله لا يعد انعداماً وإنما المنعدم الصور فقط كما عرفت فيما تقدم وإن عنوا به العدم وصيرورة الأجسام لا شيء فهو ممكن كما بينا إلا أنه لا دليل على وقوعه عقلاً والنقل دل على عدمه كما ذكرنا في

مسألة فناء العالم وكيف كان فيدل على ثبوت المبادئ الجسماني من طريق الشرع قوله تعالى وان كل لما جميع لدينا محضرون وقوله ان كانت الا صبيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون وقوله قالوا يا ويلنا من بئتنا من صرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وقوله اليوم نختم على افواههم وتكلمنا ايديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون وقوله ومنها نخرجكم تارة اخرى وقوله يحييها الذي انشاها اول مرة وغير ذلك وهو كثير في القرآن الشريف بل كاد أن لا تخلوا منه سورة مضافا الى اخبار المرسلين (ع) بذلك المعلوم عنهم بالتواتر والمرسلون يجب تصديقهم لصدقتهم عن الكذب كما استترف في مبحث النبوة وايضا فإن الله سبحانه قد وعد المطيع بالثواب الدائم وتوعد العاصي بالمقاب فلو لم نقل بالمعاد لزم خلف الوعد والكذب وكلاهما قبيح لا يجوز على الله تعالى وايضا فإن المطيع يستحق بطاعته المدح والثواب كما بينا فيما سبق وبعدم اعادته حرمان له وهو ظلم وايضا فإن النرض من الخلق الثواب ولاجله حسن التكليف كما عرفت فلو لم يرجع المطيعين لزم الظلم ولم يكن الغرض غرضا وهو محال ومن

عموم الأدلة علم عدم اختصاص الماد بالإنسان بل يجب إعادة
كل مكلف مخلوق للشواب كالجن والملائكة
مسألة

ما تقول في إعادة غير الإنسان من الحيوان كالوحش
والطير والبهائم قلت في الجواب قد نفى ذلك جماعة ونسبه
بعضهم إلى أهل العدل لا انتفاء التكليف في حقها من حيث
عدم ثبوت العقل لها والحق أن العقل لا يمنع من ذلك لعدم
وقوفنا على حقائقها ومبالغ علمها وحيث أن اللازم الرجوع في
مثله إلى النقل وهو يدل على إعادتها من ذلك قوله تعالى وإذا
الوحوش حشرت وقوله وما من دابة في الأرض ولا طائر
يطير بمجنأه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء
ثم إلى ربهم يحشرون وفي مجمع البيان عن أبي ذر رحمه الله
قال بينما أنا عند رسول الله (ص) إذ انتطحت عنزان فقال النبي
اتدرون فيما انتطحتا فقالوا لا ندري فقال لكن الله يدري
وسيقضي بينهما وفي حكاية النملة مع سايان وتحذيرها للنمل
بقولها ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سايان وجنوده وقصة
الهدد معه أيضا وأخباره له عن بلقيس وقومها وعن تدينهم

ومن عرشها دليل واف على أن لها علما وادراكا كافيا في جواز التكليف ولا فرق بينهما وبين غيرهما من اصناف الحيوان اجماعا وحيثئذ فلا موجب لتأويل الآية واخراج الحشر عن حقيقته على ان حشرها ممكن عقلا لعدم المانع ووقوعه غير مشروط بالتكليف والا لزم ان لا تمام الأطفال والمجانين وهو باطل بالضرورة من الدين وانما المشروط به وجوب الوقوع كما لا يخفى وحيثئذ فما المانع من القول به في حق غير الإنسان من الحيوانات وإن لم تكن مكلفة اخذا بمادل عليه من الكتاب والسنة والله العالم

مسألة في الشواب والعقاب

اعلم ان الشواب يجب دوامه لمستحقه لوعده الله تعالى بذلك ولأن المطيع مستحق للمدح ابدا بلا قيد فيستحق الشواب كذلك واما العقاب فيجب دوامه للكافر لاستحقاقه الذم ابدا ولأن الله توعده بذلك وقد اقدم الكافر عليه فلو لم يدم لكان اخبار الله كذبا تعالى عن ذلك واما العاصي غير الكافر فلا يدوم عذابه قطعا لازوم الظلم مجرماته ثواب الايمان وما فعله من الطاعة وهل يجب عذابه بقدر المعصية قلنا لا دليل

على الوجوب بل يجوز العفو عما عدا الكفر لحسنه ولقوله تعالى
 ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ويجوز
 ان تناله الشفاعة من اولياء الله ورساله صلوات الله عليهم

مسألة

ما تقول في خلود الكافر في المذاب وقد كان عصي الله
 في وقت محدود وربما كان يوما او بمض يوم كما لو عاش مؤثرا
 ثم ارتد عن الايمان قبل الموت بساعة مثلا هل يكون عذابه
 لا إلى نهاية موافقا للمدل قلت نعم وقد اجيب عن هذه الشبهة
 بأجوبة متعددة الا انها لا تنحاز عن ضعف والحق في
 الجواب ان يقال ان الله قد توعد الكافر بذلك واخبره بذلك
 لسان انبيائه فاذا اقدم عليه بسوء اختياره لم يقبح من الحكيم
 مجازاته بما توعد وايضا فإن الكافر مستحق للذم بمصيانته ابدًا
 ومن استحق الذم حسن عقابه وايضا فإن الماضي تماظم في
 نفوسنا على قدر نعم المعصي بها ولذلك عظم عقوق الولد
 لوالده وجات جنابة العبد على سيده بليل انعام السيد عليه
 ولما كانت نعم الله تعالى اعظم قدرا واجل من ان توفي بشكر
 او تحصى بعد وحصر وهي في غاية من الانعام الموافق لمصالح

الأنفس والأجسام كان يستحق الكافر به والجاحد لإحسانه ونعمه ما هو غاية الآلام وغايتها الخلود في النار ولا يخرج هذا الوجه عن تأمل وبما قدمناه كفاية والحمد لله تعالى

مسألة للملاحدة

كثر اللغو في هذه الأيام خصوصا ممن تخلقوا بأخلاق
الفرسين وكادوا ان يكونوا مجانين للدين الإسلامي نابذين
لأحكامه المحكمة وأخلاقه الفاضلة متكبين عن نهجه القويم
وحريقه المستقيم بأنه إذا كان الله جوادا رحيا ولم يخلق الخلق
الالنفهم وليس له حاجة في عذابهم فهلا خلقهم كلهم في الجنة
وأراحهم من صعوبة التكليف والجواب ان يقال لهم ان
الله سبحانه كما ذكرتم لم يخلق الخلق الالنعيم الدائم ولكن
النعيم قسمان قسم مجرد عن التعظيم وقسم معه تعظيم واجلال
ولا ريب في ان الثاني اعلا واشرف ولكنه لا ينال إلا بالطاعة
لقبح تعظيم من لا يستحق التعظيم وعليه فنقول إذا خلق الله
الخلق في الجنة فاما ان يكلفهم ليكونوا في مرض الوصول
الى الأصلح فيعود امرهم الى ما هم فيه من الدنيا ويكون
منهم شقي وسعيد اولا يكلفهم فيلزم الإقتصار بهم على النفع

المجرد وبذلك حرمان من يعلم طاعته من الأصلاح الأنفع
وهو ينافي اللطف والكرم المطلق
مسألة

هلا اختص الله سبحانه بالتكليف من يعلم طاعته لكي
لا يكون محروما من الأصلاح كما ذكرت دون من يعلم منهم
المهصية والكفر وهل لمن يختار الكفر مصالحة بالتكليف
وهل ترى تكليفهم حسنا وقد حصلوا بسببه على الخزي والعذاب
الدائم قلت في الجواب لو قصر الله التكليف على من يعلم
طاعته لكان لمن يعلم منهم المهصية ان يراجعوه ويقولون لم
فضلته علينا وكان على الله ان يمتذر اليهم ويقنعهم والحكيم من
لم يحتاج الى اعتذار بل تكون له الحجة البالغة وايضا فانه
لا يحسن بالكريم ان يعرض في عطاياه لمن يقبلها خاصة بل
عليه بمقتضى الكرم ان يعمم بتعريضها فمن قبلها واخذ منها
اخذ بحظه ومن امتنع حرم نفسه والتكليف ابدافيه تعريض
للثواب فعلى الله سبحانه ان يعممه لمن يعلم طاعته ولغيره كما
هو مقتضى الحكمة وايضا فإن التكليف امر بالحسن ونهي
عن القبيح فهو حسن بنفسه مضافا إلى ما في تحمله من الثواب

المرغوب به وعلم المولى بسوء اختيار العبد وعصيانه لا يصيره
قبيحا ولا يخرج به عن كونه حسنا كما لا يقبح منا الأمر بفعل
اخطير لمن نعلم منه انه لا يفعله وكذا النهي عن الشر لمن نعلم
انه لا يتركه

مسألة

إذا كان الله لطيفا كما قلتم وخلق العباد للشواب فها لا رحم
الكافر وترك خلقه لعلمه بأنه لا يؤمن أو ترك تكليفه وأراحه
من العقاب اليس خلقه وتكليفه والحال هذه لأجل عقابه
وتعذيبه وبهذا يصح القول بالجبر وعدم العدل ويدل عليه أيضا
قوله تعالى في حديث الخلق المشهور هو لاء إلى الجنة ولا إلى
وهو لاء إلى النار ولا إلى وقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا
من الجن والإنس وقول النبي (ص) الشقي شقي في بطن أمه
والسميد سميد في بطن أمه والجواب أن يقال الخلق في نفسه
خير من المدم لما يلزمه من الملائكة وغيره وهو لا
يوجب العقاب ليقبح نعم هو في مرض الأمرين الكفر
والإيمان فإذا انضم إليه التكليف كان إلى الإيمان أقرب منه إلى
الكفر لما فيه من الترغيب والترهيب وحيث أن فيكون فيه

تأهيل المبدل لأن يكون ملكاً منهما ابداً ومثل هذا التأهيل
يجب أن يمد لطفنا وكرماً وعلمه بما يصير إليه المبدل بسوء
اختياره من العقاب لا يصيره قبيحاً ولا يخرج به عن كونه حسناً
ولو سلمنا ذلك لكان اقبح ما في الإنسان عقله اذ به يستحق
اللوم والعقاب لسقوط التكليف عن لا عقل له والمقالة
مجمعون على شرف العقل وعلو منزلته ولو قيل ان العقل
لا يأمر بالشر قلنا والخالق والتكليف كذلك واما الآية فهي
مرسلة على حسب ما علمه الله من حالهم مما يكون اليه مصيرهم
بسوء اختيارهم ويصدق ذلك قوله تعالى وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون فانها دلت على انه خلقهم للعبادة لا لجهنم
فاللام في جهنم للمعاقبة مثلاً فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً
وحزناً فإنهم انما التقطوه ليسروا به ويتخذوه حبيباً واستعمال
اللام في هذا المعنى كثير في النثر والنظم من ذلك قول الشاعر

ام سمالك فلا تجزعي للموت ماتلداً والوالده

قال آخر

ادوا للموت وابنوا للخراب فكلاكم يصير الى التراب
وكذلك الاخبار اي الحكم فيها مرسل على مقتضى

ما علمه الله من سوء اختيارهم وانهم سيصيرون الى العقاب
الخالد اعادنا الله من ذلك

فصل في النبوة

والمراد بهان ينبي الله انسانا بما يصلح العباد وما يضرهم
ويرسله اليهم ليعلمهم ويأمرهم بالصالح النافع وينهاهم عن
القبيح الضار فالنبي (ص) هو المخبر عن الله الامر الناهي
بلسان الله وكيف كان فلا ريب بحسن البعث المذكور
واحتمياج الناس اليه بل لا ريب في وجوبه على الله تعالى لأن
حصول الفرض وهو الثواب متوقف عليه وهو ممكن بلا
مشقة فيجب والا لزم نقض الفرض وهو قبيح وانما قلنا
بتوقف حصول الثواب عليه لتوقفه على الطاعة التي بها يستحق
العبد الثواب والطاعة فرع التكليف كما عرفت فيما سبق
والتكليف شرطه الاعلام لقبح تكليف الجاهل من غير بيان
والاعلام بالبعث فيكون الثواب متوقفا عليه بالضرورة وايضا
فلا ريب بكون الخلق مع النبي (ص) اقرب إلى الطاعة منهم
مع عدمه فيكون النبي (ص) مقربا للطاعة وكل مقرب لها
يجب لاقتضاء الحكمة كما تقدم في وجوب اللطف فراجع

وايضا فإن الناس في معاشهم مضطرون الى الاجتماع والمعاملة
ليتماونوا على اسباب الميشة إذ لا يمكن لأحد ان يقوم بجميع
ما يحتاج اليه من المأكول والملبوس وغير ذلك وقد يقع بينهم
التجاذب والتنازع ومن الممكن لله تعالى بلا مشقة ان يجعل
لهم حدودا ينتهون اليها ويرسل اليهم من يباينهم اياها ويلزمهم
بها حفظا لنظام معاشهم فيجب والا فلو تركوا وشأنهم لاختل
نظام الحياة وكانوا كالوحوش بل اضرى واضل وقد خالف
البراهمة في ذلك فقالوا بعدم الحاجة الى الرسل وأن بالعقل
غنى عنهم وذلك لأن الرسول اما ان يجي بما يوافق العقل
فيكون ما جاء به بلا فائدة او بما يخالفه فلا يمكن التصديق
به مع جزم العقل بخلافه فيجب رده والجواب ان الرسول
لا يأتي بما يخالف العقل غير ان العقل قد يميز عن ادراك
بعض الأشياء من ذلك احكام الشريعة خصوصا في العبادات
منها فيحتاج الى مرشد في مثلها وهو الرسول وان جاء بما
ادركه العقل كان مقرا لحكمه فلا عيب هذا كله مع ان
المستغنى عن النبي في المسائل العقلية قليل جدا وقل ما يوافق
الصواب فالنبي (ص) يؤيد العالم ويرشد الجاهل

مسألة

يجب في النبي (ص) ان يكون افضل اهل زمانه لأنه
 مرسل لا رشادهم وتكميلهم فلو فرض ان فيهم مساويا له
 لزم الترجيح بلا مرجح وان كان فيهم افضل منه لزم تقديم
 المفضول على الفاضل وارساله لتكميل من يجب ان يستكمل
 منه وهو قبيح وقد نفاه السمع قال سبحانه هل يستوي الذين
 يعلمون والذين لا يعلمون

مسألة

تجب في النبي (ص) العصمة قبل النبوة وبمدها والمراد
 بها ملكة قدسية لا يختار معها فعل المصيبة مع قدرته على ذلك
 والدليل على وجوبها عدم انقياد القلوب الى من يفعل القبيح
 او عهد منه ذلك كانقيادها لمن كان معصوما عنه ومن الممكن
 بلا مشقة لله عز وجل ان يرسل لعباده من هو كذلك وبه
 يحصل القرض المطلوب من البعثة وهو تقريب العباد الى
 الطاعة فيجب وايضا وقوع المصيبة من النبي توجب الانكار
 عليه ممن تجب عليهم طاعته وفيه اهانة له وايضا لو جازت
 عليه المصيبة لجاز عليه الكذب لعدم الفرق بينه وبين غيره

من المعاصي وتجوز الكذب يمنع من تصديقه فتنتفي فائدة النبوة وايضا لو جاز عليه الخطأ لوجب اتباعه فيه لقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وفيه اغراء بالجهل والزي انما بحث الارشاد ومن الدليل الأول يعلم انه تجب العصمة في النبي (ص) قبل النبوة وبمدها عن كبائر الذنوب وصنائرها عمدا وسهوا لأن المباد معه اقرب الى الطاعة مما لو لم يكن كذلك ويدل عليه ايضا قوله تعالى ولا ينال عهدى الظالمين والمذنب ظالم لنفسه وكون المراد بالعهد الإمامة لا ينافي الاستدلال بها بل يتم القول في النبي (ص) بطريق اولى على ان النبي امام لأنه يقتدى به وما ذكرناه من وجوب العصمة في النبي (ص) عن سائر الذنوب هو المقطوع به بين اصحابنا الإمامية وقد اضطربت الكلمة بين باقي الفرق فالمعتزلة ذهبت الى ما قلنا غير انها جوزت الصغائر الغير المستخفة بفاعلاها وقوم من الخوارج قالوا يجوز الكفر عليهم اي على الانبياء قبل البعثة وبمدها ومن الأشاعة من جوز الكبائر قبل النبوة ومنهم من جوزها مطلقا عدا الكذب فيما يتعلق بأداء الشريعة ومنهم من جوزها سهوا لا عمدا ومنهم من جوزها بشرط

عدم التجاهز لها لئلا يسقط محله من القلوب ومنهم من جوزها في الأحوال كلها وهذا الشطط والغلط لم يحملهم عليه الا تبرئهم من العدل ومجانبتهم اللطف والموجب منهم كيف جاز لهم ان يصفوا بهذه الصفات الخسيسة نبيا اجتباها الله من عباده وارسله لتكميل اخلاقهم وتطهير نفوسهم من القبائح والذائل وجعل له عليهم الرياسة ولزوم الطاعة في الأمور الدينية بل وفي كثير من الدنيوية وهو مع ذلك امين على شرعه قرن طاعته بطاعته واسمه باسمه والزم بالرجوع اليه فقال اطيعوا الله ورسوله . وما اتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا . وقال لكم برسول الله اسوة حسنة . والموجب فكيف يليق بمن وسموه بتلك الوصية هذا المنصب الجليل وان له التطهير والتكميل وهو من دناءة النفس في محل سحيق يؤثر هواه على طاعة مولاه ولا يقدر على كسر سورة الشهوة حاشا ثم حاشا وتعالى الله عن ان يتكرم بهذه المنزلة الرفيعة الا على رجل امتاز بفضله حسبا ونسبا وخلقوا وخلقوا واجتمعت فيه خلال الكمال وعندئذ تنقاد النفوس اليه ويتم لطف الله بخلقه وتكمل عليهم النعمة ومن ثم اشترط اصحابنا زيادة على العصمة

ان يكون منزها عن كل ما ينفر النفوس من الإتيان اليه
 كعهر الأمهات ودناءة الآباء والميوب الخلقية والخلقية كالجن
 والبخل وضئف الرأي والأمرض القبيحة مثل البرص والجذام
 ونحو ذلك مما ينافي الغرض الذي وجبت لأجله البعثة وهو
 تكملة النفوس وتقريبها الى الطاعة لتنال السعادة الأبدية في
 جنة فيها من نعم الله ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولهم
 فيها ما يدعون

مسألة

يجب تصديق النبي (ص) فيما يخبر به عن الله وغيره
 لأنه معصوم ولأنه مبعوث لهذه الغاية فلا جاز تكذيبه
 انتفت الفائدة ويجب التأسى به في افعاله إذا كانت منه على
 جهة البيان لحكم شرعي للدليل نفسه ولنا ان نفعل كلما فعل ما لم
 يقم دليل على اختصاصه به دوننا لعموم آية التأسى ولا يجب
 على النبي (ص) تعليل الأحكام لعدم الدليل على الوجوب
 ولا يجوز لنا التوقف عن الطاعة إذا لم نعلم الحكمة لعموم
 ما دل على وجوبها

مسألة

تثبت النبوة لمدعيها بظهور المعجز محتجابه على صدق
 دعواه ونعني بالمعجز فعل مالا يقدر عليه البشر عادة كأنشقاق
 القمر وفاق البحر وتكليم الجهاد ونحو ذلك وإنما تثبت النبوة
 به لأنه فعل الله تعالى فلا يجوز أن يظهره إذا كانت الدعوى
 كاذبة لازوم اضلال الخلق وهو قبيح ولا يمكن أن يكون
 مثل ذلك سحراً لأن المفروض أنه جبيء به شاهداً على صدقه
 في دعوى النبوة فيجب على الله إبطاله إن كان سحراً ثلثاً
 يلزم الإغراء بالجهل وعدم معرفة النبي من المتنبئ الكاذب
 وتعلم الدعوى والمعجز بحضور مجاسهما ويمام ذلك من غاب
 عن المجاس بالتواتر وهو إخبار جماعة يستحيل اتفاقهم على
 الكذب ونجبر الواحد إذا حلف بقرائن فاستفيد منه العلم
 بالصدق

مسألة

اعلم أن من المرسلين الذين أرسلهم الله رحمة لمباده سيدنا
 محمد بن عبد الله مؤسس الشرع الإسلامي الخفيف ودل
 على نبوته بالمعجز الذي جاء به مطابقاً لدعواه والمعجز لا يظهر

على يد الكاذب لما عرفت من ان ظهوره على يد الكاذب يوجب
 الإضلال والاغراء بالجهل وهو غير جائز على الله سبحانه
 والذي علينا الآن ان نبين المعجزات المقدمة الأولى وهي
 دعواه النبوة معلومة بالضرورة لا يرتاب فيها احد واما المعجز
 فهو على اقسام (الأول) القرآن واعجازه ظاهر عند من عرف
 البلاغة واسلوب الكلام العربي مضافا الى أنه لو كان مقدورا
 للناس لمورض في هذه المدة الطويلة سيما والدواعي متوفرة
 لذلك من وجوب تحقيق الحق ودفع الضلال والشبهة وعدم
 المماثلة يدل على أنه غير مقدور للخلق ان يأتوا بمثله فيكون
 من فعل الله تعالى بلا ريب وقد جملة آية للنبوة ودليلا على
 الرسالة فتثبت ويدل على جملة آية للنبوة قوله تعالى وإن كنتم
 في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا
 شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن
 تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين
 واقول ايضا مقرا لهذا الدليل ان النبي محمدا بن عبد الله (ص)
 نشأ في قريش وهم طواغيت العرب ومعدن الفصاحة والبلاغة
 وكانوا يتدينون بدين الجاهلية وقد اشرىوا ذلك في قلوبهم

ومضى عليه قرون فقام من بينهم داعيا الى دين يخالف دينهم وعمل يخالف اعمالهم وعاب اربابهم وفرض عليهم التصديق بأمور توجب تسفيه احلامهم والبراءة من اسلافهم واستأثر لنفسه بالزعامة وبين ان له عليهم فرض الطاعة ولم يكن ما دعا اليه من الدين موجودا في الأرض ولا مروفا عند الناس وجعل دليلا على صدقه القرآن لما فيه من ضروب البلاغة المألوفة عند العرب بل كان لهم يومئذ فيها ولع شديد حتى انهم كانوا يتفاخرون بها كالشجاعة وكانوا يجتمعون وقتا خاصا لانشاد الشعر وإذا استحسنوا منه شيئا علقوه على الكعبة التي علقوا فيها اربابهم وكانوا يلجأون اليها في مهماتهم ودعاهم إلى ممارضته بقوله واتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم ثم نسب اليهم المعجز بقوله فإن لم تفعلوا اولن تفعلوا ثم امرهم بالإيمان به وبأن القرآن من عند الله وحذرهم من النار إن لم يجيبوه بقوله فاتقوا النار التي وقودها اي ان لم تؤمنوا وخالفتموني كنتم من اهلها هذا مع ما عندهم من الحماس والحمية وحب ما الفوا عليه آباؤهم وكان قد عرفهم انهم ان لم يجيبوه اختيارا بالنظر إلى حجته الباهرة سيضطروهم إلى الإجابة

وأنه لا يجوز ان يقيم في الأرض وفيها مشرك يعبد الوثن
 مثلهم وقد اقام القرآن حجة عليهم لينقطع منهم المذر وقنع
 منهم بما رضته ان كان عندهم ريب في صدقه وقد عم سائر
 العرب في هذا منهم بقوله وادعو شهداءكم وهذا مما يوجب
 انبعاثهم على المعارضة وابطال دعواه التي هي اكبر في آذانهم
 من الصواعق بل يستهذبون دون استماعها الموت للأسباب
 التي ذكرناها فليت شمري ما الذي اقدمهم عن دحض حجته
 بأن يأتوا بمثلها فإن كان استضافهم لها كما يتوهم اوله لقلة
 جنده فها لا تركوه وشأنه فعل القوي إذا عارضه ضعيف وهل
 يحسن ان ينسب اليهم مثل ذلك وهم ارباب الفصاحة والبلاغة
 ولما اذا اذن عمدوا الى السيف واختاروا الحرب وفيها نهب النفوس
 والأموال وسي النساء والأطفال لم يكن ذلك قطعا الا
 لقيام الحجة عليهم وعجزهم عن دفعها وحال حماسهم العربي
 وحميتهم الجاهلية وكبرياء نفوسهم بينهم وبين اتباع الحق
 ولذا كانوا بعد ان اسلموا يباهون بالقرآن ويتفنون به في
 مجالسهم ويتذاكرونه في اسفارهم واذا صح العجز في حق
 هؤلاء فلا تصح المعارضة لغيرهم الى يوم القيامة إذ من اتى

بمقدمهم من محبي الأدب ودرسة البلاغة همتهم ان يباروهم
وينزلوا في الأدب منزلتهم وهذا دليل قاطع لمن اعطى النظر
حقه على ان القرآن فعل من افعال الخالق لا يقدر على مثله
المخلوقون ومن كان في ريب من ذلك فعليه ان يضرب آباط
الابل ويأتينا بسورة من مثله وليس إلى ذلك من سبيل (الثاني)
ما كان منه صلى الله عليه وسلم من الأفعال الخارقة للمادة
مستشهدا بها على صحة دعواه كتكليم الجهاد وانباع الماء من
بين اصابمه واشباع الخلق الكثير من الزاد القليل والاخبار
بالمعجزات وغير ذلك وهو كثير وقد انهاء بعض علماء المسلمين
إلى ألف معجزة وقد نقلها المسلمون وسطروها في كتبهم وهي
إن لم يكن كل واحد منها متواتر فمجموعها متواتر قطعاً
لاتفاق المسلمين على نقله قرناً عن قرن وجيال بعد جيل ومثل
هذا النقل لا يشك في صدقه لعدم امكان اتفاقهم على الكذب
لكثرتهم الخارجية عن الحد وانتشارهم في الأرض الذي
لا يمكن معه الاجتماع وإذا لم تثبت النبوة عند من غاب عن
مجالس المعجز بمثل هذا الدليل فاللازم ان لا تثبت نبوة احد
من الأنبياء في عصر من الأعصار المتأخرة عن عصر

نبوته وقد اجتمعت مرة مع صاحب لي من النصارى
له علم واطلاع وتذاكرنا الأديان واختلافها وأنه لا يجوز
الرسكون إلى دين الآباء مجردا عن البحث وكان
لي معه يومئذ كلام وهو هذا قلت له ما تقول في نبوة
موسى بن عمران (ع) فقال هو نبي بلا ريب قلت
فمن أين صحت نبوته عندك ولم تكن في عصره ولا شاهدت
شيئا من معجزاته فقال المشاهدة طريق العلم بصدور المعجز
وأنا أعلم بصدوره بطريق النقل فإن النصارى واليهود والمسلمين
مجمعون على أنه ادعى النبوة وقلب العصا حية وفاق البحر
وضرب بعصاه الحجر فأنفجر منه اثنا عشرة عينا وغير ذلك
فقلت لا يجوز عليهم الكذب فقال لا لكثرتهم المستحيل
مهما الكذب ولا انتشارهم في الأرض على وجه لا يمكنهم
الاجتماع والاتفاق فقلت له ما تقول في نبوة محمد (ص) فقال
ليس بنبي فقلت أليس ادعى النبوة قال نعم ولكن لم يأت
عليها بدليل قلت ما تقول في المعجزات التي جاء بها وعددت
له جملة من الخوارق التي فعلها فقال لم تثبت عندي فقلت ان
الذي نقل دعوى النبوة نقل أنه أظهر المعجزات وهم المسلمون

فقال اما دعوى النبوة فقد نقلها المسلمون وغيرهم واما
المسجرات فقد اختص بنقلها المسلمون فقلت هب ان الأرض
كذلك فهل تجوز اتفاق المسلمين على الكذب وهم من
الكثرة والانتشار في الأرض على وجه لا يمكن اتفاقهم
واجتماعهم فإن قلت نعم قلنا يجوز اذا الكذب على من نقل
الحوارق عن موسى بن عمران (ع) قال لا يجوز الكذب
عليهم وما الزمتنا به غير لازم للفرق فإن الناقين عن موسى
أكثر من الناقين عن محمد (ص) فقلت ربما يعد هذا خروجا
عن محل الكلام فإن الأثرية ليس لها دخل في المقام أليس
قلت ان المناط في استحالة الكذب عدم امكان اجتماع المخبرين
واتفاقهم عليه قال نعم قلت اليس هذا متحققا في نقل المسلمين
المتفرقين في اقطار الأرض وهم من الكثرة على وجه لا
يمكنهم التعارف ابدا ومع ذلك ما تقول في مكة التي يحج
اليها المسلمون هل هي موجودة في الدنيا قال نعم قلت رأيتها
قال لا قلت اخبرك النصارى واليهود بوجودها قال لا قلت
فن اين علمت وجودها قال ارى المسلمين يذهبون اليها في
كل عام ويحدثون عنها قلت من رأيت منهم قال اهل هذه

البلاد اعني بلاد الشام وما والاها قلت هو لا يذهبون إلى
الحجاز ويجمعون فاعلمهم يتفقون على ان يكذبوا قال الكذب
على مثلهم مستحيل لكثرتهم وتماقب الداهيين قلت العجب
منك كيف لا يجوز على هؤلاء الكذب لكثرتهم وتجزئه
عليهم وعلى من لا يذهب الى الحج من بلادهم وهم اكثر
منهم وعلى اخوانهم المسلمين الذين هم بالنسبة اليهم من حيث
الكثرة كنسبة البحر الى القطرة وما ادري ماذا يحتاج في
صدرك حتى يحول بينك وبين ما اريده منك مع ان الأمر
واضح فقال إن الأمر كما قلت من امتناع الكذب على
المسلمين فيما نقلوه من الخوارق عن نبيهم ولكن لا يتم لك
الدليل بهذا لأنهم تلقوا عن القرن الأول وهكذا الى صدر
الإسلام فهم صادقون فيما حدثوا به ومعنى صدقهم انهم تلقوه
من الصدر الأول والشأن في اثبات صدق المحدثين من اهل
الصدر الأول واثباته موقوف على ان يكونوا بلغوا من
الكثرة حدا يستحيل معه الكذب وهو غير معاوم فقلت مثل
هذا بعينه يأتي على الدليل الذي صححت به نبوة موسى (ع)
فما يكون من جوابك عنه فهو جوابنا هذا أولاً ونقول

ثانيا ان المنقول شي عظيم يترتب على صحته وكذبه
 ايمان وكفر فهل يجوز في مثله التسامح من اهل الصدر الأول
 وهل يجوز اتفاق القرن الثاني الذي تلقى عنهم على نقالة من
 غير تحقيق للحال وكلا فلا بد من ان يكون انجلي لهم الحق
 وعلموا الصدق بكثرة المخبرين حتى دونوه في اسفارهم
 وجعلوه مستورا في تهيد دينهم ومعتقدهم على انا نحن معاشر
 المسلمين لانتسامح في الأخبار الدينية ولا يجوز لنا ان نهمل
 اسنادها فكل راوينا لا بد ان يصرح بأسم من روى عنه
 وهذا مذكور في كتبنا المعدة لذلك وقد احصى بعض علمائنا
 انبيانا مساوات الله عليه الف معجزة وما من واحدة إلا وقد
 رواها جماعة واسماؤهم مذكورة فهي إذا لم تكن متواترة كلها
 فلا ريت بأن مجموعها متواتر وكل نبي غير نبينا لا يمكن
 تصحيح نبوته في مثل عصرنا بغير هذا الطريق نعم لنبينا
 معجزة اخرى لم يكن مثاها لغيره وهي مشاهدة في كل عصر
 الى يوم القيامة وهي القرآن المجيد وعند هذا سكت الرجل
 ولله المنة علينا بالتوفيق (الثالث) الشريعة الإسلامية التي اثرت
 عنه واستقل بوضعها بل حرم علينا التشريع ونهانا عن القول

الابأذن فقال الله اذن لكم ام على الله تفترون ومع ذلك فقد
 استوفى بها الوقائع وكل ما تتعاقب به افعال العباد من
 الموجودات فلم يترك واقعة الا وجعل لها حكما ولا موجودا
 الا وجعل له حدا من وجوب او تحريم او نذوب او كراهة او
 اباحة وقد اتت على احسن ما يرام من الحكمة والانتظام ولم
 يستطع احد نقض شيء من احكامها ولا الزيادة عليها وكانت
 مرتبطة في العالمين الدنيا والآخرة ومن اطلع عليها متديراً
 ما فيها من الحكم الجلية وقف حائراً وعرف بالضرورة ان
 مثاها غير مستطاع لمخلوق واليك الاشارة اليها اجمالاً لتزداد
 بصيرة في ذلك فنقول الشريعة المحمدية اقسام منها العبادات
 كالصوم والحج والصلاة والطهارات وهي الغسل والوضوء
 والتميم وغير ذلك وهي عبارة عن افعال مخصوصة بترتيب
 مخصوص في اوقات معينة وجعل لها شروطاً وموانع وحدوداً
 تحتاج الإحاطة بها إلى اتفاق شطر من الزمن طويل وغايتها
 الإنقطاع إلى الله تعالى وتذليل النفس خالقها بخوعاً بالعبودية
 واعترافاً له بالربوبية عملاً بما استقل به العقل من لزوم شكر
 النعم وتطهير النفس من رذيلة الكبر والعتو ومنها الزكاة

والحمس وقد جعل لها حدودا وشرائط وموانع هي غاية في الكثرة وآتية على مقتضى الحكمة والغاية منها تركية النفس من رذيلة البخل وخدمة الإنسانية بإعانة المحاويج وبناء المعابد والقناطر وغير ذلك من مصالح العباد ومنها المعاملات كالبيع والرهن والديون والمضاربات والمساقاة والمزارعات والهبات والوقوف والصدقات وغير ذلك مما كان غاية حفظ الأموال والتصرف بها على وجه الصلاح والحكمة وقد جعل لها حدودا منتظمة لا يضيع مال بمراءاتها كما لا يخفى على الواقف عليها ومنها المناكحات وما يتماق بها من الطلاق والخلع والمباراة والإيلاء والظهار وقد جعل لها مسوغات وموانع وحدودا وشرائط يتيه اللب عن معرفتها والوصول إليها والغاية منها طهارة الأنساب وصون الأعراض ولا يخفى ما في ذلك من التشريف للإنسانية على غيرها من أنواع الحيوان ومنها ما آكل والمشارب وما يجوز منها وما لا يجوز وغايته تشريف النفوس عن دنس الجائث وتنميتها بالطيبات وما من محرم طاهر أو نجس الا وفيه سمية وميكروب يجب تجنبه وقد اكتشف الاطباء اليوم كثير من ذلك وصوبوا الرأي المحمدي

في نهيها عنه ومنها القضاء والحدود والقصاص والديات وقد
جعل لها حدودا وشروطا لا يضيع بالوقوف إلى جانبها حق
ولا يطل بحفظها دم ولا يهان بمراعاتها انسان ولا يهتلك
بالالتزام بها عرض ولا يضيع بالممل بها مال وبها يحفظ الأمن
ويسود النظام وذلك من اجل ما تخدم به الانسانية ومنها ما
هو غاية في تركية النفوس من القبايح وتطهيرها من الرذائل
والفضائح كالنهى عن الغيبة والفتنة والنميمة وعقوق الرالدين
وايذاء الجار وهجاء المؤمنين والأمر بصلة الأرحام وشكر
الإحسان وإفشاء السلام وإكرام الضيفان وإغاثة اللهياف وإعانة
الضعيف والكف عن اللغو والصفح عن المسي إلى غير ذلك
من مكارم الأخلاق ومحاسن الصفات التي لا يسع المقام عدّها
ومن اراد الإطلاع عليها فعليه بكتاب مكارم الأخلاق
للطبرسي فقد جمع منها جانبا كبيرا إلى غير ذلك من احكام
شرعه الشريف التي جاءت على احسن طراز وابلغ حكمة
ونظام وقد مضى عليها الأزمان ولم يقدر احد على تبديل شيء
منها او تقيحه وهي بحمد الله محفوظة عند المسلمين لم يزل
اهل العلم منهم يدرسونها جيلا بعد جيل وان الإطلاع عليها

والوقوف على حكمها يحتاج إلى اتفاق عمر طويل فماذا بك بمشرعيها
الذي يلزمه الوقوف على موضوعاتها والعلم بحكمها وما يترتب
عليها من المصالح والمفاسد كي لا تكون عرصة للقليل والقال
والنقض والإبطال وقد قال حلال محمد حلال إلى يوم القيامة
وعرامه حرام إلى يوم القيامة يجوز له بعد هذا القول التهاون
في وضعها والتسامح فيها اليس من اللازم عليه أن يحسن
النظر في تطبيقها على الأزمان وأهلها كي لا يكون لامة للأمة
وضعة لمن يأتي بعده وهل ترى يمكن مثل ذلك لغير علام الغيوب
وهل يمكن لنبينا محمد (ص) أن يأتي بذلك من عند نفسه
مستكلاً وكيف يكون ذلك ومدة نبوته في الأرض لم
تتجاوز ثلاثاً وعشرين سنة وعمره لم يتجاوز ثلاثاً وستين وهو
مع ذلك لم يقف نفسه على التشريع بل كان يتلقى الوافدين
ويكرم الزائرين ومثولاً لإرشاد المباد وتركيتهم وإقامة الحجة
وإبلاغ الدعوى ودفع شبهات المبطلين وإفحام المعاندين وكان
له نساء يتماهدهن وأوراد وعبادات يشغل بها جانباً من وقته
وكان مع ذلك متولياً لسياسة الناس بنفسه في سلمه وأكثر
حروبه وجاء مع ذلك بالقرآن المجيد الذي هو كما عرفت مخالف

للمتاد من كلام العرب في اسلوبه ونظمه وخارج عن طوق
البشر بفصاحته وبلاغته هذا مع ما فيه من الحكم والأحكام
والمواعظ والزواجر والأخبار عما سيكون في مستقبل الدهور
وعما كان في غابرها من قصص الأولين من الفراعنة والنبين
وغيرهم وهو مع ذلك لم يمهّد منه انه ذهب الى مدرسة
تلم فيها او انقطع الى إنسان ولم يكن ذامال ولا سلطان
بل قد تربى يتيما مات ابوه عبد الله وله من العمر شهران
وماتت امه آمنة (ع) وعمره ثلاث سنين وكان في حجر جده
عبد المطالب (ع) ومات جده وله من العمر ثمان سنين فكفله
عمه ابو طالب (ع) وبالجملة فمن وقف على احواله صلى الله
عليه وعلى جملة ما كان منه علم علما ضروريا بأنه مؤيد بتأييد
الله ومساعد بتسديده وانه مخبر عنه وأمر بأمره ونهى بنهية
والحمد لله اذ عرفنا الحق ووقفنا لاتباعه

مسألة

قد عرفت فيما تقدم ان المصية لا تجوز على الأنبياء
وحيث ورد في القرآن ما ينافي بظاهره ذلك في حق نبينا (ص)
وجب التعرض له وبيان المراد منه فنقول من ذلك قوله تعالى

(فوجدك ضالاً فهدى) فقد يتوهم ان المراد منه الضلال عن الدين والهداية اليه وهو ينافي العصمة قبل النبوة وبمدها والجواب انه كما يحتمل ذلك يحتمل ان يكون المراد به الضلال عن الكسب واسباب المعيشة فهده الى ذلك او المراد الضلال عن النبوة فهده اليها ومنحه اياها او الضلال بين مكة والمدينة اي فوجدك تائها لا تدري إلى اين تذهب فهدى اي هداك الى المدينة وسلمك من اعدائك وانت خبير بأن احتمال ما ذكر ليس بأولى مما ذكرنا بل ما ذكرناه أولى ومنه قوله (وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) وانت خبير بأنه ليس في ظاهر هذه ما يمس كرامة النبي (ص) إذا تمنى فيها اما بمعنى التلاوة كما قال حسان تمنى كتاب الله اول ليلة وآخره لاقى حمام المقادر

فيكون المراد ان الرسل من قبلك كان احدهم إذا تلا ما يؤديه الى قومه حرفوا عليه وزادوا فيه ونسب ذلك إلى الشيطان لأنه يكون منهم ذلك بسوسوسته وامابه منى تمنى القلب وتوقع شيء يرجعه فيكون المعنى انه إذا تمنى الرسول ذلك وسوس له الشيطان

تركه وخادعه بفروده فيذهب الله عنه غرور الشيطان ويحكم ما يتمناه وهو ما يريد الله منه وعلى الوجهين لا اشكال فيها ولا ايهاهم نعم انما يتأتى الاشكال اذا صح ما روي من أن النبي (ص) لما رأى إدبار قومه عنه شق عليه ذلك وتحنى في نفسه ان يأتيه الله بما يقربهم منه وتمكن حب ذلك في قلبه فلما انزل عليه (والنجم إذا هوى) أجرى الشيطان على لسانه تلك الفرائيق العلى وان شفاعتهن لترجى فلما سمعت قریش ذلك سرت به واعجبهم تركية آلهتهم فلما انتهى الى السجدة سجد المؤمنون والمشركون جميعا فنزل جبرائيل (ع) معاتبا لرسول الله فحزن لذلك فأنزل الله الآية مسليا له وممزيا ولا يخفى عليك ما في هذه الخرافة من الخط في قدر النبي (ص) فإن مثلها لا يجوز على ضعفاء المؤمن ولا ريب بأن هذه الحكاية موضوعة والا فكيف يصدر مثلها عنه وقد شهد الله له بأنه لا ينطق عن الهوى ومن ذلك قوله تعالى (الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك) بدعوى ان المراد من الوزر الذنب والجواب منع كون المراد بالوزر الذنب لأن الوزر في اللغة الثقل وما يكبد المرء ويغمه واطلاقه على الذنب من

حيث يشغل القلب ويهيمه بالخوف من موأخذته عليه والظاهر
 ان المراد به الأول بقريئة قوله (ورفضنا لك ذكرك إن مع
 العسر يسرا) فكأنه كان مكروبا من حيث مجانبة قومه له
 وإقامتهم على الكفر ومذا على الله كلمته ذهب عنه ذلك
 وانشرح صدره وعلى هذا فلا وجه للتمسك بها على وقوع
 الذنب منه ومن ذلك قوله تعالى (إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر
 لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) وقد ادعوا ان هذه الآية
 صريحة في وقوع الذنب منه والجواب انه لو حمل الذنب على
 معناه وكان منه حقيقة لم يكن معنى لجمال الفتح سببا في زواله
 ومغفرته والظاهر ان المراد به الذنب المنسوب اليه من قومه
 وأنه خرج بزعمهم عن طاعة الآلهة التي يرون عبادتها وبانتصاره
 عليهم وانتلابهم عما هم عليه سقطت ذنوبه عندهم التي
 كانوا يحسبونها ذنوبا واطاف الله المغفرة الى نفسه حيث كان
 الانتصار والفتح مجوله وقوته وعنه تسبب ذلك ولا اقل من
 احتمال في اللفظ فيسقط الاستدلال بها وعلى كل فيجب صرفها
 إلى غير ما يدعون للدليل القطعي على امتناع وقوع الذنوب
 من الأنبياء كما عرفت ومن ذلك قوله تعالى (وائن اشركت

ليجبتان عمالك) فإنه لو لم يكن جائزاً وقوع الشرك منه لما حسن توجه الوعيد اليه والجواب ان القرآن نزل من باب ايك اعني فاسمعي يا جارة ولعل المراد هنا قومه ومثله (يا ايها النبي إذا طلقتم النساء) وايضا فإن الكلام لا يدل على الوقوع وليس يمتنع أن يتوعد الله من يعلم أنه لا يقع منه ذنب مع كونه مقدوراً له والمصمة لا تحيل الذنوب بل تمتنع من اختيارها كما عرفت وللشيعة هنا وجه آخر في الجواب وهو ان النبي (ص) لما نص على امير المؤمنين بالإمامة جاءه قوم من قریش وقالوا يا رسول الله إن الناس قريبو عهد بالإسلام ولا يرضون ان تكون فيكم النبوة والخلافة فلو عدلت فقال لم يكن ذلك عن رأي حتى اخبر فيه بل هو فرض عليّ من الله فقالوا لو اشركت معه غيره فنزلت الآية ولئن اشركت الى آخره ومن ذلك قوله تعالى (عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) بدعوى ان العفو لا يكون إلا عن ذنب وفيه أن هذه تستعمل في الملاحظة مثلها قولنا غفر الله لك لما كان كذا ورحمك الله ولم يكن يتصور القائل ذنباً حال المخاطبة ويؤيد كون المراد ما ذكرناه

عدم تحريم الاذن كما ينبي عنه التعليل ببيان الصادق منهم ومعرفة الكاذب وهذا ليس بواجب قطعا نعم هو اولى وللنبي ان يترك الاولى اي الأكثر نفعا وثوابا بل له ان يترك كثيرا من النوافل ومن ذلك قوله تعالى (واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك واتق الله وتحفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله احق أن تخشاه) بدعوى ان هذا الكلام تضمن عتابا للنبي من حيث انه راقب من لا يجب ان يراقبه واضمر انه يتزوجها بعمده وكان عليه ان يظهره والجواب أن زيدا كان قد تبناه رسول الله وكان من شرع الجاهلية تحريم زوجة الدعي واراد الله نسخ هذا الحكم فأعلم رسوله بان زيدا سيطلق زوجته وامره ان يتزوجها من بعده اذ لا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم فلما حضر زيد لطلاقها لم يمسك النبي عن وعظه خوفا من مشقة تقول المنافقين بمد ذلك إذا تزوجها فأوحى الله الآية وهي لا تدل على لزوم الإظهار وقبح ما كان من الوعظ بل لا يبعد حسن ما كان منه وانما جاء الله بهذه العبارة حيلة على النبي من أن يتهم بسوء او تناله الألسن وهو ايضا مرضي لله سبحانه وان ابنته لا حمل

الكلام على ما ذكر فنقول غايته انه فعل خلاف الأولى ولا يضر في المطلوب واما ما روي من ان النبي (ص) دخل الى بيت زيد فوجد زينب بنت جحش عارية وراها فاعجبته وقال سبحان من خلقك وتمكن حبها من قلبه واضمر ان يتزوجها فلما جاء زيد إلى منزله اخبرته بما كان من النبي (ص) فضى ليطلقها لعلمه بحبه لها فهو في غاية من الضعف مثله لا يجوز على الأنبياء بل ولا على من دونهم ممن له امتياز في الدين ومحل اقتداء مضافا إلى انه لو صحت الرواية بروايتها وقوله سبحان من خلقك فإنها لا تدل على أنه عشتها وهذا القول منه محتمل ان يكون على جهة التمجيد لله لما رأى فيها من كمال الخلق الدال على قدرة الله وحكمته ومن ذلك قوله تعالى (يا ايها النبي لم تحرم ما احل الله لك تبغني مرضات ازواجك والله غفور رحيم) بتقريب ان هذا الكلام قد تضمن العتاب ولا يحسن العتاب إلا عن ذنب والجواب انه ليس في ظاهر هذا الكلام عتاب وكيف يعاتبه الله تعالى على ما ليس بذنب فإن تحريم الرجل بعض نسائه لا رضاء اخرى امر جائز غير ممنوع منه مضافا الى ان مثله كثيرا ما يستعمل في مقام

الشفقة ولا يبعد أن يراد منه ذلك هنا لما تحمله النبي من المشقة في ارضاء نسائه كما ان احدها لو طلق بعض نسائه ليرضي اخرى وكان في ذلك مشقة عليه يقال له لم فأت ذلك ولم طاعتها مقصودا به الا شفاق عليه والتوجه له والقصة المحكية في سبب النزول لا تدل على وقوع الذنب منه وهي انه كان قد قسم الأيام بين ازواجه فلما كان يوم حفصة استأذنته بزيارة أبيها فأذن لها ومذ ذهبت ارسل الى جاريتها مارية فوقع عليها فأنت حفصة فوجدت الباب مغلقا فجلست على الباب فلما خرج رسول الله قالت حفصة انما اذنت لي من اجل هذا ادخلت امتك بيتي ووقفت عليها على فراشي امالي عندك حرمة ولا حق فقال النبي (ص) اليس هي جاريتي وقد اباحها الله لي اسكتي فهي حرام علي وقيل حلف ان لا يطأها ماتمسا بذلك رضاها ثم قال لها فلا تخبري بهذا امرأة منهن وهو عندك امانة فلما خرج رسول الله قرعت الجدار الذي بينها وبين عائشة واخبرتها بالقصة وقالت لقد اراحنا الله منها وكانت هي وعائشة متظاهرتين وقيل انه وقع على مارية في يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فحرم مارية على نفسه وامر حفصة بكتامه

عن عائشة فلم تكتبه فاطمة الله نبيه (ص) على ذلك وهو المدلول عليه بقوله تعالى (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثا فلما نبات به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأني المليم الخبير إن تتوبا إلى الله "يمني حفصة وعائشة" فقد صنعت قلوبكما وإن تظاهرا عليه" أي على النبي " فإن الله هو مولاه "أي ناصره" وجبريل وصالح المؤمنين) قال مجاهد هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد روى ذلك غيره من العامة أيضا والإمامية تروي ذلك وقد روى عن الباقر (ع) أنه قال لقد عرف رسول الله عليا أصحابه مرتين مرة حيث قال من كنت مولاه فعلي مولاه والثانية حيث نزلت هذه الآية فأخذ رسول الله بيد علي وقال أيها الناس هذا صالح المؤمنين وعن أسماء بنت عميس قالت سمعت النبي يقول وصالح المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وذكر في سبب النزول غير ذلك هو أن النبي (ص) كان يمر بعد صلاة الغداة ببيت زينب بنت جحش وقيل أم سلمة وكانت تحبسه وتسقيه عسلا ثم يبيت نساءه واحدة واحدة فغارت عائشة وأسرت إلى صواحبها أن تقول كل واحدة منهن إذا دخل

عليها اني اشم منك رائحة المغافير يا رسول الله وكان (ص) يكره ان يشم منه رائحة كريهة ففعلان ما ارادت عائشة وهو يقول لكل واحدنا شربت عسلا فلما دخل على عائشة اخذت بأنفها فقال لها ما شأنك فقالت اجد ريح المغافير اكلتها يا رسول الله فقال لا ولكن شربت عسلا ثم حلف ان لا يشربه فنزلت الآية لم تحرم ما احل الله لك تبغني مرضات ازواجك ولا يخفى قبح هذه القصة لما فيها من نسبة البله إلى رسول الله وأنه لعبة لنسائه هذا مضافا إلى ان سياق الكلام لا يساعد عليها والله العالم

مسألة

اعلم أنه يجب الايمان بنبوقة الأنبياء السابقين على نبينا (ص) الذين ذكروا في القرآن ومن لم يذكر منهم واخبر عنه النبي لوجوب تصديقه بدليل العصمة وغيره مما تقدم ولقوله تعالى (ما اتاكم الرسول فخذوه) بل يجب الاذعان لكل ما اخبر به من امور الدين والدنيا ومن ذلك انه خاتم الانبياء وأنه لا يدان في الارض بغير دينه الى يوم القيامة

مسألة في نسب رسول الله (ص)

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمته شعبة الحمد
 ابن هاشم واسمته عمرو بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة
 ابن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن
 كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن
 معد بن عدنان ينتهي نسبه الى اسماعيل بن ابراهيم الخليل
 (ص) وامي (ص) آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة
 ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب وقد ولد
 صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة عام الفيل في اليوم الثاني
 عشر من ربيع الأول يوم الجمعة عند الزوال وقيل عند طلوع
 الشمس وقيل ولد في السابع عشر منه عند طلوع الفجر من
 يوم الجمعة وهو المشهور عن ائمتنا أهل البيت ولقد كانوا
 يعظمون هذا اليوم ويكثرون فيه من الصدقة ويتطوعون
 بصيامه وقد امرنا منهم بذلك وله ايراد خاصة مأثورة عن
 أهل البيت هي مذكورة في كتب الأعمال والاول هو
 المعروف بين العامة ورواه في اصول الكافي محمد بن
 يعقوب الكليني ولم يذكر غيره وقد بحث في مكة وله من

العمر اربعون سنة فأقام فيها بعد البعثة ثلاثة عشر عاما ثم هاجر الى المدينة ومات فيها في السنة الحادية عشرة من الهجرة في الثاني عشر من ربيع الاول هكذا روى الكليني في الكتاب المذكور وهو المشهور بين العامة والمشهور عند الامامية انه توفي في الثامن والعشرين من شهر صفر وكان له من العمر ثلاث وستون سنة وقد ايتمه الله تعالى لكي لا يكون عليه رئاسة لأحد فمات ابوه وعمره شهران ومات امه وعمره ثلاث سنين وقد ربي في حجر جده عبد الطالب ومات والنبي من عمره ثمان سنين ثم كفله عمه ابو طالب (ع) فأحسن خدمته صغيرا واطاع الله في نصرته كبيرا ومات ابو طالب استضعفه اهل مكة فخرج منها الى المدينة المنورة التي فيها قبره المقدس الشريف وهو كعبة المسلمين الثانية وقد شرف الله برضايته حليلة بنت ابي ذؤيب السعدية وهي ذات فضل وعقل وشرف وقد قال رسول الله مفتخرا انا الفصح من نطق بالضاد بيد اني من قريش واسترضعت في بني سعد وقد روت حليلة من آياته ما يبهر العقول وهي مذكورة في محالها وقد اغناها الله ببركته وكان لا يرضع الا من ثديها الايمن

قالت حليمة كان الايمن لرسول الله والايسر لولدي ضمرة
وكان ولدي لا يشرب حتى يراه قد شرب قالت ولم ار له قط
ما يرى من الأطفال وكان له وقت واحد ثم لا يعود الا
لغد وكان يكره ان يرى جسده مكشوفاً فكنت اذا كشفتُه
يصيح حتى استره وقالت سمعته وقد تم له من العمر سنة
يقول قدوس قدوس نامت الميون والرحمن لا تأخذه سنة
ولا نوم ولقد ناولتني امرأة كف تمر من صدقة فتأولته منه
وهو ابن ثلاث سنين فرده الي وقال يا اماء لا تأكلي الصدقة
فقد عظمت نعمتك وكثر خيرك قالت فوالله ما قبلتها بمد ذلك
من احد وكان بنو سعد يرون البركات في مقامه بينهم حتى
انهم كانوا اذا عرض لدوابهم بوس اتوا بها اليه ليمسها فيزول
ما بها ولم يزل كذلك الى ان ردت حليمة الى اهله ويحكى ان
الله لما اهبط آدم الى الارض كان نور محمد يلوح في جبهته
وقد اعلمه الله تعالى بحاله وعهد اليه ان لا يقع على حواء الا
وهما طاهران لأجل انتقال النور الى ولده وجهه عهداً باقياً
في عقبه يأخذه كل من كان ذلك النور في وجهه عن ابيه
إلى ان اظهره الله في وجه عبد الله (ع) وكان لا يتزوج من

يبدوني وجهه الا بأطهر النساء واشرفهن حراسة له من
الأدناس ولما كان في وجه عبد الله (ع) عظم امره وعلمت
الأخبار بحاله واخبرت بشأنه الكهان وذاع خبره في البلاد
وروي ان يهود الشام كان عند احبارهم حبة مفوضة في دم
يحيى بن زكريا (ع) وكاثروا قد وجدوا في كتبهم أن إذا رأيت
الجنة بيضاء والدم يقطر فاعلموا أن ابا النبي محمد (ص) قد
ولد فلما رأوا ذلك وتحققوا ولادة عبد الله (ع) عمدوا بأجمعهم
إلى مككة ليقتلوه فصرف الله كيدهم ولم يظفروا به ورجعوا
خائبين وكانوا يقولون ليس هذا النور لعبد الله إنما هو لولده
ثم يجمعون إلى الضاد ثم إذا انتبهوا للإستدلال قالوا هو وورد
موسى وهارن ثم ان وهب بن عبد مناف لما رأى عظم امره
اجتهد في ترويجه آمنة بنته وراسل عبد المطلب في ذلك فزوجه
بها ونقل الله نور نبيه (ص) اليها لما حملت وقد روي عنها من
الآيات التي شاهدتها عند حملها به وعند ولادتها ما يطول
المقام بذكره وكان مما قالت انه اتاني المنخفض وانا وحدي فلما
وضعت رأيت ساجدا قد رفع اصبعه الى السماء كالمضرع ثم
غشيتني سحابة غيبته عن عيني وسمعت منها كلاما ثم اعيد

الي وهو مدرج في ثوب صوف اشد بياضا من الثلج وتحت
حريرة خضراء وولد طاهرا ولم ار شيئا مما تراه النساء وكان
من دلائل ولادته خمود نار المجوس وتزعزع اسرة الملوك
وكلام كثير من الدواب وسقوط الأوثان وهذا كله مسطور
معروف بين المسلمين وروى عن عبد المطالب كما قال كنت
في تلك الليلة في بيت الله الحرام ارم منه شيئا اي يصاحبه فلما
انصف الليل رأيت قد اهوى من جميع جوانبه اثلا كالساجد
إلى ناحية المقام ثم استوى وسمعت يقول الله اكبر رب محمد
المصطفى الآن قد طهرني ربي من المشركين وارجاس لجاهلية
فحرت من ذلك حتى ظننت اني نائم ثم اتيت الى آمنة فسألتها
عن حالها فأخبرتني بولادتها والآيات التي رأتها فقلت لها
اريني المواود فقالت لا سبيل لأحد إلى رويته حتى يمضي
ثلاثة ايام فمضت عند ذلك فقالت هو في ذلك البيت ادخل
ان احببت فلما دخل عبد المطالب تراءى له رجل وقال اليك
يا عبد المطالب لا سبيل لك الى رويته حتى تنقطع عنه زيارة
الملائكة ونحو هذا كثير من آياته وكراماته والمقام لا يساعد
على ان نذكر منها زيادة عما اشرنا اليه وقد اعتنى المسلمون في

جمعها وتدوينها وافردوا لها كتابا خاصة

مسألة

اعلم ان الإمامية تذهب الى ان النبي (ص) لم يولد إلا
 مؤمن فأبأوه مؤمنون من عبد الله إلى آدم (ع) وقد اخذوا
 هذا عن الأئمة من اهل البيت وما يقوله اهل البيت لا يجوز
 خلافه لما ستعرف في مبحث الإمامة ودل عليه ايضا خبر النور
 المتقدم وما ذكر فيه من عهد آدم إلى عقبه الذي يظهر في وجهه
 ذلك النور من ان لا يأتي زوجته إلا وهما طاهران إلى أن
 ينتقل النور اليها فإنهم لو لم يكونوا عارفين بالله مؤمنين
 بأنبيائه لما وقع منهم ذلك العهد موقع القبول

مسألة

قطع الإمامية بإيمان ابي طالب وحكي عن الزيدية وقليل
 من غيرهم والباقيون قالوا بأنه مات على الكفر لنا على إيمانه
 امور (الأول) أنه صح عن ائمتنا من اهل البيت وما صح
 عنهم بحج الإذعان به لأنهم سفينة النجاة واحد الثقلين
 الذين لن يضل من تمسك بهما ولغير ذلك مما سذكروه في
 مبحث الإمامة من ذلك ما روي عن الرضا (ع) انه كتب

إلى محمد بن إبان أما بعد فمن ينبغي غير سبيل المؤمنين نوله
ما تولى إنك ان لم تقر بإيمان أبي طالب كان مصيرك إلى النار وعن
الصادق قال يا يونس ما يقول الناس في أبي طالب قلت جعلت
فذلك يقولون هو في شخص صاح من نار تغلي منه أم رأسه فقال
كذب أعداء الله إن أبا طالب من رفقاء النبيين والصديقين
وعن أمير المؤمنين أنه كان جالسا في الرحبة والناس حوله
فقام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين أنت بالمكان الذي جمالك
الله فيه وأبوك معذب بالنار فقال له مه فض الله فاك والذي
بعث محمدا بالحق نبيا لو شفع أبي في كل مذنب على وجه
الأرض لشفعه الله ألبي يعذب في النار وابنه قسيم الجنة والنار
وهذه الأخبار كغيرها مروية بالأسانيد الصحيحة هذا مع
أن أصحابنا مجمعون على ذلك واجماعهم يكشف عن رأي أهل
البيت لأن من أصولهم تحريم مخالفتهم ووجوب الأخذ عنهم
وذلك يقضي عليهم بالبحث عن آرائهم وأقوالهم ومما لا يخفى
عليهم ما يقولون (الثاني) ما روي من طريق الإمامة عن عبد
الله بن عباس قال لرسول الله (ص) ما ترجو لأبي طالب
فقال كل خير أرجوه من ربي وعن أبي بكر أنه جاء بأبيه

أبي قحافة وقت الفتح إلى النبي (ص) وكان أعمى وهو شيخ كبير فقال النبي (ص) هلا تركت الشيخ حتى نأتيه فقال أبو بكر أردت أن يؤجره الله أما والذي بميثك بالحق لانا كنت أشد فرحاً بإسلام عمك أبي طالب مني بإسلام أبي، الشمس بذلك قرّة عينك فقال صدقت هذا مع ما صح عن النبي (ص) أنه توجع عليه وحزن لموته وسمى عام الحزن وانه ترحم عليه واستغفر له لما تلي عليه قوله فيه

وابيض يستسقى الفمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
ولو كان كافراً لما جاز ذلك (الثالث) أشعاره المأثورة عنه وهي كثيرة في مدح النبي وقد تضمنت الإقرار بالدين والنبوة وهي أن لم تكن متواترة كلها وثابتة أنها له فلا ريب بتواتر مجدوعها بل اللامية التي منها
الم تعلموا أن ابننا مكذب لدينا ولم نعبأ بقليل الأباطل

وقوله

وايئده رب المباد بنصره واظهر ديننا حقه غير باطل
قد بلغت في الاشتهار حداً يحصل به العلم الضروري
بأنها من قوله وعليه فلا وجه للتوقف في إيمانه ولا للبحث فيه

وسنذكر طرفا من اشماره وبوقرفاك عليها يزداد عجبك
من تجاسر القوم وجراتهم على الخلاف لنا في مثل هذا الأمر
الضروري وليتنا وقفنا لهم على دليل غير حديث الضحضاخ وان
النبي قال ان ربي وعدي بتخفيف عذاب أبي طالب لما صنع
في حقي وانه في ضحضاخ من نار تقلي منه ام رأسه ورووا
عن علي انه لما مات ابره جاء الى النبي (ص) وقال ان عمك
الضال قد قضى فما الذي تأمرني وعن النبي (ص) انه قيل له
لو استغفرت لأبويك فقال لو استغفرت لهما لا استغفرت
لأبي طالب فإنه صنع معي ما لم يصنعه وان عبد الله وآمنه واباطالب
جرات من جرات جهنم ونحو ذلك من الأخبار التي تفردوا
بنقلها ولو صحت لما خفيت على اهل البيت وهم الذين نص
عليهم رسول الله بأنهم لن يفارقوا القرآن حتى يوم القيامة
والقرآن معصوم وقد احصى كل شيء فاللازم ان يكونوا
كذلك وايضا لو صحت لوقف عليها الزيدية والإمامية
لاعتنائهم بالعلم ولم يزالوا إلى الآن وايضا هي عندهم لم تكن
بالشهرة في محل يعول عليه واكثرها مقاطيع والمسند والمشهور
بينهم خبر الضحضاخ وهو على شهرته مأخوذ عن المنيرة بن

شبهة فقط واشتهاره كان من بعده ونصبه لبني هاشم وعلى
الأخص لملي (ع) مشهور معلوم وفسقه أبين من الشمس
فكيف يجوز التحويل على روايته في حق أعدائه وكيف يتهجم
مؤمن بمثل هذا الخبر على نسبة الكفر لرجل يقول يا شاهد
الله علي فاشهد

إني على دين النبي أحمد من ضل في الدين فإني مهتدي
ويقول

لقد أكرم الله النبي محمدا فأكرم خلق الله في الناس أحمد
وشق له من اسمه ليحمله فذو العرش محمود وهذا محمد
ويقول لأخيه حمزة

فصبرا أبا يمل على دين أحمد وكن مظهرا للدين وفقت صابرا
وحط من أتى بالحق من عند ربه بصدق وعزم لا تكن جز كافرا
فقد سرنى إذ قلت أنك مؤمن فكن لرسول الله في الله ناصرا
وباد قريشا بالذي قد أتته جهارا وقل ما كان أحمد ساحرا
ولو جاز أن يكون مثله كافرا مع هذا الإقرار لجاز أن
يقول بكفر كل مؤمن عدا النبي والمعصومين من آل الله لعدم
إطلاعنا على سرائرهم والأقوال لا تكفي في الحكم بالإيمان

بمقتضى الفرض وإن فرقوا في الإقرار ما بين النظم والنثر
 واعتبروا الثاني دون الأول كان الكلام معهم ساقطا ولم يكن
 ذلك منهم بأول غفلة ومهما يكن فلا يكاد ينقضي تمجيد
 من اندفاعهم على هذا الرجل المارغب المجاهد مع ما له على
 الإسلام والمسلمين من الايادي الجليلة وليتني اعرف السبب
 ولعله من باب غير الضرورة واعجب من هذا واغرب توقف ابن ابي
 الحديد في امره وقد روى اكثر اشعاره اوجلاها وذكر جملة مما
 روي عن اثنتا (ع) ولم يكنه ذلك دليلا على إيمانه وتوقف
 في صدره رسالة النفس الزكية يعني محمد بن عبد الله بن الحسن
 إلى المنصور حيث قال فيها انا ابن خير الأختيار وانا ابن شر
 الأشرار انا ابن سيد اهل الجنة وانا ابن سيد اهل النار قال
 ابن ابي الحديد فإن هذه شهادة منه على ابي طالب بالكفر وهو
 ابنه وغير متهم عليه وعهده قريب من عهد النبي (ص) لم يطل
 الزمان فيكون الخبر مفتعلا انتهى اقول النفس الزكية كان
 معاصرا لجعفر الصادق ولم يكن عنده علمه وفضله فلم لم يقف
 في صدره شهادة الصادق بأن ابا طالب من رفقاء النبيين ولم
 يقف في صدره شهادة ابي جعفر وقد سماه رسول الله باقر

العلم وقد سئل عما يقوله الناس في ابي طالب وانه في ضحضاح من نار فقال لو وضع ايمان ابي طالب في كفة ميزان وايمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح ايمانه ثم قال لم يعلموا أن امير المؤمنين كان يأمر ان يحج عن عبد الله وابي طالب في حياته واوصى في وصيته بالحج عنهما ولم تقف في صدره شهادة علي بن الحسين وهو زين العابدين وسيد الساجدين وقد سئل عن انه في ضحضاح من نار فقال واعجباه ان الله تعالى نهى رسول الله ان يقر مسامة على نكاح كافر وقد كانت فاطمة بنت اسد من السابقات إلى الإسلام ولم تزل تحت ابي طالب حتى مات ولم تقف في صدره شهادة امير المؤمنين وهو باب العلم وقال فيه النبي علي مع الحق والحق مع علي بأنه لو شفع اي ابو طالب بكل مذهب لشفعه الله أترى طال العهد بينهم وبين زمان رسول الله ام ليسوا من اهل العلم ليعتني بأقوالهم ام فيهم من الصفات ما ينافي قبول الشهادة منهم اليس النفس الزكية وابوه وسائر الهاشميين كانوا يلوذون بهم في الشدائد والمعضلات الدينية وغيرها وإن كان رد شهادتهم لبعد زمانه عن زمانهم فيكون الوهم في الإفتعال عنهم

لا منهم اي يكون الشك في صدق الحاكمين عنهم فهلا جاز
عنده فيما روي عن النفس الزكية ما جاز في ذلك وهما في
البعد عنه سواء هذا مع ان قوله انا ابن شر الأشرار يدل
صرحاً على افتعال الرسالة او جهل مرسلها لمنافاتها للمشهور
عندهم عن النبي (ص) أنه قال وعدني بتخفيف عذابيه مضافاً
إلى أنه لم يكن بأعدى للحق من ابي جهل فكيف يكون
شراً منه وايم الحق إن هذا الموقف يستحق ان يخف فيه
الحليم ويجهل الوقور الحكيم إذ أنه لم يرد شهادة اثنتا وهم
امان اهل الأرض وسفينة النجاة الا لسوء ظنه بهم بوسوسة
نفسه انهم ربما يكون جرهم إلى ذلك حب الآباء والافتخار
بهم وهذا لا يستحلونه منهم مسلم او لسوء ظنه بشيئتهم وانهم
اختلفوا تلك الأخبار وهذا جهل منه واضح لأن حملة تلك
الأخبار علماء أبرار لا يستحلون الكذب سيما على اولياء الله
الذين من ممتددهم انهم سفراء الله في أرضه وشأنهم في كل
مسألة البحث والتنقيب ولا يفتنون بالقشر ومن راجع كتبهم
المعدة للبحث عن الرجال عام انهم لا يعملون إلا بما اخبر به
المؤمن العدل والعدالة عندهم ملائكة قدسية تبعث على الطاعة

وتجنب المصيبة لا ظهور الإسلام ويشترط في التزكية عندهم
عدالة المزكين أيضا هذا مضافا إلى أن الأخبار التي ذكرناها
بعضها مروية بطريق أهل السنة كحديث أبي بكر وغيره أيضا
وعليه فيتعين كون الرد من حيث إساءة الظن بآل محمد وإتهامهم
بالتفيرة على أبيهم وربما يفهم هذا من قوله في ترجيح قبول
رسالة النفس الزكية وهو ابنه وغير متهم عليه وبهذا
بانت مرارته أي ابن أبي الحديد لأهل البيت وشيعتهم وكفاه
ذلك جناية على نفسه

قال أبو طالب وذلك لما رأى رسول الله (ص) قائما يصلي
وعلمي إلى جانبه وأمر ابنه جعفر بأن يصل جناح ابن عمه فقام
جعفر إلى جانبه الآخر

ان عليا وجعفر ا ثقتي عند ملأ الخطوب والنوب
لا تخذلا وانصرا ابن عمكما اخي لأمي من بينهم وابي
والله لا اخذل النبي ولا يخذله من بني ذو حسب
وقال سلام الله عليه

افيقوا بني غالب وانتهروا عن الغي في بعض ذا المنطق
والا فإني إذن خائف بوائق في داركم تلتقي

تجسكون لشا بركم عبدة
كما ذاق من كان من قبلكم
غداة اتهم بها صرصر
فحمل عليهم بها سخطه
غداة يثوص بهرقوبها
واعجب من ذاك في امركم
بكف الذي قام من خبثه
فأبسه الله في كفه
وفي هذا الشعر ما لا يخفى من الاعتراف لله بالقدره
والآيات الباهرة وفي قياسه قومه في ثمود وعاد وتذكيرهم بما
اصيبوا به من مكرهم بصالح برهان واضح على ايمانه بأن
امر محمد (ص) كأمر صالح (ع) ولصالح آية وهي الناقة
ولمحمد (ص) آية وهو الحجر الملق وقصة الحجر هي ان
ابا جهل جاء للنبي وبيده حجر يريد أن يرميه به إذا سجد فلما
سجد رسول الله رفع ابو جهل يده فيبست ولصق الحجر بها
فرجع إلى قومه فقالوا له جئت قال لا ولكن رأيت بيني
وبينه كهية الفحل ينظر بذنبه وعندها اندفع ابو طالب قائلاً

أفيتموا بني غالب النخ وفي مجمع البيان روى الطبري بأسناده
أن رؤساء قريش اجتمعوا على أبي طالب وقالوا جئناك بفتى
قريش جمالا وجودا وشهامة وهو عمارة بن الوليد تدفعه إليك
وتدفع اليها ابن أخيك لنقتله فقد فرق جماعتنا وسفه احلامنا
فقال ما انصفتُموني تعطوني ابنكم فأغذوه واعطيكم ابنتنا
اتقتلوه بلى فلبأت كل منكم بآبائه فأقتله ثم اعطيكم ابني وقال
نصرت الرسول رسول الملك ببيض تاللا كأمع البروق
اذب واجهي رسول الآله حاية حام عليه شفيق
وما ان اذب لأعدائه ديب البكار حذار الفتيق
وايكن اذير لهم ساميا كما زار ليث بفيل مضيق
وحكي عن المؤمن انه قال اسلم أبو طالب بهذه الأبيات
ومن شعره اللامية المشهورة ومنها

اجود برب البيت من كل طاعن

علينا بسوء او ملح بباطل

ومن فاجر يغتابنا بمغيبة

ومن ملحق في الدين ما لم نحاول

كذبتهم وبيت الله يهزي (١) محمد
ولما نطاعن دونه وناضل
ونصره حتى نصرع دونه
ونذهل عن ابنائنا والحلائل
وينهض قوم بالحديد اليكم
نهوض الروايا من طريق جلائل
وإنا وبيت الله ان جدد جلدنا
لتلتبسن اسماؤنا بالأمانيل
بكل فتى مثل الشهاب سميذع
أخي ثقة عند اللفيظة ياسر
وما ترك قوم لا ابا لك سيدا
يحوط الذمار غير نكس مواكل
وابيض يستمقى الفمام بوجهه
ثمال اليتامي عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل هاشم
فهم عنده في نعمة وفسواضل

وميزان صدق لا يخيس شميرة
 ووزان عدل وزنه غير غائل
 لم تلموا ان ابننا لا مكذب
 لدينا ولم نعبأ بهيل الأباطل
 لعمرى لقد كلفت وجدا باحمد
 وأحببته حب الحبيب المواصل
 وجدت بنفسي دونه وحيته
 ودافعت عنه بالذرى والكمال كل
 فلا زال في الدنيا جمالا لأهلها
 وشينا لمن عادى وزين المحافل
 حلما رشيدا حازما غير طائش
 يوالي إله الخلق ليس بماحل
 وإيده رب المباد بنصره
 وظهر ديننا حقه غير باطل
 فانظر ايديك الله الى قوله وميزان صدق ووزان عدل
 وقوله ان ابننا لا مكذب لدينا وقوله يوالي إله الخلق ليس بماحل
 وقوله وظهر ديننا حقه غير باطل ترى فيه آيات باهرات

ودلالات بينات على جلاله ابي طالب وعظمه في الدين واوضح
من ذلك بيان مدحه لابن اخيه وهو يتيمة وريث نعمته ومستصم
بظله يأكل من زاده ويأوي إلى بيته كأحد اولاده
بمثل هذا المديح الذي لا يليق بغير مالك مسلط وهو
مع ذلك شيخ البطحاء وجلياها فالأما الشرب في نفسه من سر
النبوة وخاصيتها لما سوغت له امرته وجلالته ذلك وروى انه
لما قطع عتبة او شعبة بن ربيعة رجل ابي عبيدة بن الحرث
ابن المطلب يوم بدر اشبل عليه علي وحزة فاستقذاه منه
وخطا عتبة باسميافهما واحتملا صاحبهما إلى المريش فالتقياه بين
يدي رسول الله وان مخ ساقه ليسيل فقال يا رسول الله لو كان
ابو طالب حيا لعلم أنه قد صدق في قوله

كذبتهم ورب البيت نخلي محمدا ولما نطعن دونه ونناضل
وننصره حتى نصرع دونه ونذهل عن ابنائنا واللائل
فاستغفر رسول الله ولا ابي طالب وروي ايضا أن اعرابيا
جاء إلى رسول الله في عام حذب فقال اتينا يا رسول الله ولم يبق
لنا صبي يرتضع ولا شارف يخور ثم انشد

اتيناك والمذراء تسمى لبائنا وقد شغلت ام الرضيع عن الطفل

والتي بكفيه الفتى لاستكانة من الجوع حتى ما يمر ولا يحلي
ولا شيء مما يأكل الناس عندنا سوى الخنظل النامي والعلف والفيل
وليس لنا إلا اليك فرارنا وابن فرار الناس إلا إلى الرسل
فقام النبي (ص) يجر رداءه حتى صعد المنبر فحمد الله
وقال اللهم اسقنا غيثا مغيثا مريثا هنيئا مريئا سحبا سجالا غيثا
طبقا دائما درارا تحيي به الارض وتنبت به الزرع وتدر به
الضرع واجعله سقيا نافعا عاجلا غير راثف فوالله ما رد رسول
الله (ص) يده إلى نحره حتى طبقت السماء رواقها وجاء الناس
يضيئون الفرق الفرق يا رسول الله فقال اللهم حيي الينا ولا علمينا
فانجاب السحاب عن المدينة حتى استدار حولها كالاكلیل
فضحك رسول الله حتى بدت نواجذه ثم قال لا لله در ابي طالب
لو كان حيا لقرت عينه من ينشدنا قوله فقام علي (ع) وقال
لملك ارددت قوله

وابيض يستسقى الفمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة الارامل
قال اجل فأنشده ابياتا من القصيدة ورسول الله يستغفر
لأبي طالب وهو على المنبر فقام رجل من كنانة وأنشد
لك الحمد والحمد ممن شكر سقينا بوجهه النبي المطر

دعا الله خالقه دعوة اليه فأشخص منه البصر
 فما كان الا كما ساعة او اقصر حتى رأينا الدور
 دفاق المزالى وجم البواق اغاث به الله عليا مضر
 فكان كما قاله عمه ابو طالب ذو رواء غرر
 به يسر الله صوب الفمام فهذا البيان وذاك الخبر
 فمن يشكر الله يلق المزيد ومن يكفر الله يلق الغير
 فقال رسول الله ان يكن شاعر احسن فقد احسنت
 وقد ذكر هذه القصة والتي قبلها ابن ابي الحديد في شرح النهج
 ومن شعر ابي طالب قوله
 فلا تسفهوا احلامكم في محمد ولا تتبعوا امر التوااة الاشائم
 تميتكم ان تقتلوه وإنا امانىكم هذى كأحلام نائم
 وانكم والله لا تقتلونه ولما تروا قطف اللحي والجماجم
 زعمتم بأننا مسلمون محمدًا ولما نقاذف دونه ونراجم
 من القوم مفضل ابي على العدى تمكن في الفرعين من آل هاشم
 امين حبيب في العباد مسوم بنجائتم رب قاهر للجرائم
 يرى الناس برهانا عليه وهيبة وما جاهل في قومه مثل عالم
 نبي اتاه الوحي من عند ربه ومن قال لا يقرع بهاسن نادم

تطيف به جرثومة هاشمية يردون عنه كل باغ وظالم

ومن شعره

الا ابلغنا عني على ذات بينها لويًا وخصا من لوي بني كعب
الم تعلموا انا وجدنا محمدا نبيا كموسى خطّني اول الكتب
وان عليه في الابد محبة ولا حيف فيمن خصه الله في الحب
وان الذي رقصتم في كتابكم يكون لكم يوما كراغية السغب
افيقوا افيقوا قبل ان تحفز الزبا ويصبح من لم يحزن ذنبا كذي ذنب
ولا تشبهوا امر الفواة وتقطموا او اصرنا بعد المودة والقرب
وتستجلبوا حربا عوانا وربما امر على من ذاقه جاب الحرب
فلسنا وبيت الله نسلم احمدا لطخياء من عض الزمان ولا كرب
ولما تبين منا ومنكم سواف وايد اُترت بالمهنددة الشهب
بمترك ضنك ترى قصد القنا به والضباع العرج تمكف كالشرب
كان مجال الخيل في حجراته وغنمة الابطال معركة الحرب
اليس ابونا هاشم شد ازره واوصى بنيه بالطعان وبالضرب
ولسنا نمل الحرب حتى تملنا ولا نشتي مما ينوب من النكب
والكننا اهل الحفاظ والنهي اذا طار ارواح الكماة من الرعب
ولا يخفى ما في قوله وجدنا محمدا نبيا كموسى في خط

اول الكتب من صريح الدلالة على وقوفه على امر النبي (ص)
 قبل كونه وأن هذا امر مقرر لديه اوله وآخره بل قوله في
 اول الكتب يرشد الى أنه من خزنة العلم وحجة العهد فإن
 كون محمد كذلك امر لا يعلمه الا اولياء الله الذين اشتصهم
 لسره وقد اشار بقوله فإن الذي رقصتم في كتابكم الى
 الصحيفة التي كتبها قريش على قطيمة بنى هاشم وعلقوها
 في الكعبة وكانوا لا يواصلونهم ولا يعاملونهم ولا يناكحونهم
 واقاموا بشعبهم سنتين او ثلاثا وكانت قريش مع ذلك تجهد
 على ان لا يصل اليهم شيء من الطعام حتى اذا ضاق ببني هاشم
 الامر قيض الله هشاماً بن عمرو وكان ذا شرف في قومه
 بني عامر فكان يوقر البعير تمر وغير تمر ويأتي به الى فم الشعب
 ويتزع خطامه من رأسه ويضربه على جنبه فيدخل الشعب
 فيأخذ بنو هاشم ما عليه ثم يأتي به مرة اخرى وهكذا ثم
 انه مشى الى زهير بن امية المخزومي وقال يا زهير ارضيت
 ان تأكل وتشرب واخوالك حيث علمت لا يواصلون ولا
 يتاعون ولا يتاع منهم اما اني احلف لو كانوا اخوال ابي
 الحكم ودعوته لمقاطعتهم لما اجابك كما اجبته فقال ويحك

ماذا اصنع وانا رجل واحد لو كان معي آخر لقمتم في نقض هذه الصحيفة المقاطعة قال وجدت رجلا قال من هو قال انا فقال ابنا ثالثا فذهب إلى مطعم ابن عدي فقال يا مطعم ارضيت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف يعني بني المطلب وعبد المطلب جوعا وجهدا فقال ويحك ما اصنع وانا واحد قال وجدت ثانيا قال من هو قال انا قال ابنا ثالثا قال وجدت قال من هو قال زهير بن امية قال ابنا رابعا فذهب إلى ابي البختري بن هشام فقال له مثل ما قال لمطعم فقال هل من احد يمين على هذا الأمر قال نعم وذكر له مطعم وزهير قال ابنا خامسا فذهب إلى زمعة بن الأسود من بني عبد العزى فكلمه بذلك فقال هل لنا من يميننا على ذلك قال نعم وذكر له الجماعة فأجاب إلى ذلك واجتمعوا ليلا في اعلام مكة وتماقدوا على نقض الصحيفة وقال زهير انا ابدأكم في الكلام فلما اصبحتوا غدوا إلى انديتهم وغدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت سبعا ثم اقبل على قريش وقال يا اهل مكة انا كل ونلبس وبنوا هاشم هلكى والله لا اقدم حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة فقال له ابو جهل كذبت والله لا تشق فقال زمعه

لأبي جهل بل كذبت أنت والله ما رضينا فيها يوم كتبت حتى
نرضى ببقائها ونهض أبو البختري وقال صدق زمعه لا نرضى
بها ولا نقر بما كتب فيها فقال مطعم لقد صدقوا وكذب من
قال غير ذلك ونحن نبرأ إلى الله منها ومما فيها ثم قام هشام
وقال مثل قولهم فقال أبو جهل هذا امر قضي بلبيل فتناولها
مطعم فوجدوا الأرضة قد اكتمها لم يبق منها إلا معجل بسماك
اللههم وقد كان كتبها بخط منصور بن عكرمة حكي ان
يده شات ولما مزقت الصحيفة خرج بنو هاشم من الحصار ولم
يزل أبو طالب مستمرا على حماية رسول الله (ص) ونصرته
إلى ان مات

ومن شعره عليه الرحمة

ملك الناس ليس له شريك هو الوهاب والمبدي المعيد
ومن تحت السماء له بحق ومن فوق السماء له عبيد
ومن شعره قوله

يرجون منا خطة دون نيلها ضراب وطعن بالوشيج المقوم
يرجون ان نسحق بقتل محمد ولم تحتضب سمر العوالي من الدم
كذبتهم وبيت الله حتى تعرفوا جاحم تلقى بالخطيم وزمزم

وتقطع ارحام وتنسى حليلاً حليلاً ويفشى محرم بعد محرم
 على ما مضى من مقتكم وعقوقكم وغشيانكم في امرنا كل ماثم
 بظلم نبي جاء يدعو إلى الهدى وامر اثنى من عند ذي الرش قيم
 فلا تحسبونا مسلميه ومثله إذا كان في قوم فليس بمسلم
 وفي شرح النهج لابن ابي الحديد وفي غيره ايضاً أنه
 لما استفحل امر النبي (ص) وجد في ابلاغ الدعوة وابان
 ضلال قريش مشى اشرافهم إلى ابي طالب وقالوا إن ابن
 اخيك سب آلهتنا واءاب ديننا وسفه احلامنا وضال آرائنا فإما
 أن تكفه عنا وتخلي بيننا وبينه فقال لهم ابو طالب قولوا جميلاً
 وردهم بلطف فانصرفوا واستمر النبي (ص) على ما هو عليه
 فاشتد التضامن وعظم التباعد بينه وبين سائر قريش حتى
 اكثروا من ذكره وحض بعضهم بعضاً على اغتياله وقتله
 فمشوا إلى ابي طالب مرة ثانية وقالوا له ان لك سناً وشرفاً
 غنياً وانا قد طلبنا منك ان تكف ابن اخيك فلم تفعل وانا
 والله لا نصبر على شتم آبائنا وعيب آلهتنا فإما ان تكفه عنا
 او ننازله واياك حتى يهلك احد الفريقين وانصرفوا فمظم على
 ابي طالب فراق قومه ولم تطب نفسه بهداوتهم فقال للنبي

يا ابن اخي ان قومك قد جاؤوني وقالوا كذا وكذا فأبى
عليّ وعلى نفسك فقال يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني
والقمر في شمالي على ان اترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره
الله او اهلك ثم استعبر وقام فلما ولى ناداه ابو طالب اقبل
يا ابن اخي فرجع فقال اذهب فقل ما احببت ثم انشد

والله ان يصلوا اليك بجمعهم حتى اوسد في التراب دفيناً
فاصدع بأمرك ما عليك مخافة وابشر وقر بذلك منك عيوننا
ودعوتني وزعمت انك ناصحي ولقد صدقت وكنت قبل امينا
وعرضت ديننا قد علمت بأنه من خير اديان البرية ديننا
وقال كما هو مذكور في البحار

إذا اجتمعت يوما قریش لمفخر فمبد مناف سرها وصديعها
وإن حضرت اشراف عبد منافها ففني هاشم اشرافها وقديعها
ففيهم نبي الله اعني محمداً هو المصطفى من سرها وكريمها
تداعت قریش غشها وسمينها علينا فلم تظفر وطاشت حلومها

وفي شرح ابن ابي الحديد كان ابو طالب كثيراً ما يخاف
على رسول الله ان يبيتوه إذا عرفوا مضجعه فكان يقيمه ليلاً
من منامه ويأمر ولده علياً بأن ينام مكانه فقال علي (ع) ليلة

يا ابيه اني مقتول فقال ابو طالب
اصبرن يا بني فالصبر احبى
قد بلى الله والبلاء شديد
بفداء الحبيب وابن الحبيب
ان تصباك المنون فالتبلى تبرى
فمصيب منها وغير مصيب
كل حي وان تلى بعمر
آخذ من مذاقها بنصيب
فأجابه علي وقال

أثأمرني بالصبر في نصر احمد
ووالله ما قلت الذي قلت جازعا
ولكنني احببت ان ترى نصرتي
وتعلم اني لم ازل لك طائما
سأسعى لوجه الله في نصر احمد
نبي الهدى المحمود طمنا ولا ويا فما
ومن شعره مخاطبا به رسول الله (ص) ويأمره باظهار الدعوى
لا يمنعنك من حق تقوم به
ايدي تصول ولا سلق بأصوات
فإن كفك كفي ان يليت بهم
ودون نفسك نفسي في الللمات

ومن شعره

امن تذكر دهر غير مأمون
اصبحت مكتئبا تبكي كحزون
ام من تذكر اقوام ذوي سفه
يفشون بالظلم من يدعوا إلى الدين
الا ترون اذل الله جمعكم
اذا غضبنا لعثمان بن مظعون
ونمنع الضيم من يبغي مضيمتنا
بكل مطرد في الكف مسنون

ومرهفات كأن الملح خالطها يشفى بها الداء من هام المجانين
 حتى تفر رجال لا حلوم لها بعد الصعوبة بالأسماع واللين
 اويؤنوا بكتاب منزل عجب على نبي كموسى او كذي النون
 وذكر المؤرخون أنه لما هاجر جعفر (ع) ابن ابي طالب
 إلى الحبشة ومعه جماعة من المؤمنين وذلك قبل هجرة النبي
 (ص) من مكة خرج عمرو بن العاص متوجهاً إلى الحبشة
 ليكيد جعفر واصحابه عند النجاشي فخاف لذلك ابر طالب
 وانشد

الا ليت شعري كيف في الناس جعفر
 وعمرو واعداء النبي الأقارب
 وهل نال احسان النجاشي جعفر
 واصحابه ام عاق عن ذاك شاغب
 ثم كتب إلى النجاشي في ابيات وهي هذه

اتعلم ملك الحبش ان محمداً نبي كموسى والمسيح بن مريم
 اتى بهدي مثل الذي اتيا به و كل بأمر الله يهدي ويمصم
 وانكم تتلون في كتابكم بصدق حديث لا حديث الترجم
 فلا تجملوا لله ندأ واسلموا وإن طريق الحق ليس بمظالم

ومن شعره قوله

تطاول ليالي بهم نصب	ودمعي كسح السقاء السرب
للمب قصي بأحلامها	وهل يرجع الظلم بعد الدرب
ونفي قصي بشي هاشم	كنفي الطهارة لطاف الخطب
وقالوا لأحمد انت امرؤ	خاوف الحديث ضعيف السبب
الا ان احمد قد جاءهم	بحق ولم يأتهم بالكذب
فأني ومن حج من راكب	لكعبة مكة ذات الحجب
تناولون احمد او تصطلوا	ظباة الرماح وحد القضب
وتعترفوا بين ابياتكم	صدور الموالي وخيلا شرب
تراهن من بين صافي السيب	قصير الخزام طويل اللب
عليها صناديد من هاشم	هم الأنجبون مع المنتخب

ومنه قوله وقد حضرته الوفاة

أوصي بنصر النبي الخير مشهده

علياً ابني وشيخ القوم عباسا

وحمزة الأسد الحامي حقيقة

وجعفر ان يذودوا دونه الناسا

كنونا فدى لكم امي وما ولدت
 في نصر احمد دون الناس اتراسا
 بكل ابيض مصقول عوارضه
 تخاله في سواد الليل مقبلا
 وقال لابنه طالب

ابني طالب ان شيخك ناصح فيما يقول مدد لك راتق
 فاعضد قواه يا بني وكن له اني بجدك لا محالة لاحق
 اترى اراه واللواء امامه وعلي ابني اللواء معتق
 اتراه يشفع لي ويرحم عبرتي هيهات اني لا محالة زاهق
 وقال

فامسى ابن عبد الله فينا مصدقا على سخط من قومنا غير معتب
 فلا تحسبونا مسامين محمدا الذي غيرة منا ولا متفرب
 ستمنعه منا يد هاشمية مر كبا في الناس خير مر كب
 فلا والذي تحدى له كل نضوة طليح بجني نخلة فالمحصب
 عينا صدقنا الله فيها ولم نكن لنحلف بطلا بالعتيق المحجب
 نفارقه حتى نصرع حوله وما بال تكذيب النبي المقرب
 هذا ما اردنا ايراده من شعره وبه كفاية لمن اعطى النظر

حقه وانصفه . وفي البحر عن ابي علي الموضح ان امير المؤمنين
رثاه بقوله

ابا طالب عصمة المستجير وغيث المحول ونور الظلم
لقد هددت فقتلك اهل الحفاظ فصلى عليك ولي النعم
واقبالك ربك رضوانه لقد كنت للظاهر من خير عم

فصل في عبد المطالب

هو جده النبي (ص) واسمه شعبة الحمد والمطالب عمه اخو
هاشم قد اخذه لما مات ابوه وهو صغير فرباه وكان مذاق
به سئل عنه فقال هو عبيد لذك سمي عبد المطالب وهو من
المؤمنين بلا ريب عندنا لما صحح عن ائمتنا من اهل البيت وقد
عرفت ما دل عليه حديث نور النبي (ص) من ايمان كل من
انتقل اليه وعن النبي (ص) قال يا علي ان عبد المطالب كان
لا يستقسم بالأزلام ولا يعبد الأصنام ولا يأكل ما ذبح على
على النصب وكان يقول انا على دين ابراهيم (ع) وقد ورد
في كتب السير والتاريخ ما يدل على ذلك اي على انه من
المؤمنين وخزنة العلم العارفين من ذلك قصة الفيل وهي مشهورة
بل متفق عليها ومجملها أن ملك الحبشة لما استولى على اليمن

وكان نائبه فيها ابرهة بن الصباح الأشرم وكنيته ابو يكوم
 بنى فيها بيتا وجعل فيه قبابا من الذهب وسماه الكعبة واصر
 الناس بالحج اليها ونهاهم عن الحج إلى الكعبة التي هي في
 مكة وان رجلا من بني كنانة قدم من الحجاز إلى اليمن فنظر
 إلى كعبتها وقضى فيها حاجته ثم جاء ابرهة فوجد فيها المذرة
 فقال من اجترأ على هذا وذهب وهمه إلى الكناني فحلف ان
 يهدم الكعبة المكية حتى لا يحجها حاج ودعا بالفيل وأذن
 قومه بالخروج ومن اتبعه من اهل اليمن وجد السير حتى بلغ
 الطائف فبعثوا معه دليلا اسمه نفيل وهو من هذيل فلما قربوا
 من مكة بعثوا اليها مقدمتهم وخرجت قريش وتفرقوا في
 الجبال وقالوا لا طاقة لنا بهؤلاء وبقي عبد المطلب واولاده
 وشيعة من بني عبد الدار وكان يتولى حجابة البيت وكانت
 قد اصابته مقدمة ابرهة ابلا لقريش منها ماتا بعير لعبد المطلب
 وقيل إنها لم تصب غير ابل عبد المطلب فشئى إلى ابرهة وكان
 حاجبه معرفة بعبد المطلب وقيل هو ابن دايته فلما رأه استأذن
 له وقال لأبرهة هذا ملك العرب وديانها وهو سيد
 قريش الذي يطعم انسهافي الحي ووحشها في الجبل فقال له

ادخله فلما رآه اعظمه ونزل عن سريره وجلس معه على الأرض
ثم قال ما حاجتك فقال إن اصحاب الملك اصابوا ابلي فإن
أمر ردها الي فقال عجباً لقوم سودوك لقد رأيتك فأعجبني
ثم تكلمت فزهدت فيك فقال ولم قال لأنني جئت لأهدم
البيت الذي فيه عزك وشرفك فهلا سألتني الرجوع عنه
ولو سألتني لأجبتك جئت تسألن ابلانك فقال ايها الملك ان
الابل لي وانا ربها فسألتك اطلاقها وان للبيت ربا
يدافع عنه فقال اني غاد لمدممه لأنظر ماذا يفعل معي واهـ
برد الابل فرجع عبد المطالب الى الحرم فلما كان السحر من
تلك الليلة وسمع صوت هاتف يقول يا اهل مكة اتاكم جحفل
جرار يملأ القفار عليهم لينة الجبار فأجابه عبد المطالب

ايها الداعي لقد اسمعتني	كلما قلت وما بي من صمم
ان للبيت اربا مانعا	من يرده باثم يصطلم
رامه تبع في اجناده	حمير والحى من آل ارم
هاكت بالبقي منهم جرهم	بعد طسم وجديس وجشم
وكذاك الأمر فيمن كاده	ليس امر الله بالأمر الأمم
نحن آل الله فيما قد خلا	ذاك فينا من على عهد ابرهم

نعرف الله وفيها شيمته صلة الرحم ونوفي بالذمم
لم يزل لله فينا حجة يدفع الله بها عنا النقم
وانا في كل دور ككرة نعرف الدين وطورا في العجم
فاذا ما بلغ الدور إلى منتهى الوقت اتى الطين قدم
بكتاب فصلت آياته فيه تبيان احاديث الأئم

ثم اخذ بمضادتي باب الكعبة وأنشأ يقول

لا هم ان المرء نفع حله فامنع حلالك
لا يغالوا بصايهم ومعالهم عدوا محالك
لا يدخلوا البيت الحرا موصرا لاهي ما بدالك
ثم ان ابرهة واصحابه ادخلوا في السجر ليصبحوا مكة
فبعثوا فيهم فلم ينبعث فضربوه وهو يتمرغ وما زالوا حتى
اوشك الصباح فوجهوه إلى جهة اليمن فأقبل يهرول فأرجموه
متوجها نحو الكعبة فوقف ولم يزالوا كذلك إلى ان اصبحوا
فأرسل عبد المطلب ابنه الحرث إلى اعلا ابي قبيس وقال انظر
ماذا يأتيك من قبل البحر فذهب ورجع ولم ير شيئا ثم لم يزل
يرسل اولاده واحدا بعد آخر ولم يروا شيئا ثم ارسل عبد الله
والد النبي (ص) وكان غلاما فقال اذهب فدالك ابي وامي

فذهب ورجع مسرعا وقال ياسيد النادي رأيت سحابا من
 قبل البحر يسفل تارة ويرتفع اخرى ان قلت غيا قلته وإن قلت
 جهاما خاتمه فنادى عبد المطلب ارجعوا يا معشر قريش إلى
 منازلكم فقد اتاكم الله بالنصر فأقبلت الطير واصحاب الفيل
 يمالجونه ولها اكف كأكف الكلاب وفي منقاد كل واحد
 حجر وفي رجليه حجران وقيل ان الحجر اصغر من الحمص
 واكبر من العدس وكانت ترميه على قمم الرؤوس فيخرج
 مع الأمعاء من الأدبار وتبقى الأجساد فارغة كالسنبل المأكول
 حبه وكان عبد المطلب يرتجز حينئذ

يارب لا ارجولهم سواكا يارب فامنع منهم حماكا
 ان عدو البيت من عاداكا انهم لم يقهروا قواكا
 وقيل ان الحجارة لم تصب كل القوم بل اقلت البعض
 وهو خلاف الظاهر من قوله تعالى (فجعلهم كعصف مأكول)
 اي اصحاب الفيل ولعل المراد بأصحاب الفيل اهل الحبش
 دون من تبعهم من اليمن قيل وكانوا يطلبون في اثناء ذلك
 نفيلاً ليدهم على الطريق ونفيل استعصم في مكة مع اهله
 وكان يشهد

حمدت الله اذ عاينت طيرا وخفت حجارة تلقى علينا
 وكل القوم يسأل عن نفيل كأن علياً للجيشان ديناً
 وهذه القصة قد اتفق عليها المؤرخون ولا يخفى ما فيها
 من الأسرار لمبد المطالب وقد حكاه الله في كتابه العزيز
 ولم تنكرها قریش مع حرصهم على تكذيب النبي (ص)
 وهي حجة قاصمة لظهور الملحدين الذين انكروا الخوارق
 المادية وحملوا ما كان في سواف الأزمئة من الصحة والحسف
 والريح العقيم ونحو ذلك على الطبيعة اذ لا يمكنهم هنا ان
 يردوا الى الطبيعة ارسال جماعات من الطير معها احجار في
 مناقيرها وارجلها مهياة لهلاك قوم معينين قصدتهم بها دون
 ما سواهم وهذا امر يوجب التأمل به حصول العلم الضروري
 بأنه من فعل الرب القادر المختار مسبب الاسباب ومذلل
 الصواب اعاذنا الله من سخطه

ومن ذلك القصة المشهورة في حفره لبئر زمزم وما
 اشتملت عليه من الكرامات التي لا يكون مثلها الا لنبي
 او ولي ومجملها على ما حكاه ابن ابي الحديد وغيره أن عبد
 المطالب رأى في منامه من يقول له احفر بئر زمزم قال وما

زهرم قال تراث ابيك آدم وبنك الا قدم عند الفرث والدم
والغراب الاعصم وانه قد رأى ذلك في ثلاث ليال متواليات
فذهب إلى الحرم الشريف فينأه وجالس وإذا ببقرة افلتت من
الجزارين فجاءت إلى ان وقعت في الحرم فذبحت مكانها وإذا
بغراب اعصم اي احدى رجليه بيضاء وقع على فرثها ودمها
فقال عبد المطلب هذا تأويل رؤياي فحفر في الموضع فصعب
عليه فنذر ان يقرب بعض ولده إذا انبط الله الماء فلما انبطه
له وجد فيه غزالين من ذهب وسموفا ودروعاً فحمل
الغزالين زينة في الكعبة واخذ السيوف والدروع وقال هذه
وديعة مضاض الجرهمي بن الحارث الذي يقول

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا

انيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى نحن كنا اهلها فأبادنا

صروف الليالي والجدود العواثر

والقصيدة طويلة . ثم عهد إلى ذبح واحد من ولده وفاء

بنذره فقالت قريش اقرع بينهم وكانوا عشرة او احدى عشر
فخرجت القرعة على عبد الله والد النبي (ص) فقال له

بشو مخزوم افده بمالك فقرع بينه وبين عشرة من الأبل فوقمت
 القرعة عليه ولم يزل يزد من الأبل حتى بلغت مائة وقيل
 ألفا فوقمت القرعة عليها فنحروها وبذلك يقول رسول الله (ص)
 انا ابن الذبيحين يعني اسماعيل بن ابراهيم الحليل (ع) وعبد
 الله بن عبد المطلب قالوا ولما رأيت قريش ما اتاح الله لعبد
 المطلب من الماء حسدوه وقالوا نحن شركاؤك فيه لأنه تراث
 ابينا اسماعيل فقال لهم انا نبئت به دونكم وأريته في منامي
 فطابوه للمحاكمة إلى سعد بن هذيم أحد الكهنة وكان بأطراف
 الشام فركب عبد المطلب في نفر من بني عبد مناف وخرج
 معه من كل قبيلة من قبائل قريش جماعة فلما كانوا في بعض
 المفاوز بين الحجاز والشام نفذ الماء من عبد المطلب وبني
 ابيه وعطشوا عطشا شديدا فاستسقوا قومهم فلم يستقوهم
 وقالوا نخاف ان يصيبنا كما اصابكم فقال عبد المطلب لأصحابه
 فليحفر كل واحد منكم حفرة بما معه من القوة فإذا مات
 دفن فيها ففعلوا وقعدوا ينتظرون الموت فقال عبد المطلب
 لا يحسن ان نسلم لمهجر فاضربوا بهذه الأرض فمسي ان نجد
 ماء فقاموا الى روادهم وركب راحلته وبعثها فانبعث الماء

من تحت خفها فكبر ونزل وشربوا واستقوا وقال لقريش
دونكم الماء فقد سقانا الله واياكم فلما شربوا وتروّدوا قالوا قد
قضى الله لك علينا ان الذي سقاك الماء في هذه الفلاة هو
الذي سقاك بئرا فرجعوا وخلوا ما بينه وبين البئر
مسألة

الإمامة رياسة عامة في امور الدين والسياسة نيابة عن
الذي وهي واجبة عند الإمامية واكثر المسلمين بل لم يخالف
في ذلك سوى اخوارج وشاذن غيرهم لا يعابهم وهم مع
ذلك محجوجون بأدلة الوجوب وهي امور (الأول) ان الإمام
مقرب للطاعة بترغيبه في الثواب وترهيبه من العقاب وقدرته
على قطع المنازعات والخصومات ومن الممكن لله تعالى ان
يفعل معهم هذا اللطف فيجب لأن امتناعه عن ذلك اما لبخل
او لحاجة اولي لشيء بل عبثا والكل لا يجوز عليه (الثاني) انه
قد ثبت بالضرورة عموم التكليف ان تأخر عن عصر النبي
(ص) وعليه فيجب حفظ الشريعة وتبليغها للمتأخرين والا لزم
التكليف بما لا يطاق ولا يمكن حفظها إلا بالإمام العالم
بها فيجب وهذا والذي قبله يدلان على وجوبها على الله فإن

قيل ان الشريعة محفوظة بالكتاب والسنة قلنا الكتاب
يحتمل الوجوه المختلفة فهو محتاج إلى مفسر هو الإمام لوجوب
الإقناع بقوله دون غيره وأما السنة فليست كلها متواترة
وغير المتواتر منها يجوز عليه التبديل والنقص لجواز الكذب
والسهو والنسيان على الناقلين ولذا وقع الخلاف بين المسلمين
والنجا من لا يقول بعصمة الإمام إلى اكمال الدين بالقياس
والاستحسان (الثالث) انه يجب على الأمة اقامة الحدود
وسد الثغور وحماية الإسلام ولا يمكن ذلك إلا بإمام فيجب
لوجوب ما لا يتم الواجب إلا به وهذا يدل على وجوب نصبه
على الأمة كما تقول السنة (الرابع) قوله صلى الله عليه في
الطبر المشهور بين الفريقين الإمامية والسنة وغيرهم من مات
ولم يعرف امام زمانه مات على دين الجاهلية واستدلوا أيضا
على الوجوب بإجماع الصحابة وقالوا انه من اهم الواجبات
ولذا اشتغلوا به عن تجهيز رسول الله (ص) وفيه ان الاجماع المذكور
لم يتحقق لتخلف بني هاشم وكثير من غيرهم منهم الزبير
وابو سفيان وابو ذر وسلمان واجماع غيرهم مجردا عنهم لا دليل
على اعتباره لعدم وجوب العصمة فيهم

مسألة

اعلم انه يجب للإمام ما يجب للنبي (ص) من الإجلال والخضوع لأمره ونهيه ويدل على ذلك مضافا إلى انتفاء فائدة الإمامة على تقدير عدم قوله تعالى (اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الأمر منكم) فقد دلت على ايجاب الطاعة بالأمر وعلى كونه كالنبي في ذلك بالمطابق لإقتضائه التشريك

مسألة

اعلم انه يجب ان يكون الإمام افضل اهل زمانه وخالف في ذلك اهل السنة والجماعة فجوزوا امامة المفضول مع وجود من هو افضل منه ولنا على ما اخترناه امور (الأول) ان التعظيم لا يحسن إلا بالاستحقاق وتمظيم الفاضل زيادة على مساويه او على من هو افضل منه لا بد ان يكون بخير استحقاق عملا بالفرض وهو قبيح (الثاني) أن الإمام يجب على الناس اجلاله وطاعته والأفضل اولى بذلك من غيره فارجاز تقديم المفضول لزم ان نقول بأن الله اوجب طاعته واجلاله دون الافضل وفي ذلك ارتكاب خلاف الأولى وهو قبيح لا يجوز على الله تعالى ومخالف لما عليه العقلاء وقد نفاه سبحانه بقوله

(هل يستوي الذين يملكون والذين لا يملكون) وبقوله (افن يهدي إلى الحق احق أن يتبع امن لا يهدي إلا أن يهدي فما لكم كيف تحكمون) وفي الآيتين دلالة واضحة على لزوم تقديم الأفضل وتقرير ما عليه العقلاء (الثالث) ان الإمام يجب ان يكون حافظا للشريعة لما عرفت والمفضل لا يقدر على ذلك لأنه جاهل ببعضها كما هو اللازم من الفرض وحفظ ما يحمله غير مقدور وتكليفه به تكليف بما لا يطاق (الرابع) قوله تعالى (اطيعوا الله والرسول واولي الأمر) فإن اطلاق الأمر بالطاعة مع حذف المتعلق اي ما يطاع به يقتضي عمومه ويؤكد ذلك مساواته للنبي (ص) كما دل عليه العطف مع توحيد الأمر ولازم ذلك ان يكون معصوما عن الخطأ وعالما بما تحتاج اليه الناس كي لا يأمر بجهل أو معصية فيجب اطاعته فيهما وهو قبيح لا يجوز على الله تعالى ويؤكد هذا قوله تعالى (ولو ردوه إلى الرسول وإلى اولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه) فإن مشاركة اولي الأمر للرسول في وجوب الرجوع اليهم وشهادته لهم بأنهم يعلمون ما يراجعون فيه يقضي بأن لهم منزلة النبي علما وعصمة والا لكان مثل هذا اغراء بالجهل تعالى الله عن ذلك

وإذا ثبت وجوب العصمة امتنع تقديم المفضول لانتفائها فيه
ويدل على لزوم العصمة ايضا ما اشرنا اليه في وجه الحاجة إلى
الامام وتقريره ان نقول لا ريب في ان الناس مع المعصوم
يكونون اقرب للطاعة والصلاح منهم إلى المعصية ليل النفوس
اليه وعدم تهمتها له وعدم تطرق الشبهة في اقواله ومن الممكن
ان يفعل ذلك فيهم بلا مشقة فامتناعه من ذلك لا يخلو
من ان يكون عن حاجة اليه او عن بخل او لا شيء
بل عبث وسفه و كل ذلك لا يجوز على سبحانه وايضا لو لم
يفعل لعد ناقضا لفرضه حيث يريد منا الطاعة ومن اراد فعلا
من غيره وكان يعلم توقف حصوله على نوع مساطفة منه
وجببت عليه تحصيلها لفرضه ويمد بتركها فاعلا للقبيح

مسألة

اعلم ان الامامة عندنا لا تثبت لأحد الا بالنص من
النبي (ص) او بالمعجز اما ثبوتها بنص النبي فلأنه معصوم
ولا ينطق عن الهوى ومثاله نص الامام على من بعده لأنه
معصوم ونائب عن النبي (ص) فقولاه قوله واما ثبوتها بالمعجز
فلامتناع ظهوره على يد الكاذب كما عرفت في مبحث النبوة

وذهب اهل السنة والجماعة الى ثبوتها باجماع اهل الحل والعقد
من المسلمين : وعن محمد بن ابي بكر الاصفهاني ثبوتها
باختيار واحد من المسلمين وهذا قول ساقط لا يحسن الكلام
مع قائله احتجاجوا باجماع السلف وما كان من الصحابة واجماعهم
حجة لقوله تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى
ويتبع غير مسيل المؤمنين نواه ما تولى ونصله جهنم) وقوله (ص)
لا تجتمع امتي على الخطأ وفي آخر لم يكن ليجمع الله امتي على الخطأ
وقوله (ص) كونوا مع الجماعة وقوله في آخر يد الله مع الجماعة
والجواب عن الآية ان الظاهر منها كون الوعيد فيها على
اتباع غير سبيل المؤمنين في ترك الايمان او ترك المسالة للنبي
(ص) او هما معا وهذا غير مانحن فيه ويؤيده عموم المؤمنين
لكل فرد كما هو شأن الجمع المرفوع وهو غير المطلوب
لهم اذ المدعى وجوب اتباع اهل الحل والعقد وهم بعض
المؤمنين والجواب عن الاخبار جملة بأنها غير متواترة فلا
يجوز التعميل في مثل هذا المقام عليها والجواب عنها تفصيلا اما
عن الأولين فبان الظاهر منها العموم لكل فرد من الامة
لاقتضاء اسم الجنس المضاف ذلك ونحن نقول به حيثئذ من

حيث دخول المعصوم في المجمعين او من حيث صيرورة المجمع عليه ضروريا ولكن لا يدل على مدعاهم وهو حجة اتفاق البعض من الامة وهم اهل الحل والعقد واما عن الباقي فبان الظاهر منها وجوب الكون مع اي جماعة كان وهذا يقتضي وجوب اتباع سائر فرق المسلمين لصديق الجماعة على كل فرقة وهذا يؤدي الى ايجاب الشيء وعدمه لتناقض اقوال الفرق ومذاهبها وايضا الجماعة تصدق على الثلاثة فصاعدا والتمويل عليه يوجب القول بعصمة البعض من اهل الحل والعقد ووجوب اتباعهم وهم لا يقولون فيه فلا بد من المصير الى ان هذه الأخبار موضوعة او ان المراد بها جماعة معلومون عند النبي وكان عليه ان يبينهم بقريظة وحيث لم يكن ذلك او لم يصل اليها كان الكلام مجمولا لا يصح الاستدال به ويدل على سقوط الاختيار ايضا ما دل على وجوب العصمة والأفضلية في الامام ومعرفة المعصوم والأفضل متميزة لغير علام النبوة المطالع على السرائر ولو قيل بأن اختيار الامة يصادف ذلك قلنا توفيقها للاصابة ممكن ولكن يحتاج لزومه الى دليل وهو الذي يفيد في المقام لا مجرد الامكان ولا دليل على الزوم

غير ما تقدم وقد عرفت ما فيه وايضا فقد اختارت الامة يزيد
ابن معاوية وغيره من الجبهة الظلمة الذين لم يعرفوا الدين
ولا عملوا به وهنا يقال لهم ما تقولون في امامة يزيد بن
معاوية فلا بد ان يقولوا بانها حق التزاما بمذهبهم في الامامة
لأجماع الامة عليه ونص ابيه ونص الامام معتبر عندهم على
من بعده وعليه فيقال لهم ما تقولون في طاعته يوم امر بقتل
الحسين (ع) وأصحابه فان قالوا بعدم وجوبها فقد ناقضوا
قولهم بوجوب اطاعة الامام وان قالوا بوجوبها فقد اوجبوا
قتل رجل يقول ربي الله وقال فيه رسول الله إنه امام قام او
قعد وإنه سيد شباب اهل الجنة واوجبوا الثواب لقاتله ولا يخفى
ما في الالتزام بذلك من النصب الواضح والكفر الفاضح
وان قالوا بسقوط الامامة بالمعصية قلنا لهم هلا بادرتم الى
نصب امام للامة اداء لأهم واجب عليكم ولكي لا يموت
احد منكم وليس لإمام في عنقه بيعة فتكون ميتة جاهلية
كما رويتم وقد صح هذا عندكم وصح عندنا بل لعله متواتر
وايضا يقال لهم ان كانت الامامة تسقط بالمعصية فما تقولون
بامامة معاوية يوم كان يسب عليا وابناءه ويأمر بسميهم اليس

علي وابناؤه من اهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس
 الم بينه النبي (ص) عن ايذائهم وقد امر الله بمودتهم
 ولا اقل من انهم مسامون وقد قال رسول الله (ص) سباب
 المسام فسق فإن كابروا وقالوا لم يفعل ولم يأمر قلنا لهم قد شاع
 ذلك بين اهل بيته واصحابه واعلمت به خطباؤهم ولم يخف
 عليه ذلك بالضرورة وهو منكر فظيع يجب دفعه فهلا نهى
 عنه عملا بما يجب عليه من النهي عن المنكر ولا ريب بتحقيق
 فسقه من حيث ترك ذلك ايضا فلا بد اما من القول بإمامة الفاسق
 وهو مناف لوجوب طاعته على الأمة او ببقاء الأمة بلا امام ان
 اوجبوا سقوط الإمامة بالفسق لمدام اختيارهم غيره واحال هذه
 مسألة

روى البخاري في صحيحه عن معاوية قال سمعت رسول
 الله (ص) يقول ان هذا الأمر في قريش لا يعاديهم احد
 إلا اكبه الله على وجهه وفيه عن عبد الله بن عمر قال قال رسول
 الله (ص) لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس
 اثنان ورواه ايضا مسلم في صحيحه وروى الثعلبي في تفسير
 قوله تعالى (وانه لذكر لك ولقومك) بإسناده عن ابن عمر قال

قال رسول الله (ص) لن يزال هذا الشأن في قريش ما بقي من الناس اثنان وروى ايضا مسندا عن ابي بردة قال قال رسول الله الأصراء من قريش لي عليهم حق ولهم عليكم حق ما حكموا فعدلوا واسترحموا فرحموا وهذه الاخبار كما ترى واضحة الدلالة ساطعة البرهان على انحصار الخلافة في قريش الى يوم القيامة كما نص عليه قوله (ص) ما بقي من الناس اثنان وهي مع ذلك سليمة من المعارض نعم هنا اخبار اخر تو كدها وتدل ايضا على عدة خلفاء وانهم اثنا عشر من ذلك ما رواه البخاري باسناده عن جابر بن سمرة قال سمعت رسول الله يقول يكون بعدي اثنا عشر اميرا وقال كلمة لم اسمعها فقلت لأبي ما قال قال قال كلهم من قريش وروى مسلم باسناده عن ابن سمرة ايضا عن النبي (ص) انه قال ان هذا الأمر لا ينتضي حتى يمضي فيهم اثنا عشر خليفة ثم تكلم بكلام خفي علي فقال ابي انه قال كلهم من قريش وباسناده عن سعد بن ابي وقاص قال كتبت مع غلامي نافع إلى ابن سمرة ان اخبرني بشيء سمعته من رسول الله (ص) فكتب الي سمعت رسول الله يوم جمعة عشية رجم الأسلمي

يقول لا يزال هذا الدين قائما حتى تقوم الساعة ويكون عليهم
 اثنا عشر خليفة كلهم من قريش وفي الصواعق المحرقة لابن
 حجر بالاسناد عن ابن مسعود انه سئل كم يملك هذا الأمر من
 هذا الأمر من خليفة فقال سألنا رسول الله (ص) عنها فقال
 يملكه اثنا عشر بعدة نقباء بني اسرائيل وفيها عن البغوي
 بالاسناد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله (ص) يقول يكون
 خلفي اثنا عشر خليفة ابو بكر لا يلبث إلا قليلا ثم حكي
 عنه اجماع الأئمة على صحة صدور الخبر المذكور وروى مسلم
 ايضا عن ابن سمرة قال سمعت النبي (ص) يقول لا يزال
 الإسلام عزيزا إلى اثني عشر خليفة ثم قال كلمة لم أفهمها
 فقلت لأبي ما قال قال انه قال كلهم من قريش ورواه ايضا
 بطريق آخر الا ان فيه لا يزال هذا الأمر وفي طريق آخر
 ايضا لا يزال هذا الدين عزيزا منيعا إلى اثني عشر خليفة
 اقول لا يخفى على من له دربة في الكلام والمجاورات اتفاق
 هذه الأخبار على كثرتها من حيث الصدور وانها صادرة
 لبيان ما يكون بعد النبي (ص) من شأن الإسلام والمسلمين
 كما انه لا يخفى اتفاقها في المعنى وانها دالة على انحصار الخلافة

في قریش الى قيام الساعة وانها في اثني عشر منهم وان اختلفت في ذلك ظهورا وصراحة بل قوله في مكاتبة ابن ابي وقاص لا يزال هذا الدين قائما حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة كلهم من قریش نص في المطلوب ومثله خبر ابن مسعود فان قلت ان هذا لا يتم في قوله في بعضها لا يزال هذا الدين عزيزا منيعا الى اثني عشر خليفة لأن غاية ما يستفاد منه دوام عزة الدين ومنعته الى انقراض اثني عشر خليفة وذلك ممكن قبل قيام الساعة قلت امكان انقراضهم قبل القيامة لا يدل على وقوعه والخبر لا يدل عليه ايضا فلا يكون منافيا لما صرح فيه بدوامهم كمكاتبة سعد وخبر ابن مسعود وغيرهما من الأخبار بل تكون مفسرة له لو سلم اجماله واذا وصلت إلى هنا فأعلم ان حملة العلم من المسلمين قد اعتنوا في شأن هذه الأخبار ودونوها في كتبهم ونصوا على اعتبارها وهي مع ذلك مستفيضة وقد نقلها الإمامية بطرق صحيحة واستفاضت عندهم فلا شك بتواترها من حيث المعنى وانها صادرة عن واضع الشرع وموسس الاسلام وعليه فيجب النظر في مذاهب المسلمين في الإمامة وتطبيقها عليها ليكون كل اهل مذهب

على بصيرة من الأمر وها أنا ذاكر في هذه المجالة مذاهب المشهورين منهم بل الظاهر انه ليس لغيرهم من الفرق اقوال في الإمامة تخالف ما سنذكره وقد ادرجت ذلك في طي مسائل ايضا حال الحقيقة

مسألة

الكيسانية من فرق المسلمين وقد ذهبوا الى امامة علي والحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وقالوا غاب في جبال رضوى وهو الامام المنتظر ومنهم من ساق الامامة الى ولده هاشم ومنه الى ولده واحدا بعد واحد وهو لاء قد انقرضوا فقد خالفوا الاخبار المذكورة لدالاتها على دوام الدين والخلافة هذا مع انه لم نقف لهم على دليل وانما كان ذلك منهم دعاوى مجردة عن البرهان وايضا فإن الفرقة الاولى حصرت الامامة في اربعة والثانية لم تجعل لها واحدا وهذا يخالف الاخبار ايضا

مسألة

الزيدية من المسلمين اثبتوا الإمامة لعلي والحسن والحسين ثم لزيد بن زين العابدين ومن بعده اوجبوها لكل علوي قام بالسيف ودعا الناس الى نفسه وجوزوا اجتماع امامين في عصر

واحد وقد اجمعنا من كان كذلك من العلويين الى اليوم
فزادوا عن الاثني عشر اضعافا مضاعفة هذا مضافا الى بطلان
مقالتهم من وجوه تعلم مما ذكرنا سابقا ومع ذلك فلا دليل لهم
على ما يدعون

مسألة

الواقفية فرقة من المسلمين قالوا ان الإمام بعد النبي
(ص) علي (ع) والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد
الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم ولم يزيدوا عليه فقد ناقضوا
بوقوفهم تلك الاخبار المذكورة

مسألة

الفتحية من المسلمين ذهبوا الى امامة الاثني عشر من
اهل البيت وهم علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين
ومحمد الباقر وجعفر الصادق وموسى الكاظم وعلي الرضا ومحمد
الجواد وعلي الهادي والحسن العسكري ومحمد بن الحسن
واثبتوها ايضا لمبد الله بن الصادق فقد خالفوا الاخبار
بزيادة العدد وربما نسب اليهم الوقوف على عبد الله
وهؤلاء يلزمهم النقص في العدد عما ذكر في الاخبار المتقدمة

مسألة

الإسماعيلية من المسلمين إلا أن لهم أقوالاً هي للاتحاد أقرب وقد قالوا بإمامة علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد الباقر وجعفر الصادق ثم بإمامة ولده إسماعيل وقالوا أنها فيه باطنية ثم استتريت في ولده إلى أن ظهر المهدي في المغرب وادعى أنه من ولد إسماعيل فظهورت ثم اختلفوا بعده فذهب منهم من جعلها لابنه نزار وجعلوا البعض لابنه المستعلي وبعد نزار استتر أحسرها في النزاريين وظهرت في أولاد المستعلي وقد خالفوا الأخبار المذكورة بزيادة العدد هذا مع أنه لم نعرف لهم دليلاً بذهبهم على ذلك

مسألة

السنة من فرق المسلمين وقد ذهبوا إلى ثبوت الإمامة باختيار أهل الحل والعقد وقالوا إذا اختلفوا قدم الأولى وقالوا أنه لا يضر تخلف وجوه قطر أو مصر بعد انعقادها بالأكثرية ولذا لم يقدر تخلف أهل الشام بإمامة علي وقالوا أنها تستعقد بنص الإمام علي من بعده وقالوا أنها لا تبطل إمامة الإمام بنحروج بعض رعيته عليه ولهذا لم تبطل إمامة عثمان وعلي

بمخرج من خرج عليها وقالوا انها لا تبطل بنكث البعض
ولذا لم تبطل امامة علي بنكث الناكثين طائفة والزبير
واصحابها ومن اصولهم في الإمامة انه لا يجوز اجتماع امامين
في عصر واحد وانه لا يجوز اهمال امر الإمامة بل هي عندهم
من اهم الواجبات ويجب المبادرة اليها وترك ما سواها وان
كان واجبا لم يفت وقته ولذا بادر اليها الصحابة واشتغلوا بها
عن تجهيز رسول الله (ص) وقد قالوا بإمامة ابي بكر وعمر وعثمان
وعلي والحسن ومعاوية وي زيد ومعاوية بن يزيد وقد ثبت
ايضا باختيار اهل الحل والعقد لمروان وبني مروان إلى آخر
بني امية ثم إلى ابي المباس السفاح ثم إلى المنصور إلى آخر
العباسيين ولم تزل إلى الآن يتولاها كبار عن كبار باختيار
اهل الحل والعقد فقد خالفوا الأخبار المذكورة وهذا من
المعجب بكان لأنها مدونة في صحاحهم التي هي عندهم ثاني
الكتاب العزيز وهم يدرسونها ليلهم ونهارهم ولم يزل احدا
منهم ردها نعم تبة لها بعض منهم واختلط عليه الأمر ووقف
دون مغزاها فكره واليك ما حكاه عنه في الصواعق وهو هذا
قال القاضي عياض المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث

وما شابهها انهم يكونون في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة اموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى ان اضطرب امر بني امية ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد، فاتصلت تلك الفتنة بينهم إلى ان قامت الدولة العباسية فاستأصلوا امرهم انتهى اقول قد عرفت ان الخلافة عندهم تنعقد باختيار اهل الحل والعقد وانه لا يعتبر في انعقادها اجتماع الأمة عموماً وعليه فحمل الخلفاء في الأخبار المذكورة على من ذكر لا نرى له وجهاً على انه لم يكن ان بعد الخلفاء الراشدين ممن اشار اليهم اهمية الذكر من النبي (ص) والإعتناء على ان تخصص الخلافة في هذه المدة لا يمكن ان ينطبق عليه قوله (ص) لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان وقوله لا يزال هذا الدين قائماً حتى تقوم الساعة ويكون عليهم اثنا عشر خليفة الصريح في انهم يكونون مدة عمر الدنيا وعن فتح الباري لشيخ الإسلام انه قال كلام القاضي المذكور احسن ما قيل في هذه الأحاديث وارجحه لتأييده بقوله في بعض طرق صحيحة كلهم يجتمع عليه الناس والمراد ممن

اجتمعهم انقيادهم لبيته والذين اجتمعوا عليهم الخلفاء الثلاثة
ثم علي إلى يوم الحكمين فتسمى معاوية يومئذ بالخلافة ثم
اجتمعوا على معاوية عند صالح الحسن ثم علي ولده يزيد ثم
لما مات يزيد اختلفوا إلى ان اتفقوا على عبد الملك بعد قتل
ابن الزبير ثم علي اولاده الأربعة الوليد فسلیمان فيزيد ف هشام
وتخالف بين يزيد وسليمان بن عبد العزيز فهو لأبهم بعد الخلفاء
الراشدين والثاني عشر الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمعوا
عليه لما مات عمه فولد نحو اربع سنين ثم قاموا عليه فقتلوه
وانتشرت الفتن ولم يتفق ان يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك
انتهى قلت من اين علم شيخ الاسلام ان الناس لا يجتمعون
في مستقبل الزمان على خليفة حتى قصر الأخبار المذكورة
على من اتفقوا عليه فيما مضى قبله فقد اتفقوا في زماننا على
السلطان عبد الحميد ومحمد رشاد ومحمد وحيد الدين إلى أن
عزل وعبد المجيد إلى أن عزل في هذه الأيام واتفقوا قبل علي
كثير من العثمانيين كالسلطان محمود وعبد المجيد وعبد العزيز
وغيرهم وكيف لم يعلم شيخ الاسلام بأن اهل الأرض
ستجتمع على المهدي المنتظر وايضا قد تقدم ان خروج بعض

الرعية على الإمام لا تقدر بإمامته وايضا إذا كان المراد بالخليفة من اجتمع عليه عموم الناس كما يقول فاللازم اسقاط علي من الخلافة لتخلف اهل الشام عن بيعته وهم ليسوا بالقليل وايضا إذا كانت الفتن تمنع من شمول الأخبار لمن كانت في أيامه قالوا يجب ان لا يعد عليا وعثمان لما كان في دور علي من اهل الجمل والشام والخراسان ولما كان في دور عثمان من خروج وجوه الناس عليه حتى حاصروه وقتلوه ولم يجد من يدافع عنه وايضا الفقرة التي ذكرها لم نجد فيها حضرا من الصحاح وعلى تقدير وجودها في غيرها فهي غير متواترة فلا نسلم اعتبارها ولو اعتبرناها فإن اريد بالناس الاغلبية والاكثرية فينبو امية وبنو العباس كلهم خلفاء فلا وجه للتخصيص وإن اريد المصوم اي كل فرد من الناس قالوا يجب اسقاط الخلفاء الراشدين عن هذه الاخبار فقد تخلف عن الأول بنو حنيفة وكثير من وجوه المهاجرين والانصار وتخلف عن الثالث جماعة منهم وخارج عليه وجوه اهل مصر والعراق وتخلف عن الرابع اهل الشام وخارج عليه الناكثون طاحنة والزبير واصحابهما وتخلف عن بيعة الأول والثاني سمود بن عبادة وهو سيد الخزرج وبالجملة فإن

انهقاد الخلافة من محوم الناس امر متعذر كتعذر العلم به وايضا
 فيجب ان لا يمد يزيد ولا من تأخر عنه من بني امية لعدم
 مبايعة اكثر العلويين لهم ولا شيعتهم ايضا إلى الآن وايضا
 فقد روي حديثا آخر وادعوا تناثره عن النبي (ص) وهو قوله
 الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تصير ملكا عضوضا وقتلوا انه
 اراد بذلك مدة خلافة الخلفاء الراشدين وخلافة الحسن (ع)
 واخرجوا معاوية ومن بعده حيث لم يمكنهم تطبيق الخبر
 المذكور الا على هذا الوجه فكيف جاز لشيخ الاسلام
 اخراج الحسن هنا عن الأخبار وايضا ما وجه التوفيق بينهما
 وبين هذا الخبر وايضا فكيف جاز له حمل الأخبار على ما ذكر
 وهي مصرحة ببقاء ذلك إلى يوم القيامة اليس مثل هذا التأويل
 يحتاج إلى شاهد مقبول ولما ذكرنا او بعضه عدل بعضهم عن
 هذا وقال ان المراد اثنا عشر خليفة في جميع مدة الاسلام إلى
 القيامة يعملون بالحق قال في الصواعق ويؤيده قول ابي الجارود
 كلهم يعمل بالمهدي ودين الحق ثم ذكر ان المراد الخلفاء الأربعة
 والحسن ومعاوية وابن الزبير وابن عبد العزيز قال ويحتمل ان
 يضم اليهم المهدي العباسي والظاهر لما اوتيه من العدل ويبقى

اثنان منتظران أحدهما المهدي أقول لا يخفى ما في هذا الكلام من التكلف ومن أين علم بأنه لا يكون في غابر الزمان خلفاء تريد عن العدد المذكور كلهم عدل من معاوية ومن أين جاز أن يكون معاوية من الذين يعملون بالحق وقد شتم عايباً وإبناءه وشاع ذلك بين أصحابه ولم ينفعهم منه وكيف عبده من الخلفاء هنا وقد أخرجوه من الخلافة بالخبر المرفوع عندهم عن النبي وهو قوله الخلافة بمدي ثلاثون سنة فقالوا تمت المدة بخلافة الحسن ووافقتهم على ذلك ومن العجب قولهم هذا مع أنه يلزم منه إخراج المهدي المنتظر من الخلفاء وقد نص رسول الله عليه بالخلافة في جملة من الأنبياء بل في بعضها خليفة الله فكان عليهم أن يتفطنوا لذلك ويوجهوه بما لا يبقى معه إشكال ومن أين جاز له أن يعد ابن الزبير من الذين يعملون بالحق وعلي يقول فيه ما زال الزبير منا أهل البيت حتى نشأ ولده عبد الله وقد شهد عليه أبو قاسم الباغي أنه لم يتب من يوم الجمل بل استكثر وكان أيام خلافته لا يصلي على النبي (ص) في خطبه فقيل له في ذلك قال إن له أهيل سوء إذا ذكرناه شمنوا بآنافهم وهذا نصب لأهل البيت وحسد كالأخفى

مسألة

الإمامية من فرق المسلمين ذهبوا إلى وجوب الإمامة وقالوا بشيوتها بالنص ولا مجال عندهم لاختبار الأمة لوجوب العصمة والأفضلية في الإمام والعلم بالمتصف بها متعذر لغير المطلع على السرائر وقد ساقوا الإمامة بعد النبي (ص) لهي ثم لولده الحسن ثم للحسين ثم لهي بن الحسين ثم أحمد الباقر ثم جعفر الصادق ثم موسى الكاظم ثم لهي الرضا ثم أحمد الجواد ثم لهي الهادي ثم الحسن العسكري ثم أحمد بن الحسن وهو المهدي المنتظر ولا إمام بعده وهو لا، الأئمة قد اجمع الناس على فضاهم وورعهم ولهم آيات وكرامات اعترف بها المؤمنون ولم تستكثر عليهم ولهم في العلم مقام مشهور وعليهم منهم اقضى الأمة وباب مدينة العلم كما قاله رسول الله (ص) وقال في الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا وقالت الإمامية إن إمامتهم ثبتت بالنص من النبي (ص) وهذه الأخبار التي قدمناها تؤيد هذا القول وتؤكد كده فإنها لا تنطبق إلا عليه من أقوال الفرق كما عرفت وهي من القسم الذي لا يجوز رده أو التشكيك فيه لا اتفاق الشيعة والسنة على نقلها واجتماع الأئمة على صحتها

كما عرفت فإن قلت الظاهر من الخلفاء في الأخبار من لهم
 الظهور والسيطرة بالأمر والنهي خصوصاً قوله في بعضها
 يملكه اثنا عشر خليفة واطهر منه قوله اثنا عشر اميراً فإن
 الإمرة منها ما التفوق بالأمر والنهي والأئمة المذكورون
 لم يكن لغير علي والحسن منهم هذا الشأن وعليه فلا يكون
 القول بإمامتهم موافقاً لتلك الأخبار قلت خليفة هو من مملكه
 الله زمام الأمة وجعل له التصرف بالأمر العامة ويعلم بنص
 النبي عليه وحيثئذ فلا مجال للشك في صدق الأمير والخليفة
 على الأئمة المذكورين لتملكهم أمر الأمة بالنص الوارد من
 النبي (ص) وعدم التصرف لا ينافي ذلك قطاً ولا لنافي
 النبوة فيما لو تقلبت الأمة على النبي (ص) ومنه من التصرف
 في أمرهم وهم نائبون عنه والحكم في النبي والإمام عن هذه
 الجهة واحد هذا مضافاً إلى أن التصرف في الأمر متوقف
 على ثبوت الإمامة فلو اعتبر في مفهومها لزم من وجود الشيء
 عدمه وهو دور ظاهر

تنبيه

قد اجتمعت في السنة الماضية مع بعض العلماء من السنيين وله

رغبة في البحث والتدقيق في المسائل العلمية وقد جرت بيننا
 مسألة الإمامة واقفنا على تحقيقها إماماً ومصدقاً له بالأدلة
 الكافية على انحصارها في أهل البيت من العقل والنقل الذي
 لم يستطع رده لنص الأئمة على صحته عندهم قال لي إن قول
 الإمامية يوجب تضليل الصحابة حيث لم يقولوا بإمامة أهل
 البيت بل زووا الإمامة عنهم فقلت له الصحابة مجتهدون
 فلوهم أن يتأولوا وليس لنا أن نقول بتضليلهم لأننا لا نقطع
 بعنادهم بل المعلوم منهم غير ذلك فإنهم كانوا يعظمون علياً
 ويجلونه لا ترى أقول الأول فيه اقبلوني فليست بخيركم وعلي
 فيكم وله يومئذ الأبهة والسطان فلو كان مما ندا له لما كان
 منه مثل هذه السكامة في إجلاله وتفضيله وللخليفة الثاني معه
 من الخضوع لقوله في الدين ما ليس لأحد ودعا كان يفتي في
 الشيء ثم راجعه علي فيه فيرجع إلى فتوى علي وقال أكثر من
 مرة لولا علي لهلك عمر وقال لا بقيت لمضلة ليس فيها أبو
 حسن أرى يجوز بعد هذا أن نقول فيه أنه ظلم علياً وزوى
 الخلافة عنه عنادا نعم نقول بخطأ الصحابة أن لم نقل بتصويب
 المجتهدين والمسألة محل نظر وتأمل والخطأ جائز عليهم لعدم

ثبوت العصمة لهم كيف وقد وقع بينهم التشاجر فلا بد من
تخطئة احد المتشاجرين وقد وقع من طلحة والزبير وحربهم
املي ونكثهم عهده واخراجهم زوجة الرسول من حجابيه
وقد أمرت من الله بأن تقر في بيتها ما لا يمكن معه السكوت
عن القول بخطأهم وكذا ما كان من خالد مع ابن نويره قتله
وتزوج امرأته قبل انقضاء العدة إلى غير ذلك مما يطول
شرحه والحاصل ان العصمة منفية عنهم قطعا والخطأ منهم كان
ولكن ليس لنا أن نحملهم على العناد والاستخفاف بالدين اين
اذن قول النبي (ص) اهل اهلك على احسنه وقوله كذب سمعك
وبصرك عن اخيك واين شهادة النبي (ص) لهم بالجنة واين قول
الله (كنتم خيرامة) وقوله (رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك
تحت الشجرة) نعم لا يسهنا ان نصوب اقوالهم لما قام عندنا من
البرهان على ان الإمامة لأهل البيت علي وبنيه فنقول بأنهم
اخطأوا باجتهادهم والمصيب والمخطئ من المجتهدين مأجور
وهذا معلوم عندك وبعد فاهم الفضل على عموم المسلمين بما كابدوا
من المتاعب والمشاق في تمزيق الإسلام ونشره في البلاد فاهم
منا اطيب الذكر واكمل الشكر والأجر من الله سبحانه

مسألة

روى جملة من علماء الشيعة منهم الكليني في اصول الكافي والحر العاملي في الوسائل بالأسانيد الصحيحة عن النبي (ص) أنه قال يوشك أن أدمي فأجيب وإني مخلف فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما فلا تعلموهم فإنهم أعلم منكم وروى هذا الحديث من رجال السنة أحمد بن حنبل في مسنده بطرق متعددة بمباراة متقاربة منها ما عن زيد بن ثابت قال قال رسول الله (ص) إني تارك فيكم خليفتين كتاب الله جبل ممدود ما بين السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله (ص) إني قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله جبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ورواه الثعلبي في تفسيره مسنداً عن أبي سعيد الخدري أيضاً بنحو هذه العبارة إلا أن فيه تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم

بهما لن تضلوا بعدي الى آخر الحديث ورواه المغازلي الشافعي في المناقب على ما حكى عنه بإسناده عن الحذري ايضا قال قال رسول الله (ص) إني اوشك أن أدعى فأجيب وإني تركت فيكم الثقلين كتاب الله جبل محدود من السماء الى الأرض وعترتي اهل بيتي وإن اللطيف الخبير اخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض فانظروا بماذا تخلفوني فيها وحكي عن صحيح الترمذي وعن صحيح أبي داود السجستاني وهو كتاب السنن وحكي عن صحيح مسلم بإسناده عن زيد بن ارقم ولكن اقتصر فيه على قوله إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه التور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به وحث على كتاب الله ورغب فيه ثم قال واهل بيتي اذكركم الله في اهل بيتي قالها ثلاثا وقال ابن حجر في الصواعق بعد ما اورد جملة مما ذكرناه وفي رواية صحيحة إني تارك فيكم اصرين لن تضلوا إن تبتموهما وهما كتاب الله وعترتي اهل بيتي قال وزاد الطبراني إني سألت ذلك لها فلا تقدموهما فتهلکوا ولا تقصروا عنها فتهلکوا ولا تعاملوهما فإنهم اعلم منكم هذا ما وقفنا عليه من جهة السنة وقد رواه كثير من الشيعة وإنما اقتصرنا على من

ذكرنا منهم لا شتهاره بينهم وعدم التشكيك فيه من احد منهم بل هو عندهم اشبه بفاحة الكتاب كاد أن لا يحمله احد ولعله كذلك عند اخواننا السنة كما يعرف ذلك من وقف عليه في كتب ائمتهم ورأى تعدد الطرق الموصلة اليه فني الصواعق المخرقة لابن حجر وهو من اجلاء علمائهم أنه ورد عن نيف وعشرين صحابيا ورأى مع ذلك تلقيهم له بالقبول واحتجاجهم به في مقامات كثيرة على فضل اهل البيت ولزوم مودتهم وتمثيلهم وبالجملة فلا ريب بأن كل من له وجدان إذا راجع كتب الفريقين السنة والشيعة ورأى ما لهذا الحديث عندهم من الشأن واجتماعهم على روايته واحتجاجهم به وارساله ارسال المسام فيما بينهم يحصل له العلم الضروري بصدوره عن مهبط الوحي وسيد البشر النبي الأمين (ص) وعليه فلا عذر لمسام في ترك التعبد به والتصديق بضمونه ولذا لزمنا أن نشير الى بيان المراد منه وإن كان بينا بنفسه قطعا للعذر والله ولي التوفيق فأقول لا يخفى صدور هذا الحديث من النبي (ص) مصدر الوصية ويعلم هذا من قوله (ص) في اكثر طرقه يوشك أن ادعى فأجيب ونحوه ، وعليه فيكون مراد الرسول بيان القيم على الأمة

بعده النائب عنه في هدايتها وارشادها وقد نص عليه صريحا
 في رواية ابن حنبل عن زيد بن ثابت حيث قال فيه إني تارك
 فيكم خليفتين وفي رواية الثعلبي عن الحديري تركت فيكم
 الثقلين خليفتين ولا معنى للخليفة إلا النائب عنه القائم مقامه
 فيما كان يتولاه من أمور الأمة وأشار الى ذلك ايضا بوصفها
 بالثقلين فإنه دل على رجحانها وفضلها على الناس لأن الثقل
 في اللغة الشيء الخطير الذي يتنافس به فكانه قال (ص) إني
 تارك فيكم انفس ما لدي واعظمه وقد أكد ذلك بقوله ما إن
 تمسكنم بهما لن تضلوا بمدي حيث دل على وجوب الاقتداء
 بهما لظهور مثل هذه الجملة بالأمر ودل ايضا على عصمتها
 حيث نفى الضلال عن تبعها ولو صح وقوع الخطأ عنهما حصل
 الضلال قطعا على أن عصمة الكتاب معاومة بالضرورة ونص
 عليها بقوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)
 فيكون الفرض الحقيقي بيان عصمة المعتر باقترانها في الكتاب
 بوجوب الاقتداء ونفي الضلال عنهما إذ هي التي يشك فيها
 الناس ويؤيد هذا الحديث المتواترين الفريقين وهو قوله (ص)
 إن أهل بيتي فيكم كسفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن

تخاف عنها غرق فإنه لا معنى لركوبها إلا الاقتداء بهم وإطلاق
 النجاة بذلك لازمه العصمة كما لا يخفى ويؤيد ما قلناه من كون
 المراد من الحديث الاستخلاف اهتمام النبي (ص) في شأنه
 وتكراره له في مواضع متعددة كما علم من طرقه فني بعضها
 أنه قاله في عرفة في حجة الوداع وفي بعضها أنه قاله بعد انصرافه
 من الطائف وفي آخر أنه قاله في غدِير خُم وفي آخر أنه قاله في
 حرضه في المدينة فإن المناسب لثل هذا الاعتناء هو الاستخلاف
 وبيان الزعامة الكبرى لا غير وقد دلّ بقوله (ص) وإنهما
 لن يفترقا حتى يردا علي الحوض على دوام المترة إلى قيام الساعة
 وبهذا صح ما تقوله الشيعة من أن الأرض لا تخلو من إمام
 منصوم من آل محمد (ص) يعرض القرآن العزيز وقد أشار إلى
 ذلك أمير المؤمنين (ع) حيث قال لا تخلو الأرض من قائم لله
 عليها بحجة إما ظاهرا مشهورا أو خائفا مستورا لا تبطل حجج
 الله وبياناته فإن قلت من أين عرفت أن المراد من أهل البيت
 علي وأبنائه قلنا المراد غيرهم فإن أهل بيت الرجل عصبته
 وهذا يصدق على بني المباس وغيرهم من أقارب النبي (ص)
 قلت قد دلّ الحديث على عصمة أهل البيت الذين هم كذلك

والأمة متفقة على نفيها عن بني العباس وبني المطلب وبني عقيل
وجعفر وايضا الموجود في الحديث عترتي اهل بيتي والمتر
النسل والولد فعلم بذلك أن المراد اولاده من فاطمة لا منحصر
نسبه بهم و كل من قال بإمامتهم قال بإمامة علي بل إمامتهم
متفرعة عن إمامته لأنه سيدهم معلوم ذلك بالضرورة مضافا
الى قوله (ص) في الحديث الذي هو عند المسلمين اشهر من
الشمس أنا مدينة العلم وعلي بابها فإنه دل بأوجز عبارة وابتنها
على انحصار الوصول الى العلم بعلي (ع) وهذا موجب لحاجة
الناس اليه وغناؤه عنهم وهو معنى الإمام حقيقة لما عرفت من
شروط الإمامة في المسائل السابقة ومضافا الى قوله (ص) علي
مع الحق والحق مع علي الدال على عصمته ومضافا الى ما دل
على نصبه من الكتاب العزيز ومن الأخبار المتواترة كحديث
من كنت مولاه فعلي مولاه وحديث أنت مني بمنزلة هارون
من موسى إلا أنه لا نبي بعدي وغير ذلك وهو كثير فإن قلت
لم حصرت الإمامة بالإثني عشر منهم ولعلها بأزيد والحديث
لا يدل على الحصر قلت قد علمنا هذا من الأخبار المذكورة
في المسألة السابقة الدالة على ان خلفاء اثنا عشر في عمر الدنيا كما

عرفت وقد بينا بما لا مزيد عليه انها لا تنطبق إلا عليهم مضافا
الى أنه لم يقل احد من الأمة بشيوت العصمة لغيرهم وقد
عرفت دلالة الحديث على عصمة من رزقوا هذه المنزلة وقرنهم
النبي (ص) بالقرآن نعم ذهب الاسماعيلية الى ثبوتها لاسماعيل
وولده ولكن قولهم مع أنه لا دليل عليه باطل بعلم وفاقته
لأخبار الاثني عشر كما عرفت ولنيرد ايضا وعليه فينحصر
الأمر فيما نقوله وعليه يجب أن يقول المسلمون

مسألة

فإن قلت بما عرفت امامة الثاني عشر من الأئمة (ع) قلت
عرفت ذلك بأمور (الأول) أن كل من قال بأن الخلفاء اثنا
عشر قال بإمامته وقد بينا صحة القول بالاثني عشر بما تقدم
من الأخبار السابقة فتكون إمامته ثابتة بلا ريب لصحة القول
المذكور وبطلان غيره (الثاني) إنه قد نص عليه النبي (ص)
والأئمة (ع) من بعده وهذا النص قد نقاته الشيعة قرنا عن
قرن الى يومنا هذا ومثل هذا النقل لا يمكن التشكيك بصدقه
لاستحالة اجتماع الشيعة على الكذب مع كثرتهم وانتشارهم
في الأرض (الثالث) ان حديث الثقلين السابق دل على أن

الأرض لا تغلو من إمام معصوم وعليه فيجب أن يكون فيها
اليوم إمام معصوم من آل محمد (ص) ولا يمكن أن يكون
ذلك إلا إمام غير محمد بن الحسن (ع) لاتفاق الأمة على عدمه
أما الاثنا عشرية فظاهر وأما غيرها فلا أنه لا معصوم عندهم
بعد النبي (ص) فتبين أن يكون هو الإمام كانه قول والائزم
كذب الحديث (الرابع) اتفاق الأمة على أن المهدي سيملك
في آخر الزمان ويملا الأرض قسطاً وعدلاً وقد تواترت الأخبار
عن النبي (ص) بذلك منها قوله (ص) لو لم يبق من الدنيا
إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث رجلاً من وادي
يواطى اسمه اسمي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً
وجوراً وحينئذ أمان نقول بوجوده منذ قبض أبوه الحسن (ع)
أولا نقول به ولا سبيل لنا إلى الثاني لا يجابه خلو الأرض
من إمام معصوم وحديث الثقلين وأخبار الاثني عشر دلت على
أنها لا تغلو من إمام إلى يوم القيامة وإذا بطل الثاني تبين
الأول وهو المطلوب

مسألة

ما الدليل على ولادة المهدي الجواب دلنا على ولادته (ع)

علمنا بأن الأرض لا تنظر من إمام معصوم كما بينا ولا يمكن
أن نقول بإمامة غيره بعد الحسن العسكري لإجماع الأمة
على نفيه فيتين القول بوجوده هذا مضافاً إلى ما روت الشيعة
متواتراً من أنه ولد في سر من رأى المروفة اليوم بسامرا
وامه سوسن ولها اسم آخر تعرف به وهو نرجس بنت ابن
الملك قيصر وكانت ولادته في ليلة النصف من شعبان من السنة
الخامسة والخمسين بعد المائتين وقد شب قبل موت أبيه وراه
كثير من الشيعة وتحملوا عنه العلم ونقلوا عنه كثيراً من
الكرامات وذلك مشهور بين الشيعة مسطور في كتبهم وقد
تناقلوه جيلاً عن جيل إلى زماننا هذا

مسألة

فإن قلت كيف تقولون بإمامته من غير أن يتولى أمراً
من أمور المسلمين ولا تصرف في شيء من الأمور العامة
التي جهل للإمام التصرف فيها قلت في الجواب إن هذا السؤال
غير مختص بإمام العصر بل يجري في حق آبائه أيضاً لأنه لم
يتول منهم الزعامة غير علي والحسن وقد اجبنا عنه فيما سبق
وحاصله أن التصرف في الأمور العامة لا يمكن اعتباره في

مفهوم الإمامة لترقفه على ثبوتها فلو توقفت عليه أزم توقف
الشيء على نفسه وأيضا عدم التصرف لا يبطل النبوة فيما لو
تقلبت الأمة على النبي ومنه من التصرف فكذا لا يبطل
إمامة الإمام لأنه نائب عنه والحكم فيهما من هذه الجهة واحد
مسألة

فإن قلت ما السبب في غيبته واستتاره في هذه المدة الطويلة
مع أنه إنما نصب إماماً لأفادة الناس واهتدائهم به قلت قد
علمنا إمامته بما قام عليها من الدليل كما عرفت وعلمنا عصمته
لوجوب العصمة في الإمام كما بينا سابقاً ودل عليه حديث
الثقلين أيضا وحيث فلا يبقى لمواجهتنا بهذا السؤال وجه
لأننا نعلم بمقتضى ذلك أنه لا يخرج عن مقتضى الحكمة ولا
يصدر منه الخطأ وإن استتاره لا بد أن يكون موافقا لذلك
ولا يجب علينا أن نعرف وجه الحكمة تفصيلا ومع ذلك
فنحن نجيب عن هذا السؤال من باب المباشرة مع الخصم
فنقول إنه استتر خوفا من أعدائه وقد استتر موسى (ع) قبله
لهذا قال (فررت منكم لما خفتكم) كما حكاها الله عنه واستتر
جده رسول الله (ص) بالغار خوفا من القتل واستتر إدريس

عشرون سنة عن قومه ولم يظهر لهم حتى امن منهم فإن قيل أن استتار الأنبياء كان مقدار ايسير الم تمتد به الزمان وغيبية امامكم هذا قد طالت مدتها ومضت عليها الأحقاب من السنين قلنا القصر والطول في الزمان لا يفرق في الحكم في هذا المكان لأن الكلام في جواز كون الخوف علة للغيبة وقد عرفت صحة ذلك بما ذكرنا من غيبة الانبياء وعليه فيكون قصر المدة وطولها باعتبار بقاء الخوف وزواله فإن قلت فهلا ظهر وراقم الحجة على اعدائه ولو ادى ذلك الى قتله قلت لو اقتضت الحكمة ذلك لفعل ولكن الحكمة لم تقتضي ذلك ولا يجوز له القاء نفسه الى الهلاك كما لم يجوز لموسى (ع) ذلك ولذا فر من اعدائه وكذا فر النبي (ص) واستتر بالغار فإن قلت اليس ظهوره دافعا للشبهة وهو كذا للحجة وعليه فيكون الظهور مطابقا للحكمة قلت ليس مطابق التأكيد للحجة يكون مطابقا للحكمة يجوز خاؤه عن المصاحبة الا ترى أن الله لم يماجل المصاة بالنعمة مع أن معاجلتهم بها مؤكدا للحجة اليس امتناعه عن ذلك من حيث عدم المصلحة فلا بد للاستدلال بما ذكر من قيد المصلحة ونحن نعلم أن مصلحة العباد في كون المهدي (ع) إماما الى

قيام الساعة ولو ظهر لقتل وهو خلاف الحكمة ولذا امره الله بالاستتار الى أن يزول السبب وتقتضي الحكمة الظهور هذا مضافاً الى أن السؤال المذكور يرد في غيبة الأنبياء ايضاً وما يكون جوابه فهو الجواب في الإمام ولا جواب إلا ما قلته

مسألة

فإن قلت هلاً اظهره الله وامده بلائكة يريد فموت عنه من يريد بسوء قلت قد سأل الملاحدة عن مثل هذا في ارسال الأنبياء وقالوا لم لم يبعث الله معهم ملائكة تبين كل من اراد بهم مكروها أو عاندهم فيما يدعون وكان الجواب لهم أن المصالح ليست واقعة بحسب تقدير المباد فربما لم يكن ذلك مشتملاً على مصلحة وبعد فإن معاجلة الماندين بالاهلاك قاطع لنظام التكليف مضافاً الى أنه يجوز عليهم التنبيه والنظر فيما لو أهلوا وقد آمن الناس بعد الكفر فمما جلتهم والحال هذه حرمان من الثواب وهو خلاف اللطف وايضاً فمن الجائز أن يكون في زرايتهم من يوفق للطاعة وفي اعدام الآباء حرمان لهم من الوجود والثواب وهو ايضاً خلاف اللطف وقد يكون الأمر بمكس ذلك فتوجب الحكمة معاجلتهم كما كان في

قوم نوح (ع) (قال نوح رب لا تذر على الأرض من الكافرين
ديارا إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجرا كفارا)
مسألة

فإن قلت من أين علمتم أن السبب في غيبة الإمام هو
الخوف قلت أولاً أنه من الجائز أن يكون ذلك هو السبب
وهو كاف في إثبات المحجة لنا في جواز الغيبة وثانياً أن من طالع
الأخبار وراجع السير علم أن إمامنا لم يغيب إلا خوفاً من
اعدائه وقد خاف عليه أبوه قبل ولادته ومن ذا الذي خفي
عليه ما كان من سلطان الوقت وتبطل أخباره وطرحه المصون
عليه لما روته الأمة من أن المهدي يكون من ولده وأنه
يملك الأرض ويملك الملوك وقد أخفى الله حمله حتى إن ليلة ولادته
أمر الإمام عفته حكيمة بأن تكون عندهم تلك الليلة لفاية
الولادة فانكرت ذلك وقالت ليس في أمه أثر الحمل فقال
الإمام هو ما أقول لك فإذا كان وقت الفجر ظهر الحبل وإنها
كأم موسى (ع) لم يظهر بها الحبل إلى وقت ولادتها لأن فرعون
كان يشق بطون الحبال في طلب موسى (ع) وهذا نظير موسى
(ع) وقد ستر ولادته أيضاً إلا على من اختصه من الناس تحقيقاً

للحجة ثم لما ظهر للصلاة على أبيه (ع) وكان قد تقدم لها معه
جعفر فنعاه وقل الصلاة بنفسه وكان يرى جعفر أنه الإمام
بعد أخيه وكذلك المتمد زعماء منهم بأنه لا عقب له وعند ذلك
أخبر المتمد بما كان من أمره فهاجم على داره الفحص عنه واعتقل
ما فيها من النساء وجمعهن في دار أبي الشوارب ومثلت أمه
فرجس عنه فلم تسترف به وقد كان بعد ذلك من الأمور ما هو
مشهور مطوم وكلها من أسباب الخوف ومع ذلك فإن الأخبار
قد دلت على مخافته كما دلت على استناره وغيبته من ذلك قول
أمير المؤمنين صاحب هذا الأمر هو الطريد الشريد الفريد
الوحيد وقال الصادق (ع) وقد ذكر عنده المهدي أن الغلام
غيبه قبل أن يقوم فقال له زارة ولم قال يخاف على نفسه وغير
ذلك من الأخبار وفيما أوردناه كفاية

مسألة

اعلم ان اخواننا السنة قد وافقونا على ان المهدي من
أئمة العدل وانه سيملك الأرض في آخر الزمان ويملاها قسطاً
وعدلاً وانه من ولد علي وفاطمة (ع) والمشهور بينهم انه من
ولد الحسين (ع) بل جاهد على ذلك نعم خالفونا في انه هو

محمد بن الحسن العسكري واعتمدوا في ذلك على ان تعمير
الإنسان هذه المدة المديدة لا يصح طبعا لأن العمر الطبيعي
للإنسان مائة وعشرون سنة إذا الطبيعة لا تقتضي السلامة فيما
زاد عن ذلك فإذا انتهت المدة المذكورة انتهت السلامة لعدم
المقتضي لها ويقع ضدها وهو الموت وعن بعضهم أن الكواكب
تمنع من الزيادة والجواب عن هذا من وجوه (الأول) ان
الذي قدر أن يكون الإنسان من نطفة ويودع فيه الطبيعة
يقدر أن يعمره الوفا من السنين وما ذكر لا يصلح دليلا على
الإمتناع وادخاله في قسم المستحيل والكواكب تمنع تأثيرها
بل ودلالاتها أيضا والمنجمون كاذبون في كل ما يقولون وقد
نص النبي (ص) على ذلك فقال كل منجم كذاب (الثاني) ان
الأخبار المتواترة على النبي (ص) دلت على أن الأرض
لا تغلغ من امام وان الأئمة اثنا عشر في عمر الدنيا ولا يتم
ذلك إذا قلنا بإمامة المهدي (ع) ووجوده كما عرفت فيما
تقدم فوجب ان نقول بذلك وان طالت المدة اضماف ما كان
(الثالث) انه قد وقع التعمير زيادة على ما ذكر للكثير من
الناس وهو يؤذن بجواز وقوعه لغيرهم فمنهم الحضرة (ع) فإنه

كان من عهد موسى (ع) او ذى القرنين على اختلاف الرواية وهو باق ببقاء الدنيا باجماع المسلمين ومنهم نوح (ع) والذي نص الله عليه في كتابه الف سنة الا خمسين عاما وقيل إن هذه المدة كانت قبل الطوفان قلت وهذا هو الظاهر من قوله (ولقد ارسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم الف سنة إلا خمسين عاما) وفي بعض الأخبار انه عاش الفين وخمس مائة سنة فان قيل ان وقوع التعمير لها كان من قبيل المعجز او الكرامة لمكان النبوة قلنا لقد وقع التعمير لأبليس فهو باق إلى قيام الساعة وإذا اشترك التعمير بين الولي والعدو امتنع كونه كرامة او معجزا وايضا فإن الكرامة تجوز للأولياء باتفاق المسلمين والمعجز يجوز للإمام كما يجوز للذي (ص) لالتحاد الموجب له وهو اثبات الدعوى الصادقة في النبوة او الإمامة لأن كلاً منهما لا يكون إلا من الله سبحانه كما عرفت ومن المعمرين زيادة على ما ذكر آدم (ع) فقد عاش تسعمائة وثلاثين سنة حكى ذلك عن التوراة وعنهما ان شيئا عاش تسعمائة واثنى عشرة سنة وانوش عاش تسعمائة وخمسا وستين سنة وعاش مهلائيل ثمانمائة وخمسا وتسعين سنة وعاش متوشلح تسعمائة وتسعا

وستين وعاش ارفخشذ اربعمائة وثمانيا وتسعين وعاش قاب
ثمانمائة وسبعين كل ذلك منقول عن التوراة ونقل عنها
التفسير لغير من ذكر ايضا والكل محل اتفاق بين اليهود
والنصارى ولم نجد في شريعة الاسلام ما يخالفهم في ذلك فان
قال قائل بأن الأعمار كانت تعادل في سالف الدهر ثم تناقصت
عصرا بعد عصر حتى انتهت إلى ما تراه محالاً يجوز اليوم سواء
قلنا له أن السافل يعلم أن الزمان لا تأثير له في الأعمار وأن
زيادتها ونقصانها من فعل قادر مختار يغير ما في الأوقات
بحسب ما يراه من الصلاح ولنا نذكر أن الله أجرى المادة
اليوم بأعمار متقاربة تخالف ما كان في سالف الزمان غير أن
ذلك لا يمنع من طول العمر لبعض الناس إذا اختار الله له ذلك
لمصلحة يراها وقد كان الأمر كذلك في الأزمنة السابقة فمنح
البعض طول العمر زيادة على المعتاد يومئذ واشرك في ذلك
المؤمن والكافر وبذلك يحصل العلم الضروري ببطالان ما
قاله المنجمون وما قاله مخالفونا من أن طول العمر لنوح (ع)
وغيره من الأنبياء كان من قبيل المعجز وها أنا اسوق اليك
جملة من المعمرين تأكيذاً للبرهان وقطعاً للمعذر فأقول من

المعمر بن لقمان بن عاد الكبير قبل انه عاش الف وخمسمائة سنة
وفي مجمع البحرين للطريحي حكى أنه عاش الف سنة وقيل
انه عاش عمر سبعة اشر فكان يأخذ النسر وهو فرخ ويحمله
في الجبل فإذا مات اخذ غيره حتى كان آخرها لبد وكان اهلوا لها
عمرا فتيل طال الأمد على لبد ولما رأى هلاكه قال اهلكني
بالبد وفيه يقول الأعشى

لنفسك ان تشتار سبعة اشر إذا مامضى نسر خلوت الى نسر
فممر حتى خال ان نسور هخارد وهل تبقى النفوس على الدهر
وقال لأدناهن إذ حل ريشه هلكت واهلكت ابن عاد ولا تدري
وهو الذي اراده القائل بقوله (اخني عليه الذي اخني
على لبد) وقيل انه كان ابن اخت ايوب النبي (ع) او ابن خالته
وقد كان مؤزرا لداود (ع) ذكر ذلك جماعة من المؤرخين
ومنه يعلم انه هو لقمان الحكيم المعروف إذ هو الماصر
لداود (ع) وله منه حكايات منها انه دخل عليه يوما وهو
يصنع الدرع وقد لان له الحديد فأراد أن يسأله فأدركته
الحكمة فسكت فلما اتها داود (ع) لبسها وقال نعم لبوس
الحرب انت فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله فقال داود

بحق ما سميت حكيمًا وقد اختلف في نبوته والمروي عن النبي (ص) أنه لم يكن نبيا وإنما كان عبدا كثير التفكير محسن اليقين أحب الله فأجبه من عليه بالحكمة كان ثامنا نصف النهار إذ جاءه نداء يا لقمان هل لك أن يحبك الله خليفة في الأرض تحكم بالحق فقال ان خيرني ربي قبلت العافية وإن عزم علي فسمما وطاعة فاني اعلم انه ان فصل ذلك اعاني وعصمني فقالت له الملائكة ولم ياللقمان فقال لأن الحكم اشد المنازل يغشاه الظلم من كل مكان وصاحبه بين امرين فإني اصاب فبالطري ان ينجو وإن اخطأ اخطأ طريق الجنة ومن يكون في الدنيا ذليلا وفي الآخرة شريفا خير من ان يكون في الدنيا شريفا وفي الآخرة ذليلا ومن يخير الدنيا على الآخرة تفننه ولا يصيب الآخرة فنام نومة فانتبه وهو يتكلم بالحكمة وقد قال له داود (ع) طوبى لك يا لقمان اعطيت الحكمة وصرفت عنك الباهوى ومن حكمه انه قال لولده يا بني ان الدنيا بحر عميق وقد هلك فيه عالم كثير فاجمل سفينتك فيها الايمان بالله واجمل شراعها التوكل واجمل زادك فيها تقوى الله فإن نجوت فبرحمة الله وان هلكت فبذنوبك ومن المعمرين

ربيع بن ضبع بن وهب قال في كنز الفوائد عاش ثلاثمائة
سنة واربعين سنة وادرك النبي (ص) ولم يسلم وهو الذي
يقول وقد جاوز المائتين

الا ابلغ بني ربيع واشرار البنيين لهم فساد
بأني قد كبرت وحق عظمي فلا يشغلكم عني النساء
إذا كان الشتاء فادفوني فإن الشيخ يهدمه الشتاء
واما حين يذهب كل قسر فسر بال خفيف او رداء
إذا عاش الفتي مائتين عاما فقد ذهب اللذافة والفتاء
وممنهم اكثم بن صيفي الأسدي التميمي وكان حكيما
مقدما وقيل لم تكن العرب تفضل عليه احدا وفي كنز الفوائد
انه عاش ثلاثمائة وثلاثين سنة وهو الذي يقول

وان امرأ قد عاش تسعين حجة إلى مائة لم يسأم العيش جاهل
مخات مائتان غير مت واربع وذلك من عد الليالي قلائل
وقد ادرك الإسلام وكتب إلى النبي (ص) كتابا يقول
فيه بسمك اللهم من العبد إلى العبد فانا بلغنا ما بلغك واتانا
عنك خبر لا ندري ما اصله فان كنت أدريت فارنا وان كنت
عامت فعلمنا واشركنا في كنزك والسلام فكتب اليه رسول الله

(ص) بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله (ص) الى اكرم
ابن صيفي احمد الله اليك ان الله اصرني ان اقول لا اله الا الله
اقولها وامر الناس بها الخلق خلق الله والاصر كاه الله خلقهم
واماتهم وهو ينشرهم واليه المصير ادبتكم بأداب المرسلين
ولتسألن عن النبأ العظيم ولتعلمن نبأه بعد حين فلما وصل
كتاب رسول الله (ص) جمع بني تميم ووعظهم وحثهم على
المسير اليه وعرفهم وجوب ذلك عليهم فلم يجيبوه فصار هو
وبشوه وبنو بنيه فأت قبل ان يصل الى النبي (ص) وعاش
بعده صيفي ابن ابنه رياح مائتين وسبعين سنة ولم ينكر من
عقله شيئا . ومهم دريد بن الصمة الحبشي قيل عاش مائتي سنة
وقد ادرك الاسلام ولم يسلم ومن المعمرين عمرو بن سمحة
الدوسي قيل انه عاش اربعمائة سنة وهو الذي يقول

كبرت فطال العمر حتى كأنني سليم افاع ليله غير مهجع
فما الموت افناني ولكن تتابع علي سنون من مصيف ومربع
ثلاث مئين قد مردن كواملا وها انا بعد ارنجي مراربع
فأصبحت مثل النسر حل جناحه إذا هم تطيارا يقال له قع
وقد حكى عن ابن عباس انه كان جالسا في قبة زمزم

يفتي الناس فقام اليه رجل فقال له لقد افتيت اهل العلم
افأنت مفتي اهل الشعر قال قل فقال ما معنى قول الشاعر
لذي الحلم قبل اليوم ما يقرع العصا

وما علم الانسان إلا ليعلما

فقال ذلك عمرو بن جمحة الدوسي قضى على العرب ثلاثمائة
سنة وكان بعد ذلك يقول ان فرأدي بضمة مني فر بما تغير
عليّ اليوم والليلة مراراً وامثل ما اكون في صدر النهار فإذا
رأيتني (يقول هذا لبعض ولده) قد تغيرت فاقرع العصا فكان
إذا رأي منه تغيراً قرع العصا فيراجعه فهمه فقال المتلمس لذي
الحلم قبل اليوم ما يقرع العصا البيت ومن المومنين اروي
ابن شلم روي في اكمال الدين في الصحيح عن الصادق (ع)
أنه قال في حديث ذكر فيه قصة داود (ع) وانه خرج يوماً
وهو يقرأ الزبور وكان إذا قرأه لا يبقى جبل ولا حجر ولا
طائر الا اجابه فانتهي إلى جبل عليه نبي يعبد الله يقال له
حزقييل فقال داود (ع) اتأذن لي بالصمود اليك قال حزقييل
لا فبكى داود فأوحى الله إلى حزقييل ان لا تغير داود واسألني
العافية قال فأصمده حيثما نذاليه فقال لحزقييل هل هممت بنخطة

قط قال لا قال فهل دخلت العجب مما انت فيه من عبادة الله
 قال لا قال فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ من شهوراتها
 قال بلى فرجما عرض ذلك بقلبي قال فما كنت تصنع إذا كان
 ذلك قال ادخل هذا الشعب فأعتبر بما فيه قال فدخل داود
 الشعب فإذا فيه صري من حديد عليه جمجمة بالية وإذا لوح
 من حديد مكتوب فيه أنا اروي بن شلم ملكت الف سنة
 وبنت الف مدينة واقتضت الف بكر وكان آخر اصري
 أن صار التراب فراشي والحجارة وسادتي والديدان والحيات
 يهراني فمن رأي فلا يفتقر بالدنيا ومن المعمرين عبيد بن شريد
 الجرهمي ذكر في اكمال الدين انه عاش ثلاثمائة وخمسين سنة
 وفي كنز الفوائد ثلاثمائة سنة وقد ادرك النبي (ص)
 وحسن اسلامه وعمر ينده إلى ايام معاوية وقدم عليه فقال اخبرني
 يا عبيد عما رأيت وسمعت ومن ادركت وكيف الدهر فقال
 اما الدهر فرأيت ليلا يشبه ليلا ونهارا يشبه نهارا ومولودا
 يولد وحيا يموت ولم ادرك اهل زمان الا وهم يذمون زمانهم
 وادركت من قد عاش الف سنة وحدثني عن عاش قبله الف
 سنة واما ما سمعت فإنه حدثني ملك من ملوك حمير أن بعض

المملوك التابعة ممن قد دانت له البلاد وكان يقال له ذو
 مسرح اعطى الملك في عنفوان شبابه وكان حسن السير في اهل
 مملكته سنيا مطاعا وملكهم سبعمائة سنة وكان يخرج كثيرا
 إلى الصيد ومعه خاصة فخرج يوماً فأقى على حيتين احدهما
 بيضاء كأنها سبيكة فضة والاخرى سوداء وهما تقتتلان وقد
 غلبت السوداء البيضاء وكادت تأتي على نفسها فأمر الملك
 بالسوداء فقتلت وأمر بالبيضاء فاحتلمت حتى انتهى بها إلى
 عين ماء عليها شجرة فأمر بصب الماء عليها حتى رجعت إليها
 نفسها فخلى سبيلها فانسابت وعضت لسبيلها ومكث الملك
 يومئذ في تصيده فلما امسى رجع إلى منزله فجالس على سريره
 في موضع لا يصل اليه حاجب ولا احد فبينما هو كذلك إذ
 رأى شابا آخذا بمضادتي الباب وبه من الجمال مالا يوصف
 فسلم عليه فذعر منه الملك فقال له من انت ومن اذن لك
 بالدخول فقال له الشاب لا ترع ايها الملك انا لست بأجنبي
 ولكنني من الجن اتيت لاجازيك بعمالك الجميل معي فقال
 الملك وما عملي منك قال انا الحية التي احييتني في هذا اليوم
 والأسود الذي قتلتته هو غلام لنا ترد علينا وقد قتل من اهل

بقي عدة فقات عدوي واحيتني فجت لا كافيك وسن
المعمرين عمرو بن الماص قيل انه عاش مائتي سنة ولما احس
بالموت قال

مضت مائتا حول لعمر ووبعدها رمت المنايا بالسهم القوا صد
فات وما حي وان طال عمره على مر ايام الليالي بخالد
ومنهم العوام بن المنذر عاش دهرا طويلا وادرك
خلافة عمر بن عبد العزيز فأدخل عليه وقد اختلفت ترقوته
ف قيل له ما ادر كت فقال

فر الله ما ادرى ادر كت امة على عهدي القرنين ام كنت اقدا
متي تكشفوا عني القميص تبينوا جناحي لم يكسرين لحما ولا دما
ومنهم تيم بن ثعلبة عاش مائتي سنة ومهدي كرب الحميري
عاش مائتين وخمسين سنة وجعفر بن قرط الجهمي عاش ثلاثمائة
سنة وادرك النبي (ص) واسلم وعوف بن كنانة الكلبي عاش
ثلاثمائة سنة وهبل بن عبد الله بن كنانة الكلبي عاش ستمائة
وسبعين سنة هذا كله اخذناه عن كثر الفوائد للكر اجكي
ومن المعمرين ذو جند الحميري وكان ملكا قيل انه عاش ثلاثمائة
سنة وهو القائل

لكل جنب واقع مضطجع والموت لا ينفع منه الجزع
 اليوم تجزون بأعمالكم كل امرئ يحصد ما قد زرع
 لو كان شيء مفلا حنفيه افلت منه في الجبال السبع
 له سماه وله ارضه يرفع من شاء ومن شاء وضع
 ومن المعمرين قس بن ساعدة الأيادي قيل إنه عاش
 مائة سنة وقيل اقل من ذلك وكان من عقلاء العرب
 وحكائهم وهو اول من كتب من فلان الى فلان وهو ممن
 وحد الله وآمن به واقرب بملئه وحكمته وانه سيبعث الناس
 بعد الموت وهو الذي يقول

هل الغيث مطي الأمان عند نزوله

بحال مسي في الأمور ومحسن

وما قد تول فهو فات وذهب

فهل ينفعني ليتني ولو انني

وكان قس في زمانه احسن الناس عبادة وافصحهم خطابة

وكان كثيرا ما يذكر رسول الله (ص) ويبشر الناس به وآمن

به قبل مبثته وكان النبي يسأل عن اخباره ويترحم عليه ويقول

سيحشر قس امة وحده ومن حديثه لما قدم وفد عبد القيس

على النبي (ص) قال لهم ايكم يعرف قسا بن ساعدة قالوا
كلنا نعرفه يا رسول الله فقال النبي لست انساه بعباظ على
جمل احمر يخطب الناس ويقول ايها الناس اجتمعوا فإذا اجتمعتم
فاسمعوا فإذا سمعتم فعوا فإذا وغيتم فقولوا فإذا قلتم فاصدقوا
من عاش مات ومن مات فات وكل ما هو آت آت ان في
السماء لجبرا وفي الأرض ليمبرا مهاده موضوع وسقف مرفوع
ونجوم تمور وبجار لا تغور اقسم قس بالله قسما لا كاذبا فيه ولا
أثما ان كان في الأرض رضا لىكونن سحقا ان الله تعالى ديننا
هو احب اليه من دينكم الذي انتم عليه مالي ارى الناس
يذهبون فلا يرجعون ارضوا بالاقامة فأقاموا ام تركوا فناموا
ثم قال ايكم يروي شهره فأنشدوه

في الداهيين الاولى	ن من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارد	للموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحوها	يمضي الأصغر والأكبر
لا يرجع الماضي ولا ي	قى من الباقيين غابر
ايقتت اني لا مح	لة حيث صار القوم صائر

وروي ان رجلا حدث رسول الله (ص) فقال خرجت

في طلب بعير لي ضل فوجدته في ظل شجرة يهش من ورقها
فدنوت منه واستويت على كوره ثم اقتحمت واديا وإذا أنا
بتمس قائما يصلي بين قبرين فلما انفتل من صلاته قلت ما هذان
القبران قال هما قبر اخوين كانا لي يعبدان الله معي في هذا المكان
فأنا اعبد الله بينهما الى أن ألحق بهما ثم التفت الى القبرين
وبكى وجعل يقول

خيل لي هبا طال ما قد رقدنا	اجد كما أم تقضيان كرا كما
ارى خلا في العظم والجلمد منكما	كان الذي يستقي العار سقا كما
الم تملها اني بسمعان مفرد	وما لي بسمعان حبيب سوا كما
مقيم على قبريكما لست بارحا	طوال الليالي او يجيب صدا كما
فلو جعلت نفس لنفسي فداءها	جلدت بنفسي ان اكون فدا كما

قال فقلت له لم لا تلحق بقومك فتكون معهم في خيرهم
وشرهم فقال ثكلتك امك أما علمت أن ولد اسماعيل تركوا
دين ابيهم واتبعوا الأضداد وعظمو الأنداد قلت وما هذه
الصلاة التي لا تعرفها العرب فقال اصلها لا إله الا الله فقلت وللسماء
إله غير اللات والعزى فامتعض وغضب وقال إليك عني يا اخا
اياك إن للسماء إلهها هو الذي خلقها وبالكواكب زينها وبالقمر

المنير اشرقها اظلم ليالها واضحى نهارها وسوف تعلم من هذه
الرحمة واوما بيده نحو مسكة برجل اباج من ولد لوي يقال
له محمد يدعو الى كلمة الاخلاص وما اظن اني ادركه ولو
ادركت ايامه لصفقت بكفي على كفه واسميت معه حيث
يسمى فقال رسول الله (ص) رحم الله اخي قسا سيحشر امة
وحده ومن حديثه ما رواه في كنز الفوائد مسندا عن الجارود
ابن المنذر العبدي قال وفدت على رسول الله (ص) وسمي
من عبد القيس رجال ذوو احلام وحجة وبيان الى ان قال فقلت
يا رسول الله ان قسا كان ينتظر زمانك ويهتف باسمك وابيك
وامك وبأسماء لست اصيبها منك ولا اراها فيمن اتبعك قال
سلمان فاخبرنا فاقبلت على رسول الله وقلت له لقد شهدت قسا
وقد خرج من ناد من اندية اباد الى صحصح (أي الى مكان مستو
من الأرض) ذي قتاد وسمر وعتاد وهو مشتمل بنجاد فوقف
في اضحيان ليل رافعا الى السماء وجهه واصبعه فدنوت منه
فسمعتة يقول اللهم رب هذه السبعة الأربعة والأرضين الممركة
اسألك بمحمد والثلاثة المحامدة معه والعلمين الأربعة ومسططيه
النبعة وجعفر السري ذي الرفعة وسمي الكليم الضرعة والحسن

الزكي الأئمة ، أو لك النبلاء الشفعة . والطريق الموصلة . دراسة
الانجيل وحفظه التنزيل . عدد النبلاء من بني اسرائيل . محات
الأضاليل . ونفقات الأباطيل . الصادق والقبيل . عليهم تقوم الساعة .
وبهم تنال الشفاعة . ولهم من الله فرض الطاعة . ثم قال اللهم
ليتني مدركهم ولو بعد لأي من عمري ومحياتي ثم انشأ يقول
متى انا قبل الموت للحق مدرك ولو كان لي من بعدها تيك مهالك
وإن غالي الدهر الجرون بنو له فقد غال من قبلي ومن بعد ي يوشك

وقال

اقسم قس قسما	ليس به مكتما
لو عاش الفى عمر	لم ياق فيها ساما
حتى يلاقى احدا	والنبلاء الحكماء
هم اوصياء احمد	اكرم من تحت السما
يهمى العباد عنهم	وهم جلاء لامى
لست بناس ذكرهم	حتى احل الرجا

ثم قلت يا رسول الله انبئنا عن هذه الأسماء التي لم نشهد لها
واشهدنا قس ذكرها فقال رسول الله (ص) يا جارد ليلة اسري
بي الى السماء اوحى الله تعالى إلي ان سل من ارسلنا قبلك

من رسلنا على ما بعثوا فقلت لهم على م بعثتم فقالوا على نبوتك وولاية علي بن ابي طالب والائمة منكما ثم اوحى الله الي أن التفت عن عيين العرش فالتفت فإذا علي والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن ابن علي ومحمد بن الحسن المهدي في ضحضاح من نور يصلون فقال الرب عز وجل هو لا اوليائي وهذا المنتقم به من اعدائي قال الجارود فقال سلمان يا جارود هو لا المذكورون في التوراة والانجيل والزبور فانصرفت بقومي وانا اقول

اتيتك يا ابن آمنة الرسولا لكي بك اهتدي النهج السبيلا
فقلت فكان قولك قول حق وصدق ما بدالك أن تقول لا
وانبأناك عن قس الأيادي مقالا فيك ظلت به جديلا
واسماء عمت عنا فسالت الى علم و كنت بها جهولا
قلت قد يقال كيف يصح أن يكون الأئمة الاثنا عشر
(ع) في تلك الحال في السماء ونحن نعلم ضرورة خلاف ذلك
فإن امير المؤمنين كان في مكة ولم يدع ولا ادعي له أنه صعد
الى السماء وباقي الأئمة لم يكونوا مخلوقين بعد وايضا كيف جاز

سؤال الأنبياء وقد بشرنا قبله وكانوا يوم بعث النبي (ص) في عالم الأموات والجواب عن الأول أنه يجوز أن يكون أحدث الله لرسوله في المال صوراً كصور الأئمة ليطلعهم بهم ويكون كمن شاهد أشخاصهم برويته مثالمهم ويشكره على ما منحه من تفضيلهم واجلالهم وهذا في القول من الممكن المقدور ويجوز أيضاً أن يكون خلق ملائكة على صورهم يبدونه ويقتضونه لتعلم ملائكة الأئمة الذين يكونون في أرضه فتأكد عندهم منازلهم وتكون رؤيتهم تذكاراتهم وقد روي أن رسول الله لما عرج إلى السماء رأى ملكاً على صورة علي (ع) فقال يا علي سبقتني فقال له جبرائيل (ع) من هذا الذي تكلمه فقال هو أخي علي بن أبي طالب فقال ليس هذا بعلي وإنما هو ملك من ملائكة الله خلقه الله على صورة علي فنحن إذا اشتقنا إلى علي نظرنا إليه والجواب عن الثاني بأننا لا نشك في موت الأنبياء (ع) غير أن الخبر ورد بأن الله يرفعهم بعد موتهم إلى السماء وإنهم فيها منعمون إلى يوم القيامة وعن النبي (ص) أنه قال أنا أكرم عند الله من أن يدعني في الأرض أكثر من ثلاثة أيام وهكذا عندنا حكم الأئمة قال

النبي (ص) لو مات نبي بالشرق ومات وصيه بالغرب لجمع الله بينهما وليس زيارتنا لمحل قبورهم لأنهم فيها ولكن لشرفها بنفسية اجسامهم فيها ولإمادة أيضا ندينها اليها فيصبح على هذا أن يكون النبي (ص) رأى الأنبياء (ع) فسألهم كما أسرد الله تعالى وأيضا فقد قال الله (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) فإذا جاز ذلك للشهداء من المؤمنين فكيف ينكر جوازهم للأنبياء وقد اتفقت الأخبار من طريقي السنة والشيعة بتصحيح هذا واجمع الرواة أيضا على أن النبي (ص) لما فوطب بفرض الصلاة وهو في السماء قال له موسى إن امتك لا تطيق ذلك وإنه راجع الله دفعة بعد أخرى يسأله التخفيف عن امته وكل ذلك ممكن في العقول وقد دل عليه النقل كما عرفت فيكون حقا ومن حديث قس وحكمه قوله

عليهم من بقايا بزهم خرق	يأتاني الموت والأموات في جدث
صكما ينبه من نوماته الصعق	دعهم فإن لهم يوما يصاح بهم
منها الجديد ومنها الأزرق الخلق	منهم عراة ومنهم في ثيابهم
خلق جديد وخلق بعهدهم خلقوا	حتى يهودوا بحال غير حالتهم

مطر ونبات . وآباء واهبات . وذاهب وآت . وآيات في اثر
آيات . واموات بعد اموات . وضوء وظلام . وليال وايام . وشقي
ونغي . وسعيد وشقي . ومحسن وعسي . ابن الأرباب القملة .
ليصلحن كل عامل عمله . كلا بل هو الله واحد . ليس بمولود
ولا والده اعاد وابداه . واليه المآب غدا . اما بعد يا معشر اياه ابن
ثمود وعاد . وابن الآباء والأجداد . ابن الحسن الذي لم يشكر .
والقبيح الذي لم ينتقم . كلا ورب الكعبة ليهودن ما بداه ولئن
ذهب يوم ليهودن يوم . ومن حديثه ما روي مسندا عن ابن
عباس عن ابيه قال جمع قس ولده وقال ان المما تكفيه البقرة
وترويه المذقة ومن غيرك شيئا ففيه مثله ومن ظلمك وجند من
يظلمه متى عدلت على نفسك عدل عليك من فوقك واذا نهيت
عن شيء فابدا بنفسك . ولا تجمع مالا تأكل . ولا تأكل ما لا
تحتاج اليه . واذا ادخرت فلا يكن كنزك إلا فمك . وكن عف
العيلة مشترك الفنى تسد قومك . ولا تشاورن مشغولا وإن كان
حازما . ولا جائعا وإن كان فهما . ولا مذعورا وإن كان ناصحا .
ولا تضمن في عنقك طوقا لا يمكنك نزعها إلا بشق نفسك . واذا
خاصمت فاعدل . وإذا قلت فاقصد . ولا تستودعن احدا سررك

فإنك إذا فلت لم تزل وجلا . وكان المستودع باختيار بالوفاء
وعنده . وكنت له عبدا ما بقيت فإن جنى عليك فكنت أولى
بذلك . وإن وفي كان الممدوح دونك . عليك بالصدقة فإنها تكفر
الخطيئة . ومن المصريين سليمان الفارسي رضي الله عنه وهو
صاحب رسول الله وأجل لأركان الأربعة قيل أنه عاش مائتي سنة
وقد ورد في حقه أحاديث كثيرة تدل على أنه من حملة عهد المسيح
(ع) وأوصيائه ومن حديث إسلامه يعلم ذلك ويظام أكثر تاريخ
حياته وقد روى في أكمال الدين بسند صحيح عن علي بن
مهزيار عن أبيه عن ذكره عن موسى بن جعفر (ع) قال قلت
يا ابن رسول الله ألا تخبرنا كيف كان إسلام سليمان فقال حدثني
ابي (ع) أن أمير المؤمنين قال لسليمان يا أبا عبد الله ألا تخبرنا
بعبداً أمر لك فقال له لو غيرك سألتني ما أخبرته أنا رجل من أهل
شيراز من أبناء الدهاقين وكنت عزيزاً على والدي فبينما أنا
سائر مع أبي في عيسد لهم إذا أنا بصومعة وإذا فيها رجل
يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله وأن محمداً
حبيب الله فرسوخ ووصف محمد في حلمي ودمي فلم يهتني طعام
ولا شراب فقالت لي أمي ما لك اليوم لم تسجد لمطلع الشمس

قال فكابرتها حتى سكنت فلما انصرفت الى منزلي إذا أنا بكتاب
معلق بالسقف فقلت لأمي ما هذا الكتاب فقالت ياروزبة
لما رجعنا من عيدنا رأينا معلقا في ذلك المكان فلا تقربه فإنك
إن قربته قتلك أبوك قال فجاهدتها حتى جن الليل فنام أبي
وامي فقممت واخذت الكتاب وإذافيه بسم الله الرحمن الرحيم
هذا عهد من الله الى آدم أنه خالق من صلبه نبياً يقال له
محمد (ص) يأمر بكارم الأخلاق وينهى عن عبادة الأوثان
ياروزبة أنت وصي عيسى فصمتت صمعة وزادني شدة فلام
بذلك أبي وامي فأخذوني وجعلوني في بئر عميق وقالوا إن
رجعت وإلا قتلناك فقلت لهم افعلوا ما شئتم حب محمد لا يذهب
من صدري قال سلمان وما كنت اعرف العربية قبل قراءتي
الكتاب وقد فهمني الله عز وجل العربية من ذلك اليوم قال
فبقيت في البئر وجعلوا ينزلون الي اقرصا صنادرا ولما طال
اصري رفعت يدي الى السماء فقلت يارب إنك حببت محمدا
ووصيته الي فبحق وسيلته عجل فرجي وارحني مما انا فيه فأتاني
أت عليه ثياب بيض فقال قم ياروزبة فأخذ بيدي واتي بي
الى الصومعة فأنشأت اقول اشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى

روح الله وأن محمدا حبيب الله فأشرف علي الديراي فقال
 أنت روزبة فقلت نعم فأصعدني اليه وخدمته حولين كاملين
 فلما حضرته الوفاة قال إني ميت فقلت له فملي من تخلفني
 فقال لا اعرف احدا يقول بمقالي هذه إلا راهبا في انطاكية
 فإذا لقيته فأقرأه مني السلام وادفع اليه هذا اللوح وناولني
 لوحا فلما مات غسلته وكفنته ودفنته واخذت اللوح وسرت
 به الى انطاكية واتييت الصومعة وأنشأت اقول اشهد أن لا إله
 إلا الله وان عيسى روح الله وان محمدا حبيب الله فأشرف
 علي الديراي وقال انت روزبة فقلت نعم فأصعدني اليه فخدمته
 حولين ولما حضرته الوفاة قال لي إني ميت فقلت علي من
 تخلفني فقال لا اعرف احدا يقول بمقالي هذه إلا راهبا
 بالاسكندرية فإذا اتيته فأقرأه مني السلام وادفع اليه هذا اللوح
 فلما توفي غسلته وكفنته ودفنته واخذت اللوح واتييت الصومعة
 فأنشأت اقول اشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله
 وان محمدا حبيب الله فأشرف علي الديراي فقال أنت روزبة
 فقلت نعم فأصعدني اليه فخدمته حولين فلما حضرته الوفاة فقال
 اني ميت فقلت علي من تخلفني فقال لا اعرف احدا يقول بمقالي

هذه في الدنيا وان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب قد حانت
ولادته فإن أتيت به فاقرأه السلام وادفع إليه هذا اللوح ولما توفي
غسلته ودفنته واخذت اللوح وخرجت فصحبت قوما فقلت لهم
يا قوم اكفوني الطعام والشراب اكفكم الخدمة قالوا نعم قال
فلما ارادوا ان يأكلوا شدوا على شاة فقتلوها بالضرب ثم جعلوا
بعضها كبابا وبعضها مشويا فامتنت من الأكل فقالوا كل فقلت
اني غلام ديراني وان الديرايين لا يأكلون اللحم فضربوني وكادوا
ان يقتلوني فقال امسكوا عنه حتى يأتيكم الشراب فانه لا يشرب
فلما اتوا بالشراب قالوا له اشرب فقال قلت لهم اني غلام ديراني
وان الديرايين لا يشربون الخمر فشدوا علي وارادوا يقتلني فقلت
لهم لا تضربوني فاني اقر لكم بالمبودية فاقررت لواحد منهم
فاخرجني وباعني بثلاثمائة درهم من رجل يهودي فسألني
عن قصتي فاخبرته وقلت له ليس لي ذنب الا اني احببت محمدا
ووصيه فقال اليهودي واني لأبغضك وابغض محمدا ثم اخرجني
الى خارج الدار واذا رمل كثير على بابه فقال والله يا روزبة لئن
اصبحت ولم تنقل هذا الرمل كله من هذا الموضع لأقتلك
قال فجعلت احمل طول ليلتي فلما اجهدني التعب رفعت يدي الى

السماء وقلت يا ربي انك حببت محمدا ووصيته الي فبحق وسيلته
عجل فرجي وارحني مما انا فيه فبعث الله ريحا قلت ذلك الرمل
من مكانه الى المكان الذي قال عنه اليهودي فلما اصبحت نظر الى
الرمل وقد نقل فقال يا روضة انت ساحر وانالا اعلم فلا اخرجك
من هذه القرية لئلا تهلكها قال فاخرجني وباعني لامرأة
سلمية فأحببني حبا شديدا وكان لها حائط فقالت هذا الحائط
لك كل منه ما شئت وتصدق بما شئت قال فبقيت في ذلك
الحائط ما شاء الله فينا أنا ذات يوم في الحائط واذا أنا بسبعة
رهط قد اقبلوا تظلمهم غمامة فقات في نفسي والله ما هو لاء
كلهم انبياء وان فيهم نبيا قال فاقبلوا حتى دخلوا الحائط والقيامة
تسير معهم فلما دخلوا اذا فيهم رسول الله (ص) وامير المؤمنين
(ع) وابو ذر والمقداد وعقيل بن ابي طالب وحزرة بن عبد
المطلب وزيد بن حارثة فجعلوا يتناولون من حشف النخل
ورسول الله يقول لهم كلوا الحشف ولا تفسدوا على القوم
شيئا فدخلت على مولاتي فقلت لها هي لي طبقا من رطب
فقالت لك ستة اطباق قال فحملت طبقا من رطب فقالت في
في نفسي ان كان فيهم نبي فإنه لا يأكل الصدقة ويأكل الهدية

فوضعت بين يديه فقلت هذه صدقة فقال رسول الله (ص) كلوا
وامسك رسول الله (ص) وامير المؤمنين واخوه عقیل وعمه
حزرة فقلت في نفسي هذه علامة فدخلت الى مولاتي فقلت
هي لي طبقا آخر فقالت لك ستة اطباق فحملت طبقا ووضعته
بين يديه وقلت هذه هدية فد يده وقال بسم الله كلوا ومد
القوم جميعا ايديهم فاكلوا فقلت في نفسي هذه ايضا علامة اخرى
قال ورجعت الى خلفه وجمعت اتفقد خاتم النبوة فحانت من
النبي (ص) التفاتة فقال ياروزبة تطلب خاتم النبوة قلت نعم
فكشف عن كتفيه فإذا بخاتم النبوة معجون بين كتفيه عليه
شعرات قال فسقطت على قدم رسول الله (ص) اقباه فقال
ياروزبة ادخل الى هذه المرأة وقل لها يقول لك محمد بن عبد الله
اتبيني له فدخلت فقلت لها ان محمد بن عبد الله يقول لك
اتبيني له فقالت لا ابيك إلا بأربعمائة نخلة منها مائتان صفراء
ومنها مائتان حمراء قال فبجئت الى النبي (ص) فأخبرته فقال
ما اهلون ما سألت ثم قال قم يا علي فاجمع هذا النوى كله فأخذه وغرسه
ثم قال اسقه فسقاه امير المؤمنين فما بلغ آخره حتى خرج النخل
ولحق بعضه بعضا فقال لي ادخل اليها وقل يقول محمد بن عبد الله

هذا شيطانك فاستلميه وسلمينا شيئا قال فدخلت عليها وقلت لها ذلك فخرجت ونظرت الى النخل فقالت والله لا ابيحك به إلا بأربعمائة نخلة كلها صفراء قال فهبط جبرائيل (ع) ومسح النخل بمجناحه فصار كله اصفر ثم قال النبي قل لها ان محمد يقول لك خذي شيطانك وادفسي الينا شيئا قال فقلت لها ذلك فقالت والله لنخلة من هذه احب إلي من محمد ومنك فقلت والله ليوم واحد مع محمد احب إلي منك ومن كل شيء أنت فيه فاعتقني رسول الله (ص) وسماني سلمان والحمد لله رب العالمين ومن المعمرين هود (ع) ففي مجمع البحرين للطريحي قيل أنه عاش ثمانمائة سنة وسبع سنين وهو ابن شالح بن ارفخشذ ابن سام بن نوح (ع) وقيل في نسبه غير ذلك وقد ارسله الله تعالى الى عاد وكانوا يسكنون اليمن وكانت منازلهم في الأحقاف وهي رمال يقال لها رمل عالج والدهناء ويبرين ما بين عمان الى حضرموت وكان لهم زرع ونخل ولهم اعمار طويلة واجساد عظيمة وكانوا يمشون الأصنام فدعاهم الى التوحيد وخلع الأنداد فأبوا عليه وكذبوه فامسك الله عنهم المطر سبع سنين وقيل ثلاث سنين حتى قحطوا وكان الناس يومئذ إذا نزل بهم

ببلاد التجاءوا الى الحرم الشريف بمكة مؤمنهم وكافرهم وكان
 اهل مكة يومئذ الممالقة اعني ولد عمليق بن لاوي بن سام
 ابن نوح (ع) وكان سيد المماليق معاوية بن بكر وكانت امه
 من عاد فبعثوا وفدا الى مكة ليستقوا لهم فنزلوا على معاوية
 فاكرمهم واقاموا عنده شهرا يشربون ويتلذذون فلما رأى
 معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم ليتفوثوا لهم شق عليه
 ذلك وقال هالك اخواني وهو لا يقيمون وهم ضيفي استحي
 أن آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه وشكى ذلك الى الجرادتين
 اللتين كانتا تغنيانه فقالتا قل شعرا ونحن نغنيهم به ولا يعرفون
 قائله فقال

الا يا قيل ويحك قم وهيتم	لعل الله يستقينا غماما
ويستقي أرض عادان عادا	قد امسوا الايبينون الكلاما
وان الوحش تأتيهم جهارا	ولا تخشى لعاذي سهامها
وانتم ها هنا فيما اشتهيتم	نهاركم وليلكم الستام
ففتح وفدكم من وفد قوم	ولا لقوا التحية والسلاما
فلما غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض ويحكم انما	
بعثكم قومكم ليتفوثوا بكم فادخلوا الحرم واستسقوا لهم	

فقال رجل منهم وكان مؤمناً بهود (ع) والله لا تستقون
بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم سقيتم فزجروه وخرجوا
إلى الحرم وكان قيل رئيس الوفد فدعا وقال يا آللهنا إن كان
هود صادقاً فاسقنا الفيت فأنشأ الله سبحانه ثلاث بيضاء وسحراً
وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك
فاختار السوداء فساق الله سبحانه تلك السحابة بما فيها من
العذاب إلى عاد فلما رؤوها استبشروا وقالوا عارض ممطرنا
قال الله تعالى (بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم
فسخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما) أي دائمة غير
منقطعة فام تدع من عاد احدا الا اهلكته واعتزل هود واصحابه
ناحية ولم يعصوا منها بشي وقد بشر هود (ع) بصالح وارسله
بعده إلى ثمود وكانوا في وادي القرى بين الشام والمدينة وعن
الضحاك انهم كانوا يمرون من الثلاثمائة سنة إلى الألف
وكان عمره يوم بعث ست عشرة سنة فأقام بينهم يدعوهم إلى
الله حتى تم له مائة وعشرون سنة وكان لهم سبعون صنماً يعبدونها
فلما رأى ذلك منهم قال أنا اعرض عليكم امرين إن شئتم
فاسألوني حتى أسأل إلهي فيجيبكم أو أني أسأل إلهكم فإن

اجابوني خرجت عنكم فقد مللتكم ومللتموني قالوا قد انصفت
فاتعدوا يوما فخرجوا بأصنامهم واكلوا وشربوا فلما فرغوا قالوا
يا صالح سل آلهتنا فسألها فلم تجبه قال لا ارى آلهتكم تجيبني
فاسألوني حتى اسأل إلهي فيجيبكم الساعة فقالوا اخرج لنا
من هذه الصخرة ناقة وبراء جوفاء فإن فعلت صدقتك وآمنّا
بك فسأل الله سبحانه ذلك فانصدعت الصخرة وكان لذلك
صوت كادت عقولهم أن تطير منه ثم اضطربت كالمرأة التي
يأتيتها الطلق ثم انفطقت عن ناقة عشراء وبراء كما وصفوا فقالوا
ما اسرع ما اجابك ربك ادعوه ليخرج منها فصيلا مثلها في
المظام ففعل فأخرج الله منها فصيلا وكانت تسد ما بين الجبلين
وحكي أن بينهما ثمانين ذراعا فأمن له رهط منهم فقال لهم صالح
(هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها
بسوء فإأخذكم عذاب اليم) ثم قال لها شرب ولكم شرب يوم
معلوم) فكان الماء يوما لها ويوما لهم وكانت في يومها تشرب
الماء كله ثم تفجج لهم فيعتلبون ما شاءوا من اللبن فيشربون
ويدخرون في بيوتهم وكانوا في سمة من العيش ودعة وكانوا
يسقون مواشيهم في يوم الناقة من الجبال فشق عليهم ذلك

وكانت مواسيهم تنفر منها لعظمها فهموا بقتلها وكانت منهم امرأة ذات جمال ولها مواش بقر وغنم وكانت اشد الناس عداوة لصالح فدعت رجلا اسمه مصدع وجعلت له نفسها إن عقر الناقة وامرأة اخرى يقال لها عنيزة دعت رجلا اسمه قدار ابن سالف وكان اجر ازرق قصيرا وكان ابن زنا وجعلت له من شاء من بناتها على أن يعقر الناقة فانطلق قدار ومصدع واستنويا جماعة من ثمود فتبعها سبعة منهم فاوحى الله تعالى الى صالح واعلمه بذلك فقال لقومه فقالوا ما كنا لنفعل ثم أنه خرج قدار ومن معه وكنوا للناقة فرماها مصدع بسهم فانتظم بمضلة ساقها واصرت عنيزة احدى بناتها بأن تسفر عن وجهها لقدار وكانت من اجل النساء ففعلت ثم اشارت اليه على الناقة فشدها بها بالسيف فخاص في عرقوبها فخرت ورغت رغاء واحدة تحذر فصيلها ثم طعنها في لبثها ونحرها وخرج اهل البلد واقتسموا لحمها فلما رأى فصيلها ذلك ولى هاربا وصعد الجبل ثم رغار غاء يقطع القلوب واقبل صالح فخرجوا يمتدرون اليه ويقولون عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم انظروا اهل تدركوا فصيلها فإن ادر كنموه عسى أن يرفع عنكم العذاب فطلبوه فلم يجدوه

فقال صالح قمتوا في داركم ثلاثة ايام فإن العذاب نازل بكم
وعامة ذلك انكم تصبحون غدا ووجوهكم صفرة وفي
اليوم الثاني تحمر وتسمود في الثالث فلما كان اليوم الأول
اصفرت وجوههم فقالوا قد جاءكم ما وعدكم به صالح وقد اجرت
في اليوم الثاني واسودت في الثالث ولما كان نصف الليل
صرخ بهم جبرائيل (ع) صرخة فلفت قلوبهم وصدعت اكبادهم
فماتوا جميعا في طرفة عين ونجا الله صالحا والذين آمنوا معه (واخذ
الذين ظلموا الصبيحة فأصبحوا في ديارهم جائعين) وفي الخبر
عن النبي (ص) قال يا علي اتدري من اشقى الأولين . اشقى
الأولين عاقر ناقة صالح واشقى الآخرين من ينضب هذه
من هذا مشيرا الى رأس علي (ع) ولحيته وقد عني بسيد ابن
ملاجم المرادي لعنه الله

ومن المعمرين عيسى بن مريم (ع) فإن الله تعالى رفعه الى
السماء حيا وفي الخبر عن النبي (ص) أن عيسى بن مريم لم
يمت وانه راجع اليكم قبل يوم القيامة وقد اجتمع المسلمون على
أنه سينزل الى الأرض في ايام الامام المهدي (ع) ويساعده على
قتل الدجال في باب لد من ارض الشام وانه يصلي خلفه وقد

استفاضت بذلك الأخبار عن النبي (ص) من طرق السنة
والشيعة بل هي متواترة ففي البخاري عن النبي (ص) كيف
أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم وحكي عن
صحيح مسلم وفي الصواعق الخرج الطبراني عن النبي (ص)
قال يلتفت المهدي (ع) وقد نزل عيسى من السماء كأنما يقطر
من شمره الماء فيقول تقدم فصل بالناس فيقول إنما اقيمت
الصلاة لك فيصلي خلف رجل من ولدي وحكي عن صحيح
أبي حيان وأما قوله تعالى (يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلي
ومطهرك من الذين كفروا) فغير صريح بالموت قبل الرفع
لجواز عطف السابق على اللاحق بالواو في قوله (كيف كان
عذابي ونذر) فإن المذاب لا يكون إلا بعد الإنذار قال تعالى
(وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ويجوز أيضا أن يراد
بالوفاة النوم كما في قوله (هو الذي يتوفاكم بالليل) وقال
(الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها) وعن الربيع
أنه رفعه نائما ويجوز أن يكون المراد به القبض والأخذ أي
إني آخذك من بينهم وقد حكي هذا عن جملة من الناس منهم
الحسن وكعب وابن جريح والكلبي وابن زيد وقيل معناه

الإستلام من توفيت حقي أي استلمته وهو راجع الى الأخذ
وعن ابن عباس ووهب أن الله أماته ثلاث ساعات وهو مردود
بما روي عن النبي (ص) على أنه لو كان الأمر كذلك لبان
واشتهر لعظم الواقعة ومكان عيسى (ع) والأمر بالعكس
وأما ما اخبر به اليهود والنصارى من أنه ضلّب وقتل فقد رده
الله عز وجل بقوله (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم)
فإن قلت كيف يمكن كذب اليهود والنصارى على كثرتهم
في مثل هذا الأمر المحسوس قلت إن الله سبحانه لم يكذبهم
من حيث اخبارهم بما رأوا بل من حيث اعتقادهم إن ذلك
مطابق للواقع فإنهم إنما اخبروا بأن المصلوب
عيسى من حيث رأوه كذلك ولم يعلموا بوقوع الشبه فهم
صادقون ولكن اخبر الله بوقوع الشبه وان ما رأوه لم يطابق
الواقع وبالجملة فلو قلنا لهم إن الله القى شبه عيسى على غيره
فزعمتم أنه عيسى لم يكن لهم أن يقولوا في جوابنا نحن رأينا
عيسى لأن قولنا لا ينافي ذلك ولا نحن نكذبهم فيه نعم لهم
أن يطالبونا بإثبات ما ندعيه فنقول لهم القاء الشبه امر مقدور
لله بلا ريب لقد رتبته على كل ممكن وقد اخبر النبي (ص) عن

الرب سبحانه والنبي لا يجوز عليه الكذب وقد اشنا البرهان
 على نبوته فيما سبق ومجمل القصة عن ابن عباس إن الله لما مسح
 الذين سبوا عيسى وامه (ع) بدعائه بلغ ذلك يهودا وهو رأس
 اليهود فخاف أن يدعو عليه فجمع اليهود واتفقوا على قتله
 فأسروه وهموا بصلبه فاظلمت الأرض وارسل الله جبرائيل (ع)
 فأخذه من بينهم وادخله البيت وكان فيه روزنة فرفعه منها
 الى السماء فبعث يهودا رجلا الى البيت اسمه ططيانوس ليقتله
 فدخل البيت فلم يجد فابطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فجاءوا
 الى البيت فخرج اليهم وقد التقى الله عليه شبه عيسى (ع) فقال
 لهم لم اجده فقالوا أنت هو فأخذوه وصلبوه وهو يقول أنا
 صاحبكم فلم يلتفتوا اليه وقيل دلهم عليه بودس واخذ منهم
 ثلاثين درهما ولما دخل معهم البيت رفع الله عيسى (ع) والتقى
 شبهه عليه فأخذ وصاب وهو يقول أنا الذي دلتكم عليه
 فلم يسمعوا منه وقيل أن اليهود لما دخلوا على عيسى (ع) وكان
 عنده الحواريون صيرهم الله جميعا على صورة عيسى فقال اليهود
 سحرتونا فليبرز عيسى وإلا قتلناكم جميعا فقال عيسى من
 يشري الجنة بنفسه فقال سرخس أنا ياروح الله ثم خرج وقال

لليهود أنا عيسى فأخذهوه وصلبوه ورفع الله عيسى (ع) ثم هبط
 بعد سبعة أيام على الجبل فاشتعل نورا وجمع الحواريين وبشهم
 دعاء في الأرض ورأس عليهم شمعون الصفا (ع) قبل وتلك
 الليلة هي الليلة التي تدخن فيها النصارى قبل ومن الحواريين
 ذريب بن ثملا روي في كنز الفوائد مسندا إلى معاوية ابن
 المضلة قال كنت مع الوفد الذين وجههم عمر بن الخطاب
 ففتحنا مدينة حلوان وطلبنا المشركين في الشعب فلم نقدروا عليهم
 وحضرت الصلاة فأنتهيت إلى ماء فنزلت عن فرسي ثم توضأت
 واذنت فقلت الله أكبر فاجابني شيء من الجبل يقول كبرت
 كبيرا ففزعمت لذلك ولم أر شيئا فقلت اشهد أن لا إله إلا الله
 فقال لقد اخلصت فقلت اشهد أن محمدا رسول الله فقال نبي
 بعث فقلت حي على الصلاة فقال فريضة افترضت فقلت حي
 على الفلاح فقال افلح من اجابها فقلت قد قامت الصلاة فقال
 البقاء لأمة محمد وعلى رأسها تقوم الساعة فلما فرغت ناديت
 بأعلى صوتي انسي أم جني قال فأطلع رأسه من الكهف وقال
 انسي فقلت من انت يرحمك الله قال انا ذريب بن ثملا من
 حوارى عيسى بن مريم (ع) اشهدان صاحبكم نبي وهو الذي

بشر به عيسى (ع) ولقد اردت الوصول اليه فحال بيني وبينه
كسرى وفارس ثم ادخل رأسه في الكهف فركت فرسي
ولحقت المسكر وسعد بن ابي وقاص الأمير علينا فأخبرته
فكتب إلى عمر بن الخطاب فجاءه الجواب يقول فيه الحق
الرجل فركب سعد وركت معه حتى انتهينا إلى الجبل فلم
نترك كهفا ولا شعبا الا التمسنا فلم نجده وحضرت الصلاة فلما
فرغت ناديت بأعلا صوتي يا صاحب الوجه الجميل قد سمعنا
منك كلاما فأخبرنا من انت قل فاطلع رأسه من الكهف
وقال السلام عليكم فقلت وعليك السلام ثم قال انا ذريب
ابن ثمالا وصي عيسى بن صريم (ع) وكان سأل ربه لي البقاء إلى
نزوله من السماء واقامتي في هذا الجبل وانا موصيكم اياكم
وخصالا تظهر في امة محمد (ص) فإذا ظهرت فالمررب المرب
لا نيقوم احدكم على نار جهنم خير له من البقاء في ذلك الزمان
قال معاوية قلت اخبرنا بك اخصال قال نعم إذا استغنى الرجال
بالرجال والنساء بالنساء وانتسبتم إلى غير مناسبكم وتوليتهم
غير مواليكم ولم يرحم كبيركم صغيركم ولم يوقر صغيركم
كبيركم وصارت خلافتكم في صبيانكم وركن علماءكم إلى

ولا تنكم فاحلوا الحرام وحرموا الحلال وافترسهم بما يشتهون
واخذوا القرآن الحانا ومزامير في اصواتهم ومنعتهم حقوق
الله من اموالكم ولعن آخر امتكم اولها وزوقتهم المساجد
وطراتهم المنابر وحليتهم المصاحف بالذهب وركب نساؤكم
السروج وصارت مستشار اموركم واطاع الرجل امرأته وعق
والديه وضرب شاب والدته وقطع كل ذي رحم رحمه وبخلتم
بنا في ايديكم وصارت اموالكم عند شراركم وكنزتم الذهب
والفضة وشربتم الخمر ولعبتم بالميسر وضربتم بالكبار ومنعتهم
الزكاة ورأيتهموها مغرما والخيانة مغنا وقتل البري لتعظ الامامة
واختلست قلوبكم فلم يقدر احد ان يأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر فصار قضا والولد غيظا وكثر اولاد الخبيثة يمني الزنا
وطففت المكياك وكذب عليكم عدوكم وضربتم بالنلة وقتل
الصدقة وكثر الفجور وغارت العيون فمدها نادوا افلا جواب لكم
ومن المعمرين الدجال الذي سيظهر في آخر الزمان فقد
روى في اكمال الدين بطريق السنة عن ابن عمر عديثا يدل
على وجوده في زمن النبي (ص) وقال إن السنة يصدقون هذا
الخبر ويروونه ويقولون بغيبة الدجال وبقائه المدة الطويلة

ولا يصدقون بأمر القائم وفي الحديث المشار إليه ان النبي قال للدجال إشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله فقال بل تشهد انت اني رسول الله فقال له النبي (ص) قد خبأت لك خبأ فما هو فقال الدخ الدخ فقال النبي (ص) اخساً فإنك لن تمدوا اجالك ولن تبلغ املك ولن تنال إلا ما قدر لك ثم قال لأصحابه ما بعث الله نبيا إلا وانذر قومه الدجال وان الله عز وجل اخره إلى يومكم هذا فهما تشابه عليكم من امره فإن ربكم ليس بأعور وانه يخرج على حمار عرض ما بين اذنيه ميل يخرج ومعه جنة ونار وجبل من خبز واكثر اتباعه اليهود والنساء والأعراب يدخل آفاق الأرض الامكة ولا يبيتها والمدينة ولا بيتها وفي الاكمال باسناده عن ابن سبرة قال خطبنا امير المؤمنين (ع) ثم قال سلوني ايها الناس قبل ان تفقدوني فقام اليه صمصمة بن صوحان وقال متى يخرج الدجال فقال (ع) اجلس فقد سمع الله كلامك وعلم ما اردت والله ما المسوؤل عنه بأعلم من السائل ولكن لذلك علامات ان شئت انبأتك بها قال نعم يا امير المؤمنين فقال علامة ذلك إذا مات الناس الصلاة واضاعوا الامانة واستحلوا الكذب

واكلوا الربا واخذوا الرشا وشيدوا البنيان وباعوا الدين بالدنيا
 واستعملوا السفهاء وشاوروا النساء وقطعوا الأرحام واتبعوا
 الأهواء واستخفوا بالدماء وكان المدل ضمنا والظلم فخرًا
 وكانت الأمراء فيجرة والوزراء ظلمة والعرفاء خونة والقراء
 فسقة وظهرت شهادة الزور واعلمن الفجور وحليت المصاحف
 وزخرفت المساجد وطولت المنارات واكرمت الأشرار
 وازدحت الصفوف واختلفت القلوب ونقضت المعهود واقترب
 الموعد وشارك النساء ازواجهن بالتجارة حرصًا على الدنيا
 وعلت اصوات الزناديق واستمع منهم واتقي الفاجر بخافة
 شره وصدق الكاذب وأتمن الخائن واتخذت القينات والمعازف
 ولعن آخر هذه الامة اولها وركب ذوات الفروج السروج
 وتشبه النساء بالرجال والرجال بالنساء وشهد الشاهد من غير
 ان يستشهد وتفقه لغير الدين وآثروا عمل الدنيا على الآخرة
 ولبسوا جلود الضأن على قلوب الذئاب وعند ذلك الوحا
 الوحا ثم العجل العجل خير المساكن يومئذيت المقدس وليأتين
 على الناس زمان يتمنى احدهم ان يكون من سكانه فقام
 الأصبع بن نباته فقال يا امير المؤمنين من الدجال فقال الا إن

الدجال صايد بن صائد فالشقي من صدقه يخرج من قرية تعرف باليهودية من اعمال اصفهان عينه اليمنى مسوخة والاخرى في جبهته تضئ كأنها كوكب فيها علة كأنها ممزوجة بدم بين عينه مكتوب كافر يقرأه الأمي والكاتب يخوض البحار ويسير بين يديه جبل اسود يري الناس اندخان ومن خلفه جبل ابيض يري الناس انه طعام يخرج في قحط شديد تحته حار خطوة حاره ميل تطوى له الأرض منهلا منهلا ولا يمر ماء إلا غار إلى يوم القيامة ينادي بأعلى صوته يسمعه ما بين الخافقين من الجن والانس يقول الي اوليائي انا (الذي خلق فسوى وقدر فهدى انا ربكم الأعلى) وكذب عدو الله انه اعور (ويعلم الطعام ويمشي في الاسواق) وإن ربكم ليس بأعور ولا يمشي ولا يزول تعالى الله عن ذلك إلا وإن أكثر اتباعه يومئذ اولاد الزنا واهل الطيالة الخضر يعني اليهود يقتله الله في الشام في عقبة تعرف بعقبة افيق لثلاث ساعات مضت من يوم الجمعة على يد من يصلي خلفه المسيح عيسى بن مريم إلا ان بعد ذلك الطامة الكبرى قلنا وما ذلك قال خروج دابة الأرض من عند الصفا معها عصا موسى وخاتم

سليمان تضع الخاتم على وجه كل مؤمن فيطبع فيه هذا مؤمن
وتضعه على وجه الكافر فيطبع بهذا كافر حتى ان المؤمن
لينادي ويل لك يا كافر ويقول الكافر طوبى لك يا مؤمن
وددت اني مثلك ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين
وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها فعند ذلك ترفع النبوة
(لا يتفجع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل) ثم قال (ع)
لا تسألوني عما يكون بعد ذلك فانه عهد الي رسول الله (ص)
ان لا اخبر به غير عترتي قال ابن سبرة فقلت لصعصعة ما عني
بهذا فقال ان الذي يصلي خلفه المسيح هو الثاني عشر من
المترة التاسع من ولد الحسين (ع) وهو الشمس الطالعة من
مغربها يظهر عند الركن والمقام فيطهر الأرض ويضع ميزان
العدل فلا يظلم احد احدا اقول الحديث لا يدل على ان المراد
بالشمس الامام (ع) كما ذكر رحمه الله ولم يكن مما يوجب
التأويل فقد شق الله القمر معجزة للنبي (ص) ورد الشمس
بعد غروبها ليوشع بن نون ولأُمير المؤمنين عليهما السلام
وورد في الأخبار ان من علامات ظهوره صلى الله عليه وسلم
الشمس في النصف من شهر رمضان وخسوف القمر في آخره

وكل ذلك خلاف المعتاد من دور الفلك كطالع الشمس من المغرب ولكنه ممكن والله سبحانه خرق العادات وفي عدة من الأخبار ان الأيام والليالي تطول في وقت ظهور المهدي (ع) حتى تكون السنة كمثث من هذه السنين ولازم ذلك نقض المعتاد من دور الفلك بلا ريب وهو يؤيد كون المراد من الشمس في الحديث نفسها

ومن الممربين ادريس النجبي (ع) فمن التوراة انه عاش تسعمائة وخمسا وستين سنة وهو من اجداد نوح (ع) واسمه اخنوخ قيل انما سمي ادريس لكثرة درسه الكتب وهو اول من كتب بالقلم واول من خاط الثياب وكانوا يلبسون قبله الجلود وقد علمه الله تعالى علم النجوم والحساب والهيئة وكان ذلك معجزة له وقد رفعه الله تعالى آخر امره إلى السماء قال سبحانه (ورفعناه مكانا عليا) قيل إلى السماء الرابعة وهو محكي عن انس وابي سعيد الخدري وغيرهما وعن ابن عباس انه رفع إلى السماء السادسة وفي حديث الباقر (ع) عن رسول الله (ص) ما يدل على الأول قال اخبرني جبرائيل ان ملكا من الملائكة كانت له منزلة عند الله فعتب عليه في شيء فأهبطه إلى الأرض فأتى ادريس (ع) فقال انك عند الله

منزلة فاشفع لي فصلى ثلاث ليال وصام أيامها ثم طلب إلى الله عز وجل في السحران يرضى عن الملك فقال له الملك قد أعطيت سؤلك وقد اطلق جناحي وأنا أحب أن أكافيك فاطلب إلي حاجة فقال تريني ملك الموت لملي آنس به فإنه ليس يهتني مع ذكره شيء فبسط جناحه وقال اركب وصعد به فطلب ملك الموت في السماء الدنيا فلم يجده فصعد حتى بلغ الرابعة فاجتمع به بين السماء الرابعة والخامسة وهو مقطب فقال له حامل ادريس مالي أراك قاطبا قال كنت في ظل العرش فأمرت أن اقبض روح آدمي بين السماء الرابعة والخامسة وقد لحقني من ذلك عجب فسمع ادريس (ع) فامتعض وخرج من جناح الملك وقبض ملك الموت روحه بمكانه وحيث كان الفرض الردي على ما قاله مخالفونا من عدم جواز التعمير زيادة على المائة والعشرين سنة فلنكتف بما ذكرنا من الممرين فإنه كاف في ذلك مضافا إلى ما تقدم من الدليل القاطع على خلافه والله الهادي إلى سواء السبيل

خاتمة

قد روى اخواننا اهل السنة في الصحيح كما نص عليه في الصواعق عن النبي (ص) في تفسير قوله تعالى (يا أيها الذين

آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما (إنهم قالوا يا رسول الله قد علمنا
 كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل
 على محمد وعلى آل محمد ورووا أيضا أنه قال لا تصلوا علي
 الصلاة البتراء فقالوا وما الصلاة البتراء فقال تقولون اللهم صل
 على محمد وتمسكون بل قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل
 محمد ولا ينبغي عليك أن تقتضي ذلك وجوب ضم الآل معه
 في الصلاة ولم نر احدا منهم تعبد بذلك بل اذا ذكر النبي (ص)
 صلوا عليه دون الآل وهي الصلاة البتراء التي نهينا عنها وكذا
 اذا ذكره كتابة وفي هذا خلاف ظاهر لرسول الله صلى الله
 عليه وآله وربما دل على مواربتهم لأهل البيت (ع) وهو من
 المعجب بمكان واعجب من ذلك عدم التزامهم بطريقة أهل البيت
 وتركهم الإقتداء بأقرانهم في الدين والعدول عنهم في ذلك إلى
 أبي خنيفة وغيره من علماء المسلمين هذا مع ما روي عن النبي
 (ص) أنه قال إني تارك فيكم ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا
 بعدي الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي الحديث وقد شرحناه
 فيما تقدم وبيننا أن المراد من أهل البيت الأئمة الإثنا عشر (ع)
 علي وبنوه (ع) للدلالة الحديث على عصمتهم والمصمة منفية

عن غيرهم باجماع الأمة ومثله قوله مثل اهل بيتي فيكم مثل
سفينة نوح في قومه من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وإذ
قال (ص) اقضاكم علي وقال أنا مدينة العلم وعلي بابها وقال
لهلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي
فأنت اخي ووارثي قال وما ارث منك يا نبي الله قال ما ورث
الأنبياء من قبلي قال وما ورث الأنبياء قال كتاب الله وسنة
نبيه وأنت معي في قصري في الجنة مع فاطمة بنتي وأنت اخي
ورفيقي ثم تلى قوله تعالى (اخوانا على سرر متقابلين) روى هذا
ابن حنبل في مسنده بطريقين وروى ايضا بإسناده أنه قال لكل
نبي وصي ووارث وان وصيي ووارثي علي بن ابي طالب وقال
كما في حديث ابن عباس رواه في المناقب بإسناده على ما نقل
إتاني جبرائيل بدرنوك من الجنة فجلست عليه فلما حرت بين
يدي ربي كلمني وناجاني فما علمت شيئا إلا علمته عليا (ع)
فهو باب مدينتي ثم دعاه اليه فقال يا علي سلامك سلامي وحربك
حربي وأنت العلم فيما بيني وبين امتي بعدي وانهم مع ذلك
ليذكرون قوله في المسألة ويخالفونه الى غيره كما لا يخفى على
المتبع كأنهم لم يقفوا على قول عمر (رض) لا يقيت لمعضلة

ليس فيها أبو الحسن وأنه كان يفتي في الشيء ثم إذا علم مخالفة علي له عدل إلى قول علي وكيف يكون وارث الكتاب والسنة ويخفى عليه حكم شرعي أو أمر ديني وكيف يجوز عليه الخطأ وهو العلم والمرجع بعد النبي لأئمة وكيف يسوغ لما قل مخالفته بعد ذلك وكيف يستبيح مؤمن ترك ما يقوله وقد قرنه رسول الله بكتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ونشأه الأئمة من ولده وقد نص النبي (ص) مع ذلك على نفي الضلال عن تمسك بهم وكيف يعدل عنهم إلى غيرهم وهم سفينة النجاة والمتخلف عنهم هالك وغارق ومن عجب أمرهم قولهم بمدالة معاوية وأنه معذور بحرب علي لأنه تناول بل له اجر كما للمجتهد إذا اخطأ هذا مع اعترافهم بأن عليا هو المعني بأنفسنا في قوله تعالى (فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا ونفسيك) لا اتفاق الكل على أن النبي (ص) خرج لمباهالة نصارى نجران بعلي والحسين وفاطمة ويدل على أنه نفسه أيضا قوله (ص) علي مني وأنا من علي وهو متواتر وإذا صح أنه نفس رسول الله (ص) كان المحارب له محاربا لرسول الله وقد أكد ذلك بقوله (ص)

حرب علي حربي وسلمه سامي وهو مشهور بين الفريقين بل متواتر كما لا يخفى على من وقف على طرقة ولا ريب في كفر المحارب للنبي (ص) ويدل عليه قوله (ص) أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي وهو من قسم المتواتر قطعا ومقتضاه أن لعلي من النبي (ص) جميع ما لهارون من موسى (ع) عدا النبوة وقد كان هارون اخا موسى ووزيره وشريكه في الأمر ومساعدته وكان معصوما مثله وحجة على الناس بمقتضى كونه شريكا ولا ريب بأن محارب هارون (ع) كافر لما له من الأمر ولأنه مع اخيه (ع) فالحارب له محارب لأخيه وكذلك علي (ع) ويؤيد العموم المذكور مع ظهوره من الخبر سيما بلحاظ الاستشهاد بحكي عن مسند ابن حنبل أنه روى بإسناده عن أسماء بنت عميس قالت سمعت رسول الله (ص) يقول اللهم إني أقول كما قال أخي موسى (ع) اللهم اجعل لي وزيرا من أهلي علياً أخي أشد به أزري وأشر به في أمري كي نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا إني أنك كنت بنا بصيرا وقد حكى نحو هذا عن تفسير الثعلبي وعن المناقب للمنازلي بإسناده عن سلمان (رض) قال سمعت النبي (ص) يقول كنت أنا

وعلي نورا بين يدي الله قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام فلما خلق الله آدم عليه السلام ركب ذلك النور في صلبه فلم يزل شيئا واحدا حتى افترقنا في صلب عبدالمطلب في النبوة وفي علي الخلافة ونقل ايضا عن كتاب الفردوس لأبي شيرويه بإسناده إلى سلمان (رض) ويؤيد ذلك ايضا ما حكى عن المناقب بإسناده عن انس بن مالك قال كنت عند النبي (ص) واتي علي مقبلا فقال أنا وهذا حجة علي امتي يوم القيامة وقد ظهر بما ذكرنا انه لا شبهة في كفر معاوية بحربه لأبيير المؤمنين (ع) وقولهم بتورثته لا دليل عليه بل سببه بعد موته وأمره عماله بذلك حتى اتخذوه بنو امية سنة إلى أن رفعه ابن عبد العزيز في أيام خلافته يدل على المدم وقد صرح عن النبي (ص) أنه قال من سب عليا فقد سبني وما دل على المماثلة وأنه نفسه يقتضي ذلك وسب النبي (ص) كفر بالاجماع وفي الصواعق لابن حجر ان لعن المسلم كتمه وذكر انه حديث محفوظ ودعوى الاجتهاد له جهل أو عناد فلا اجتهاد مع النص لعدم جواز مخالفته وما ذكرنا من النصوص كتابا وسنة لم يكن يخفى على مثل معاوية هذا مضافا إلى ما نبه عليه رسول الله (ص)

بقوله في شأن عمار وانه تقتله الفئة الباغية وقد علم ذلك واشتهر
وارتاب بقتله اهل الشام وقد كان مع علي فقال لهم معاوية
وعمر و قتله من جاء به فوها عليهم بذلك عناد الله ورسوله
افضلوا واضلوا هذا كله مع ما صرح عن النبي (ص) أنه قال لعلي (ع)
من قاتلك في آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال وقد رواه
في المناقب بإسناده وروى أيضا بإسناده أنه قال (ص) من آذى
عليًا يمت يوم القيامة يهوديا أو نصرانيا فقال جابر وإن شهد
أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقال يا جابر كلمة يحتاجون بها
إلى نفسك دماءهم وأموالهم وروى أيضا بإسناده عن أبي ذر (رح)
قال قال النبي (ص) من ناصب عليا الخلافة بعدي فهو كافر
وقد حارب الله ورسوله ومن شك في علي فهو كافر ومن عجب
أمرهم قولهم بكفر بني حنث حيث تمنعوا من أداء الزكاة
لأبي بكر واستحلوا ذلك دماءهم وأموالهم ولم يكن حرب
معاوية لعلي موجبا لكفره مع أن فيه منع الزكاة أيضا فلا يحمل
الماء الزكاة لمن يحاربه قطعا وعلي قد صحت إمامته عندهم كأبي بكر
واعجب من ذلك ذهاب جماعة ممن فحول علمائهم إلى
اسلام يزيد بن معاوية وتحريم لعنه وقد حكى ذلك عن الفزالي

والماتولي وابن الصلاح وغيرهم واختاره في الصواعق هذا مع ما كان منه من تخريب المدينة وإباحتها لمسكره أياما حتى اقتضى فيها نحو من ثلاث مائة بكر وقتل أولاد المهاجرين والأنصار ومنهم من دخول المسجد حتى أنه بهجره كانت تدخله الكلاب وتبول فيه وقد امتنع قائده من قبول البيعة من أهلها إلا على أن يكونوا عبيدا ليزيد وقد قال النبي (ص) المدينة حرم من غير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثا أو أوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وقد رواه في البخاري وحكي عن مسلم أيضا ومن هدم الكعبة وأحرقها بالنار إذ اعتصم فيها ابن الزبير ومن أمره بقتل الحسين وأهل بيته وأصحابه وليس لهم على وجه الأرض من شبيهه ورسول الله يقول حسين مني وأنا من حسين وقال فيه وفي أخيه الحسن (ع) إنهما ريحان شاه من الدنيا وقال إنهما سيدي شباب أهل الجنة وقال ابن أبي هذان إمامان قاما أو قعدا وقال من أحبني وأحبهما وأباهما وأمهما دخل الجنة وقال أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وهذه الأخبار ونحوها مما قد اتفق على نقله السنة والشيعة فهي من القطعيات بل لأهلها ضرورة وبعد فإن الحسين (ع) من أهل

البيت المطهرين من الرجس ومن اولي القربى المفروض من
الله سبحانه مودتهم وكيف يمكن أن يكون حربهم حرب
النبي (ص) ولا يكون المحارب له كافرا هذا مضافا إلى
قوله (ص) من حمل علينا السلاح فليس منا وقد رواه البخاري
في صحيحه في كتاب الفتن بطريقتين ودعواهم ان يزيد لم
يأمر بقتل الحسين (ع) يدفعها انه لو لم يكن ذلك بأمره
ورأيه لأخذ بثأره او لقاده وبأصحابه ولكان عزل ابن زياد
عن عمله وبعد فمات معنى تسيير ابن زياد نساء الحسين وصبيته إلى
يزيد وفيهم زين العابدين والروثوس بين ايديهم منشورة على
الرماح وقد ادخلوهم عليه صربتين بالحبال وقد جمع اهل
الشام إعلاما بسروره وبما فتح الشيطان عليه وقد وضع الرأس
الشريف في طشت بين يديه وجعل يقلبه بقضيب كان في يده
وينكت ثناياه ونهاه عن ذلك بعض من حضر من المسلمين
واستعظم ذلك بعض من حضر من اهل الكتاب كما هو
مستور في محله ومع ذلك فهو معلوم مشهور عند الخاصة
والعامة وايضا فقد انشد اذ ذلك

ليت اشياخي بيدر شهدوا وقعة الخزرج من وقع الأسل

الآيات المروفة وهي لابن الزبيري وزادها ما هو صريح بالكفر وهو قوله

لجبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
وهذا أيضا مشهور وقد استفاض نقله بين المؤرخين فهل ترى
بعد ذلك وجهها للقول بإسلامه ومن الغريب قولهم بأن الحسين
رجل مسلم فقتله فسق لا كفر بعد ما عرفت من قول النبي
(ص) ليس منا من حمل السلاح علينا وقوله (ص) حربكم حربي
واغرب منه قولهم بأن يزيد متأول إذا كيف يمكن الاجتهاد في
قبال النص وهل هو خيئة إلا مخالفة لرسول الله وكيف يعقل
التأويل في قتل من طوره الله في كتابه وأوجب على المسلمين
مودته ووالا لله وشهد له النبي (ص) بالإمامة وبأنه سيد
شباب أهل الجنة وهذا مما لا يمكن أن يخفى على يزيد ولا على
غيره من وجوه المسلمين إن لم يكن معلوما عند عامةهم مضافا
إلى تكرار الوصية من النبي (ص) بأهل بيته والتحذير من
أيذائهم وقتلهم على وجه شاع ذلك وأصبح لدى الكل كالشمس
هذا ولم لا يقولون بالتأويل في قتل عثمان مع أنه لم يكن من
النص والوصية في شأنه ما كان في شأن الحسين بل ولا بعضه

على ان التأويل هنا ظاهر الوجه للأحداث التي كانت منه
مغايرة لسنة النبي (ص) وسيرة الشيخين وهي التي دعت
إلى قتله وقد احتج بها من قتله وخرج عليه كما لا يخفى على من
اقتفى الأثر ومن عجيب امرهم اجماعهم على عدالة جميع الصحابة
وقال في الصواعق عن الأنوار ان عددهم عند قتله النبي
(ص) مائة واربعة عشر الف صحابي هذا مع ما يتاونه في كتاب
الله تعالى (ومن اهل المدينة مردوا على النفاق) وقوله (وما محمد
الا رسول قد خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم
على اعقابكم) وقول النبي (ص) لتبهن سنن من كان قبلكم
شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو دخلوا في جحر ضب
لا تبتموهم قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى قال فمن اذن
وقوله (ص) لا تجمعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض
وقوله (ص) انكم محشورون حفاة عراة وانه سيجاء برجال من
امتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فاقول اصحابي فيقال انك لا
تدري ما احدثوا بعدك انهم لم يزالوا مرتدين منذ فارقتهم وقوله
بينما انا على الخوض اذ مربكم زمرا فتفرق بكم الطريق فاناديكم
الا هلموا إلى الطريق فينادي مناد انهم بدلوا بعدك فاقول

الاسحق الاسحقا وقوله (ص) يرد علي يوم القيامة رهط من اصحابي فيجادون عن الخوض فأقول يا رب اصحابي فيقال انك لا علم لك بما احدثوا بمالك انهم ارتدوا على ادبارهم القهقري حتي هذا عن تفسير الشلبي بسنده إلى ابي هريرة إلى غير ذلك من الأخبار المتفقة في هذا المعنى وقد رواها البخاري ومسلم في الصحيحين ولا ريب بأن المراد بها العموم من حيث المجموع لعدم انقلاب الكل قطعا هذا مع ما كان من كثير منهم من الأفاعيل والموبقات وما وقع بينهم من التشاجر حتى استحلوا دماء بعضهم واستباحوا الأموال وغير ذلك مما يقف عليه المنتبع ولا يمكن القول معه بمعدالة الفاعل الا برفع اليد عن الشريعة الإسلامية واعجب من ذلك حملهم ما رووه عن النبي من قوله اصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم على عموم الصحابة ومنهم الزاني والكاذب والباغي وغير ذلك مما لا يخفى على من تتبع الأثر ولازم قولهم هذا جواز الاقتداء بهم في مثل ذلك ايضا واعجب منه قولهم ان النبي (ص) قال اختلاف اصحابي لكم رحمة وما تفتنوا إلى ان لازم ذلك كون اتفاقهم نعمة واعجب من ذلك تحريمهم

البحث فيما كان من الصحابة والصحابة انفسهم لم يحسروا ذلك بل كانوا ينالون من بعضهم بذكر ما كان منه هذا مع تجويزهم البحث في احوال الانبياء والمرسلين وقد جوزوا عليهم القبائح قبل النبوة بل وبعدها عند جماعة منهم عدا الكذب ونسبوا اليهم امورا لا تليق بمقام وجوه المؤمنين فضلا عن الانبياء ولم يجوزوا مثل ذلك في الصحابة وقالوا لا يدخل الجنة من ينتقص احدا منهم وليس بمسلم من روى قبيحا عنهم وما ادري ما الذي دعاهم إلى ذلك وحملهم على ما هنالك مع أنه لم يقم عليه دليل والأصل يقتضي التحليل والبيان شاهد على كفر البعض وفسق الكثير والمقام لا يسع التفصيل ومن عجب امرهم تحريمهم قراءة مقتل الحسين حكاة في الصواعق عن الانوار مع أن الأصل يقتضي الجواز ولا دليل على المنع على ان فيه ذكرى لمناقبه على أن ذلك من لوازم الحب ومن حق الموالاة وقد كان اهل البيت يقرأونه ويأصرون شيعتهم بذلك وفعل اهل البيت وقولهم حجة واعجب من ذلك تحريمهم البكاء على الحسين (ع) واهل بيته والأصل يقتضي الجواز وقد كان مشروعا في

الشرائع السابقة ولم يرد في شرعنا ما ينافيه بل الثابت عن النبي (ص) انه حزن على خديجة وعمه ابي طالب وسمى ذلك العام عام الحزن واصر فاطمة ان تبكي عمها حمزة بعد رجوعه من أحد وكانت نساء المدينة تبكي قتلاهن فسمع الصبيحة فقال ما هذا قالوا نساء يبكين قتلاهن فقال لكن حمزة لا يواكي له ثم ارسل إلى فاطمة سلام الله عليها ان تبكيه وبكى على ولده ابراهيم وقال يخشع القلب وتدمع العين وانا عليك يا ابراهيم لحزونون وبكت سيدة النساء فاطمة (ع) عليه ليلا ونهارها حتى التمس اهل المدينة من علي ان تبكي الليل أو في النهار فأجابهم إلى ذلك وبني لها بيتا في البقيع كانت تبكي فيه نهارا وتبكي في بيتها ليلا وكانت إذا زارت قبر ابيها تأخذ من ترابه وتشمه وتقول

ماذا علي من شم تربة احمد أن لا يشم مدى الزمان غواليا
صبت علي مصائب لو أنها صبت علي الأيام عدن لياليا
ولم تزل كذلك حتى لحقت به صلى الله عليه وعليها وحزن

لذلك امير المؤمنين ويعسوب الدين وبكى عليها وقال
ارى عال الدنيا عالي كثيرة وصاحبها حتى المات غليل

لكل اجتماع من خيلين فرقة وكل الذي دون المئات قليل
 وإن افتقادي فاطما بمد احمد دليل على ان لا يدوم خليل
 وبكاء الحسينان والهاشميون عندما عمده ابن ملجم بالسيف
 وبكى الحسين على اخيه الحسن وانشد الشعر المشجعي وبكى
 زين العابدين على الحسين اربعين سنة كان إذا أتى بطعامه
 لا يتناوله حتى يبله بدموعه وكذا إذا جئ إليه بالشراب وكان
 أهل البيت عموما شأنهم النوح والبكاء وكانوا يجلسون لذلك
 مجالس وكانوا يكلفون شعراء شيعتهم ان يرثوا الحسين (ع)
 كما اتفق لارضا (ع) ومع دعبل وغيره مع غيره وقد تلت ذلك
 عنهم شيعتهم واتباعهم ولم ينزلوا عليه جبالا بمد جيل وهذا مضافا
 إلى ما رويته ورويناها ايضا من ان السبا بكنت على الحسين
 وبكاؤها حمرتها حي عن صحيح مسلم وتفسير الثعالب وعنه
 ايضا بإسناده عن ابن سيرين قال اخبرونا ان الحمرة التي مع
 الشقيق لم تكن حتى قتل الحسين وعنه ايضا بإسناده إلى سليم
 القاضي قال امطرنا دما يوم قتل الحسين وفي الصواعق عن
 الحافظ في دلائل النبوة عن نصرة الأزدية قالت لما قتل
 الحسين (ع) امطرت السماء دما فأصبحنا وجرا دما مملوءة دما

وكذا روي في احاديث غير هذا ومما ظهر يوم قتله ايضا ان السماء
اسودت اسودادا عظيما حتى روئيت النجوم وانه لم يرفع حجر
الا وفار من تحته دم عبيط انتهى وعن مسند ابن حنبل
باسناده إلى الحسين (ع) أنه قال من دمعت عيناه فينا دمة
او قطرت عيناه فينا قطرة بواه الله عز وجل الجنة وهو من
العترة التي يجب التمسك بها كالقرآن وقد اعتمدوا في ذلك
على ما رواه عمر (رض) عن النبي (ص) انه قال ان الميت
ليعذب ببكاء اهله ولا ينخفي قصوره عن معارضة ما ذكرنا
مضافا إلى بطلانه في نفسه بخالفته لكتاب الله حيث فيه
(ولا تزدوا زواجر اخرى) وغير ذلك مما دل على عدم موافقة
الإنسان بفعل غيره ولا استقلال العقل بقبح الظلم وتمذيب
الميت ببكاء اهله ظلم قطعا والله سبحانه منزّه عنه وعن عائشة
انها خطأته وقالت ان النبي صر على جماعة من اليهود يبكون ميتا
لهم فقال ان الميت يعذب وهم يبكون وكيف كان فكان
الأولى بهم الجري على سنن الحب والمواالة من مساواة
اهل البيت في مصابهم قال الصادق (ع) رحم الله شيعة فإنيهم
يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا وقال الرضا (ع) يا ابن شبيب

إن كنت باكياً لشيء فابك الحسين (ع) فإنه ذبيح كما يذبح
 الكبش وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً ما لهم في
 الأرض شبيهه ولقد بكت السماوات لقتله إلى أن قال يا ابن
 شبيب إن سرك أن تكون معنا في الدرجات العلى فاحزن
 لحزننا وافرح لفرحنا وعليك بولايتنا فلو أن رجلاً أحب حجراً
 أحسنه الله معه وقال أير المؤمنين (ع) إن الله أطلعني إلى
 الأرض فاختارنا واختار لنا شيعته ينصروننا ويفرحون لفرحنا
 ويحزنون لحزننا ويبدلون أموالهم وأنفسهم فينا أو لك منا
 وإنا رواه في الجزء العاشر من البحار وأنا لنشكر الله سبحانه
 إذ وفقنا لموالاتهم والتسليم لفضلهم ونسأله أن يزيلنا بهم السعادة
 الأبدية كما وعدنا قال رسول الله (ص) من سره أن يحيى حياته
 ويموت مماتي ويدخل جنة عدن فليتول علياً والأوصياء من
 بعده وليسام لفضلهم فانهم الهداة المرضون اعطاهم الله علمي
 وفهمي وهم عترتي من حمي ودمي إلى الله اشكوا عدوهم
 من امتي المنكرين لفضلهم القاطعين فيهم صلاتي والله ليقتلن
 ابني فلا اتألم الله شفاعتي ذكره في البحار بإسناده وقد أخرج
 الطبراني بإسناده حكاه في الصواعق عن النبي قال يا علي

مستقدم انت وشيعتك على الله راضين مرضيين ويقتدم عدوك
 غضابا مقمحين وحكى ايضا عن الحافظ باسناده عن ابن عباس
 في نزول قوله تعالى (ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات اولئك
 هم خير البرية) أن النبي (ص) قال لعلي (ع) هو انت وشيعتك
 تأتي انت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ويأتي عدوك غضابا
 مقمحين اي ايديهم مغلولة إلى اعناقهم فقال ومن عدوي قال من
 تبرأ منك ولعنك وعن مسند ابن حنبل باسناده ان عليا شكى الى
 النبي (ص) حسد قريش له فقال اما ترضى أن تكون رابع اربعة
 اول من يدخل الجنة وانا وانت والحسن والحسين (ع)
 وازواجنا عن ايماننا وشهائنا وذرياتنا خلفنا وشيعتنا من ورائنا
 وقد روى الديلمي في كتاب الفردوس باسناده حكاه في
 الصواعق وغيرها عن ابي سعيد الخدري عن النبي (ص)
 انه قال في قوله تعالى (وقفوهم إنهم مسئولون) عن ولاية
 علي واهل بيته وعن المناقب للمغازي باسناده عن انس بن
 مالك قال قال رسول الله (ص) إذا كان يوم القيامة ونصب
 الصراط على شفير جهنم لم يحز عليه إلا من معه كتاب ولاية
 علي بن ابي طالب وعنهما بطريق آخر عن ابن عباس عن النبي

قال تردون علي يوم القيامة على الخوض فلا يدخل الجنة إلا من جاء بجواز من علي بن أبي طالب (ع) وعنهما بإسناده عن أنس بن مالك قال قال النبي (ص) يدخل من امتي الجنة سبعون ألفاً لا حساب عليهم ثم التفت إلى علي فقال هم شيعتك وانت إمامهم وعنهما بإسناده عن علي (ع) قال قال لي رسول الله (ص) يا علي إن شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على مابهم من العيوب والذنوب ووجوههم كالقمر ليلة البدر وقد فرجت عنهم الشدائد وسهلت لهم المسوارد و أعطوا الأمن والأمان وارتفعت عنهم الأحزان يخاف الناس ولا يخافون ويحزن الناس ولا يحزنون إلى غير ذلك من الأخبار وقد دلت بصراحة على نجاة الشيعة وسعادتهم بموالاة أهل البيت صلى الله عليهم وصح بها أيضاً أنهم متبعون والناس اتباع لهم سواء الصحابة وغيرهم إذ معنى شيعة الرجل أتباعه فشيعتهم أتباعهم اللازمون لطريقتهم والمقتفون لأثارهم وهذا هو معنى الإمامة التي اثبتناها لهم على أنه صرح النبي (ص) بها لعلي (ع) في جملة من الأخبار المروية من طرق السنة وإذا صحت له صحت لولده بالإجماع

إذ كل من قال بثبوتها له أولاً ساقها إلى ولده من بعده ومن
تلك الأخبار ما حكى عن المناقب للحمازلي بإسناده عن انس
ابن مالك قال كنت عند النبي (ص) فرأى علياً مقبلاً فقال انا
وهذا حجة على امتي يوم القيامة وعنها بإسناده عن سلمان (رح)
عن النبي (ص) قال كنت انا وعلي نوراً بين يدي الله تعالى
يسبح الله ذلك النور ويقدمه قبل ان يخلق الله آدم بأربعة
عشر الف عام فلما خلق آدم ركب ذلك النور في صلبه فام
يزل شيئاً واحداً حتى افترقنا في صلب عبد المطالب ففي النبوة
وفي علي الخلافة ورواه الديلمي في الفردوس بإسناده عن
سلمان حكاة ابن البطريق في الممعة وعنها بطريق آخر عن
جابر قال النبي (ص) إن الله عز وجل انزل قطعة من نور
فأسكنها في صلب آدم فساقتها حتى قسمها جزأين فجعل جزء في
صلب عبد الله وجزء في صلب أبي طالب فأخرجني نبياً وأخرج
علياً وصياً وعن مسند ابن حنبل بإسناده عن سلمان (رح) قال
النبي (ص) كنت انا وعلي نوراً بين يدي الله قبل أن يخلق آدم
بأربعة عشر الف عام فلما خلق آدم قسم ذلك النور جزأين
فجزء أنا وجزء علي وهو دال على المساواة وقد انتفت النبوة

عن علي بالنص والإجماع فيبقي ما عداها ومن جملة الإمامة
وعنه أيضا بإسناده عن عمر بن ميمون قال اني جالس الى ابن
عباس إذ اقبل تسمة رهط وساق الحديث إلى أن قال قال
ابن عباس وخرج في غزاة تبوك يعني النبي فقال علي اخرج
معاك فقال له لا فبكى علي فقال الا ترضى ان تكون مني
بمنزلة هارون وموسى (ع) الا انك لست بنبي أنه لا ينبغي
ان اذهب الا وانت خليفة قال وقال رسول الله (ص) انت
ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنه وعنه أيضا بإسناده عن علي (ع)
قال لما نزلت هذه الآية (وانذر عشيرتك الأقربين) جمع
النبي (ص) اهل بيته فاجتمع ثلاثون رجلا فأكلوا وشربوا ثم
قال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في
الجنة ويكون خلفتي إلى ان قال فقال علي أنا ورواه أيضا
بطريق آخر إلا ان فيه دعا اربعين رجلا من اهل بيته وعن
تفسير الشنبلبي بإسناده عن البراء قال لما نزلت وانذر
عشيرتك الأقربين وساق الحديث إلى ان قال فقال
يا بني عبيد المطالب أنا النذير اليكم من الله تعالى والبشير
جنتكم بالدنيا والآخرة فأسلموا واطيعوني تهتدوا ومن يؤاخي

ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي ويقضي ديني فسكت
 القوم واماد ذلك ثلاثا كل ذلك يسكت القوم ويقول علي
 أنا فقال أنت فقاموا وهم يقولون لأبي طالب اطع ابنك فقد
 اصره عليك وعن المناقب باسناده عن ابن مالك قال انقض
 كوكب علي عهد رسول الله (ص) فقال انظروا الى هذا الكوكب
 فمن انقض في داره فهو الخليفة من بعدي فنظروا فإذا هو قد
 انقض في منزل علي (ع) فأزل الله تعالى (والنجم إذا هوى
 ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا
 وحي يوحى) وعن المناقب ايضا باسناده عن عبد الرحمن بن
 اسعد بن زرارته الأنصاري عن النبي (ص) قال لما اسري بي
 الى السماء إذا قصر من ياقوتة حمراء فاوحى الي في علي أنه
 سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الفر المحجّلين ولا يمكن حمل
 هذه الأخبار على استخلاف النبي (ص) لعلي (ع) بعده في
 الجملة كي لا ينافيها الاستخلاف غيره قبله لأنه لم يستخلف
 غيره قطما وإذا اضطر القوم الى الاجتماع في السقيفة والاستخلاف
 برأيهم ودعوى النص على ابي بكر من جماعة من الأشاعرة
 لتحل على أنه لم يصح عندنا بل استقلوا بروايته فهو غير مسلم

إذ لو كان حقا لرواه الفريقان كهذه النصوص مضافا إلى أن هذه الأخبار تأتي بنفسها التقديم عليه من حيث ظاهر الحال أولاً ولذا قال بنو عبد المطالب لأبي طالب اطع ابنك فقد امره عليك فلم يفهموا أنه الخليفة بعده بلا فصل لما كان له وجه ومن حيث قرنه بقول وصيي ويقض ديني ومعلوم أن الوصي يقوم مقام الموصي عند موته فكذلك ما قرن به وهو كونه خليفة لاتحاد المساق ومن حيث قوله يؤازرني في بعضها فإن الوزارة تقضي بأن عليا أقربهم إليه وأولاهم بالقيام مقامه كما لا يخفى ومن حيث جملة كبارون (ع) في بعضها وهارون لا يجوز أن يتقدم عليه أحد من الأمة لمصحته وكونه شريكا لموسى في الأمر ومن حيث ساواه بنفسه في كونهما نوراً واحداً وانقسم جزأين كما اشرنا إليه عند ذكر الخبر ولأن قوله (ص) في حديث النور في النبوة وفي علي الخلافة نص في امتيازهما على الخلق وإن هذه المزية لهما خاصة في زمانهما لا يشر كهما فيها أحد وفيها وجوه آخر لا تخفى فالمجب من جملة هذه الأخبار كيف صرفوا الخلافة عن علي مع اعتنائهم بها واعترافهم بصحتها أفلا تدبروها والأعجب قولهم منع ذلك بتفضيل

الشيخين علي علي هذا مع ما نص الله عليه في آية المباهلة من أنه نفس رسول الله (ص) وأكد النبي (ص) بقوله علي مني وأنا من علي وفسره بقوله كنت أنا وعلي نورا بين يدي الله الحديث وقرره بقوله (ص) لا يحل لمسلم أن ينظر الى مجردي وعورتي إلا علي كما عن المناقب بأسناده ورواه بطريق آخر أيضا إلا أنه لم يذكر العورة فإن اختصاصه بجواز نظره الى بدن النبي (ص) وعورته دون ابنائه نص في أنه نفسه يحل له ما يحل له ويحرم عليه ما يحرم عليه وإذا صح أنه نفس رسول الله فكيف يمكن أن يدانيه احد في الفضل وأيضا فقد روي في المناقب بأسناده علي ما حكى عنها عن جابر قال اخذ النبي (ص) بعضه علي وقال هذا امير البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله ثم مد صوته وقال أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب اقول الشيخان من البررة فهو اميرهما بنص النبي (ص) ولا ريب بقصورهما عنه والا لقبح تأميره عليهما وعنهما بأسناده عن انس قال النبي (ص) من احب أن ينظر الى علم آدم وفقه نوح فلينظر الى علي بن ابي طالب وهو دال على احاطته بالأشياء بدليل قوله تعالى (وعلم آدم الاسماء

كلها) وعليه فاللازم تفضيله على الملازمة كآدم حيث لم يعلموا
 كما علم ولا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وعن
 صحيح البخاري بإسناده عن النبي (ص) أنه قال رحم الله
 عليا اللهم ادر الحق معه حيث دار وقد روي نحوه في غيره
 ولا ريب باستجابة دعاء النبي (ص) فالحق لا يفارق عليا
 ولا زمة العصمة وقد دل عليها بقوله (ص) ان حافضي علي يفتخر ان
 على الحفظة لكونهما معه وانها لم يصمدا الى الله منه بشي
 يستخطه رواه في المناقب بطرق متعددة حكاه ابن البطريق
 الاسدي في العمدة ومن المعلوم انتفاء العصمة عن الشيخين
 بالاتفاق وما ليس بمصوم لا يمكن أن يساوي المصوم فضلا
 عن أن يكون افضل منه وايضا فقد علمنا أن النبي (ص) منع
 المهاجرين من سكنى المسجد واصر بسد الأبواب النافذة اليه
 وكانت جماعة منهم ابو بكر وعمر وعثمان والعباس وحزرة اعمام
 النبي (ص) واباح ذلك لمي ولم يسديابه وقال له لك في هذا
 المسجد مالي وعليك ما علي ولو لم يكن له امتياز عليهم في
 الدين والطهارة لقبح اختصاصه بهذه المنزلة دونهم واحتمال
 كون ذلك من حيث قربه للنبي (ص) في النسب يدفعه ان حمزة

والعباس عماه فهما اليه اقرب هذا اولاً وثانياً أن تخصيصه لم يكن إلا عن امر الله تعالى فلا بد ان يكون لفضل فيه لقوله (إن اكرمكم عند الله اتقاكم) ولقوله تعالى في ولد نوح (ع) (انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح) مضافاً الى ان في الأخبار الناقلة ذلك تصريحاً بالأفضلية وقد فهمها الصحابة ايضاً ولذا تكلموا في ذلك وقال قائلهم وراجع بعضهم النبي (ص) فمن مسند ابن حنبل باسناده عن زيد بن ارقم قال كان لنفر من اصحاب رسول الله ابواب شاردة في المسجد فقال سدوا هذه الابواب إلا باب علي فتكلم في ذلك اناس فقام النبي (ص) وحمد الله تعالى وقال أما بعد فإني امرت بسد هذه الأبواب غير باب علي فقال فيه قائلكم والله ما سددت شيئاً ولا فتحتهُ ولكن امرت بشيء فاتبعته وحكي مثله عن المناقب باسناده عن البراء بن عازب وعنها بالاسناد عن سعد بن ابي وقاص قال امر النبي (ص) بسد الأبواب فسدت وترك باب علي فأثاه العباس وقال سددت ابوابنا وترك باب علي فقال ما أنا ففتحها ولا انا سددها وعنها باسناده عن حذيفة الغفاري قال لما قدم اصحاب النبي (ص) المدينة لم تكن لهم بيوت فكانوا

يبيتون في المسجد ثم انهم بنوا بيوتاً وجعلوا ابوابها في المسجد
فبعث النبي (ص) ابن جبل إلى أبي بكر فقال إن الله يأمرك
أن تخرج من المسجد وتسد بابه الذي فيه فقال سمعاً وطاعة
ثم ذكر أمره لعمر وعثمان وحزمة بمثل ذلك وجوابهم بالسمع
والطاعة إلى أن قال وكان النبي بنى بيتاً لملي في المسجد بين
أبياته فقال له اسكن طاهراً مطهراً فبلغ حزمة قول النبي (ص)
فقال يا محمد تخرجنا وتمسك غلمان بني عبد المطلب فقال لو كان
الأمر إلي ما جعلت دونكم من أحد والله ما أعطاه إياه إلا الله
تعالى وإنك لملي خير من الله ورسوله أبشر فبشره فقتل يوم
أحد شهيداً ونفس بذلك رجال على علي فوجدوا في أنفسهم
لتبين فضله عليهم وعلى غيرهم فبلغ ذلك النبي (ص) فقام خطيباً
فقال إن رجالاً يجدون في أنفسهم في أن اسكن علياً المسجد
والله ما أخرجتهم ولا أسكته إن الله عز وجل أوحى إلى
موسى وأخيه (ع) (أن تبوأ لقومكما بمصر بيوتاً واجملوا بيوتهما
قبلة واقموا الصلاة) وأمر موسى (ع) أن لا يسكن مسجده
ولا ينكح فيه إلا هارون وذريته وإن علياً مني بمنزلة هارون
من موسى وهو أخي دون أهلي ولا يحل مسجدي لأحد

ينكح فيه النساء إلا عليا وذريته فمن ساء ذلك فهنا واوصى
بيده نحو الشام قلت اشار بكلمة (هنا) إلى الشام حينما كان
فيها الروم اي فليكن روميا اشار بذلك الى ما يكون من معاوية
وخروجه عليه بأهلها ظالما له فكأنه قال من وجد عليه منكم
فليلق بالشام ليكون مع معاوية وفي هذا الخبر دلالة لقوله
فيه اسكن طاهرا على ان الموجب لتخصيص علي بهذا الأمر
زيادة الطهارة فيه والتمكن من الدين على وجه صلاح لأن
يكون شريك رسول الله في المسجد له ماله فيه وعليه ما عليه
ولست تلك الزيادة إلا العصمة إذ القوم كلهم بررة لاسيما اعمام
النبي والمشايع الثلاثة وليس فوق ما هم فيه سواها على أن
ثبوتها معلوم بثبوتها لهارون (ع) وهو مثله في كل شيء عدا
النبوة وعن المناقب باسناده الى نافع مولى ابن عمر سأل عن
عن خير الناس بعد النبي (ص) فقال ما أنت وذاك لا أم لك
ثم قال استغفر الله خيرهم بعد النبي من كان يحل له ما يحل له
ويحرم عليه ما يحرم عليه قلت من هو قال علي سد الأبواب
وترك بابه وقال لك في هذا المسجد ما لي وعليك ما علي وأنت
وارثي ووصي تقي ديني وتنجز مواعيدي وتقاتل على مني

كذب من زعم انه يبغضك ويحبني وعنه بإسناده عن رقبه عن
 ابيه عن جده عبد الله قال اتى عمر رجلان فسألاه عن طلاق
 العبد فانتهى الى حلقة فيها رجل اصلع فقال يا اصلع كم طلاق
 العبد فقال باصبعيه هكذا وحرك السبابة والتي تليها فالتفت
 عمر اليهما وقال اثنتين فقال احدهما سبحان الله جئناك وأنت
 امير المؤمنين فسألناك فجئت الى رجل ما كلمك فقال ويحك
 او تدري من هذا هذا علي بن ابي طالب سمعت رسول الله
 يقول لو وضعت السماوات والأرض في كفة وإيمان علي في
 كفة لرجح إيمان علي (ع) ومن عجب امرهم أنهم رَوَوْا عن
 النبي (ص) قوله ستفترق امتي على ثلاث وسبعين فرقة واحدة
 ناجية والباقيون في النار واعترفوا بصحته ورووا قوله (ص)
 مثل اهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه من ركبها نجا
 ومن تخلف عنها غرق واعترفوا بصحته ولازم ذلك كون
 الفرقة الناجية هي التابعة لأهل البيت المقتدية بهم في الأمور
 الدينية والأحكام الشرعية للنص على هلاك المتخلف عنهم
 ويدل على ذلك ايضا حديث الثقلين المشهور بين الفريقين حيث
 قرنهم النبي (ص) فيه بالكتاب الذي لا يأتيه الباطل من

بين يديه ولا من خلفه ونص على نفي الضلال عن تمسك بهم
وبه وقال انها لن يفترقا حتى يردا عليه الخوض ومع ذلك
لا نراهم اعتمدوا عليهم في مسألة ولا رجعوا اليهم في حكم
بل عدلوا عنهم الى الفقهاء الأربعة اتخذوا اقوالهم ديننا دونهم
مع أنه لم يرد في الرجوع الى من رجعوا اليهم رواية ولا ذات
عليه آية هذا مع علمهم بأنهم لم يأخذوا ما افتوا به عن اهل البيت
بل كانوا مواريين للمعاصرين منهم كما لا يخفى على من اقتفى الأثر
ونظر في السير نعم استندوا الى ما فهموه من الكتاب وما رووه
من السنة مع أن فيهما المجهل والمبين والمحكم والمتشابه والمطلق
والمقيد والناسخ والمنسوخ ولم يجتمع علم ذلك لغير الائمة من
اهل البيت لاخبار النبي بأنهم لا يفارقون الكتاب وفيه تبيان
كل شيء فيجب أن يكونوا كذلك ولقوله ما علمت شيئا
إلا وعلمته عليا وقوله أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد العلم
فليأت الباب واعتمدوا ايضا على الرأي والقياس ولم يخرج
ذلك عن كونه ظنا والله سبحانه يقول (إن الظن لا يغني من
الحق شيئا) على أن الاحكام الشرعية امور توقيفية لا تصاب
بالمقول ولو وسع المقام زيادة الكلام لأوردت لك امورا

ترك أن القياس بمنزل عن الدين بل لا يمكن الاعتماد عليه
ابدا ولكن الضرورة دعوتهم اليه حيث انتظموا عن اهل البيت
ولم يأخذوا الدر من ممدنه فإلم يجدوه مبينا في الكتاب والسنة
فلا بد لهم من استعمال الرأي فيه ليتم الدين ويكمل الشرع
والله سبحانه يقول (اليوم اكملت لكم دينكم) وما ادري بماذا يمتذرون
عن انقطاعهم عن اهل البيت مع ان النبي (ص) صدع بالأمر
في الرجوع اليهم بمبارات شتى كلها تفيد الإلزام المؤكد في
التمويل عليهم كما يظهر ذلك لمن امن النظر في احاديث
الباب والثقلين والسفينة وغيرها وليت شعري كيف يأملون
النجاة مع ذلك وقد نص النبي (ص) على انهم سفينة النجاة
والمتخلف عنهم هالك فإن قالوا بأن المراد من الحديث الحب
والمودة قلنا هذا غير ظاهر من الحديث بل لا يمكن ارادته
منه لأن تشبيههم بالسفينة يقتضي ايجاب الانقطاع اليهم
والاعتصام بهم من ركوب الضلال والبدع والفرق في
طوفان الجهل والأهواء فكانه صلى الله عليه شبه الدنيا بما فيها
من الكفر والإلحاد والجهل ببحر لحي قد احاط بأقطار
الأرض كما احاط بها طوفان فوح (ع) وشبه اهل بيته (ع)

بسفينة نوح في انهم منجى من الفرق في ذلك البحر كما ان السفينة كانت كذلك وعليه فلا تجوز مفارقتهم بحال بل يجب الاعتصام بهم والالتجاء اليهم في كل حال ويرشد إلى ذلك الأمر بالتمسك بهم في حديث الثقلين وجملة ما كالكتاب العزيز الذي هو بيان للناس وهدى للمتمقين وقوله (ص) في حديث الباب من اراد العلم فليأت الباب وغير ذلك من الأخبار التي تقدم شطر منها فإن المناط في الجميع واحد كما لا يخفى على كل مفكر منصف وقد توفق الإمامية من فرق المسلمين إلى الاقتداء بهم على النهج المنصوص عليه في النصوص وقالوا بإمامتهم وعصمتهم وانهم ورثة الأنبياء وعندهم عام ما تحتاج إليه الناس وانقطعوا اليهم في الأمور الدينية والمسائل الشرعية واعتبروا حديثهم كالكتاب لما صرحوا من الأخبار وغيرها مما هو منقول عندهم بطريق التواتر لاجتماعهم على نقله في كل عصر ومصر وقد اعترف المخالف بصحته فحديث اهل البيت عندهم كحديث رسول الله بل هو حديث رسول الله لأنهم خلفاؤه ونوابه فهم لا يقولون إلا بقولهم ولا يصدر عن إلا عن رأيهم وقد اعتنى السلف

منهم يحفظ احاديثهم وتدوينها بالضبط الكامل لفظا وسندا ولم يذهب عنهم شيء منها على كثرتها فقد اقتصروا لأصحاب ابي عبد الله الصادق (ع) اربعمائة مصنف (بالفتح) لأربعمائة مصنف واذا نسب مذهبهم اليه دون من تقدمه من آبائه أو تأخر عنه من ابنائه مع ان قولهم ورأيهم واحد اخذ المتأخر عنهم عن المتقدم وقد اجتهد المتأخرون في جمع ما يتماق بالأحكام الفرعية منها وبوبوه على حسب ابواب الفقه ووضعوا في كل باب ما يناسبه مع الأسانيد الممنوعة واحسن ما الف في ذلك الكتاب المعروف بوسائل الشيعة لمحمد بن الحسن الحر العاملي (رح) فإنه قد اشتمل على جل تلك الأحاديث ان لم يكن كلها وهو عبارة عن ثلاث مجلدات ضخمة وفيه كفاية لمن رزق قوة الاستبصار وقد امتازوا بذلك عن غيرهم من فرق المسلمين كما انهم امتازوا ايضا في تعظيم مشاهدتهم الشريفة واجلالها وترددهم لزيارتها واجتهادهم بالتقرب إلى الله فيها بالأعمال الصالحة رجاء القبول ببركتهم وقد روى الثعلبي في تفسيره باسناده عن بريدة حكاها ابن البطريق في العمدة قال قرأ رسول الله (ص) قوله تعالى (في بيوت اذن الله ان ترفع ويذكر

فيها اسمه) فقال رجل اي بيوت هي يا رسول الله فقال بيوت
الأنبياء فقال ابوبكر (رض) هذا البيت منها يعني بيت علي
وفاطمة (ع) قال نعم من افاضلها وما احسن ما قيل فيه
ليت تقاصر عنه البيوت وطال علواً على الفرقد
تحوم الملائك من حوله ويصلح للوحي دار الندي
وامتازوا ايضا بتزيين مجالسهم بذكر مناقبهم وكراماتهم
وتلاوة تاريخ حياتهم يشب على ذلك الصغير منهم ويفنى عليه
الكبير يرجون في ذلك رضوان الله في تمظيم اوليائه ورضا
رسوله في حفظه بأهله وعترته فنسأل الله سبحانه كما من علينا
بمعرفتهم وهدانا لمواالاتهم ان يحشرنا في زمرةهم مع اتباعهم
ويرزقنا شفاعتهم انه قريب مجيب

إلى هنا تم ما اردناه والله سبحانه المنة في ذلك والفضل وكان الفراغ
من تصنيفه في عصر يوم السبت الموافق للتاسع والعشرين
من شهر رمضان المبارك من السنة الثانية من العشر
الخامس من المائة الرابعة بمدا ألف هجرية على
مهاجرها افضل الصلاة والسلام والتحية

﴿ جدول الخطأ والصواب ﴾

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٥	٣	والخير	والخير
٢٠	٧	ثالث	ثالثا
٢١	٦	صحيته	صحته
٢٦	١٤	لأحدها	لأحدهما
٢٨	١١	وهو	وهو ظاهر
٤٣	١٤	واريد بها العلم	وان اريد بها العلم
٤٥	٢	المقدرة	المقدور
٤٩	١٥	ما في القبر	ما في القبور
٥٠	٨	لا يتطرق	لا يتطرق
٥٣	٢	السطر فيه تقديم والصواب هكذا : جذبت النفس الروح وان لم يأذن بقبضها جذبت الروح النفس	
٥٥	١٤	ومن النقص	من النقص
٦٠	١١	اختباره	اختياره
٦٩	١	التجاهلها	التجاهر بها
٩٨	٥	كما قال	انه قال
١٠٠	٤	في صفصاح	في ضحضاح
١٠٦	٥	وعديني	وعديني ربي
١٢٥	١	البحر	البحار
١٣٧	٨	على سبحانه	على الله سبحانه

صفحة	سطر	خطاً	صواب
١٥٤	٣	لاختبار الامة	لاختبار الامة
١٧٢	١٢	على النبي	عن النبي
١٧٢	١٤	اذا قلنا	الا اذا قلنا
١٩٩	١١	وهيتم	وهينم

﴿ فهرست الكتاب ﴾

صفحة	صفحة
٢	مسألة في حدوث العالم
٦	مسألة في وجود الصانع
٧	مسألة في صفات الصانع
٧	مسألة في الاختيار
٩	مسألة في توحيد الصانع
١١	مسألة في الحسن والقبح
١٢	مسألة في كمال الصانع
١٣	مسألة في الصفات الثبوتية
١٥	مسألة في وصف الله بالكلام
١٥	مسألة في حقيقة الصفات
١٦	مسألة في الصفات السلبية
١٨	مسألة في امتناع الرؤية
٢١	مسألة في امتناع الحلول
٢٣	مسألة في امتناع التثليث
٢٥	مسألة في امتناع الاتحاد
٢٦	مسألة في العدل
٢٦	مسألة في لزوم كون الفعل لغرض
٢٧	مسألة في عدم وجوب
	بيان الغرض
٢٧	مسألة في بيان علة الخلق

صفحة	صفحة
٢٨ مسألة الثواب بالاستحقاق	٦٠ مسألة في خلود الكافر
٢٩ مسألة العقاب بالاستحقاق	٦١ مسألة للملاحدة والجواب عنها
٢٩ مسألة في وجوب اللطف	٦٢ مسألة في دفع الشبهة من تكليف الكافر
٣٠ مسألة في وجوب التكليف	٦٣ مسألة في دفع الشبهة عن خلق الكافر
٣١ مسألة في وجوب الثواب لمستحقة	٦٥ مسألة في وجوب النبوة
٣٢ مسألة في لزوم عقاب الكافر	٦٧ مسألة في فضيلة النبيين
٣٢ مسألة في سقوط العقاب بالتوبة	٦٧ مسألة في عصمة الانبياء
٣٣ مسألة في شروط التوبة	٧٠ مسألة في وجوب تصديقهم
٣٣ مسألة في وجوبها وعدم سقوط الحق بها	٧١ مسألة في طريق ثبوت النبوة
٣٥ مسألة في لزوم الوعد والوعيد	٧١ مسألة في نبوة سيدنا محمد (ص)
٣٥ مسألة في الجبر وامتناعه	٨٤ مسألة في ذكر ما ينافي
٤٥ مسألة في ارادة الله	عصمة النبي والجواب عنه
٤٧ مسألة في انعدام الوجود	٩٣ مسألة يجب الايمان في
٤٨ مسألة في فناء العالم	الانبياء السابقين
٥٠ مسألة في الانسان	٩٤ مسألة في نسب رسول الله
٥٦ مسألة في المعاد	وولادته ووفاته
٥٨ مسألة في اعادة غير الانسان	٩٩ مسألة في ايمان آباءه
٥٩ مسألة في حكم الثواب والعقاب	

صفحة	صفحة
١٥٨ مسألة في حديث الثقلين	٩٩ مسألة في ايمان ابي طالب
وايضاح معناه	وأشعاره وبعض قصص
١٦٤ مسألة في امامة المهدي	١٢٥ مسألة في ايمان عبد المطلب
١٦٥ مسألة في ولادته	وبعض حكايات
١٦٧ مسألة في غيبة المهدي	١٣٣ مسألة في الإمامة
١٦٩ مسألة في دفع الشبهة عن	١٣٥ مسألة في حق الإمام
غيبة المهدي	١٣٥ مسألة في افضلية الإمام
١٧٠ مسألة في ان العلة في غيبته	١٣٧ مسألة في انعقاد الإمامة
الحنوف	بالنص دون الاختيار
١٧١ مسألة في التعبير فوق العادة	١٤١ مسألة في عدة الخلفاء
١٧٤ مسألة في ذكر المعمرين	وانهم من قريش
١٧٥ لقمان وحكمه	١٤٥ مسألة في الرد على الكيسانية
١٧٧ ربيع بن ضبع واكثم بن صيفي	١٤٥ مسألة في الرد على الزيدية
١٧٨ عمرو والدوسي	١٤٦ مسألة في الرد على الواقفية
١٧٩ اروى بن شام	١٤٦ مسألة في الرد على الفطحية
١٨٠ عبيد بن شريد	١٤٧ مسألة في الرد على الإسماعلية
١٨٢ عمرو العاص وغيره	١٤٧ مسألة في الرد على السنة
١٨٣ قس بن ساعدة	١٥٤ مسألة في قول الإمامية
١٨٨ شبهة في خبر الجارود	وموافقته لحديث عدد الخلفاء
والجواب عنها	١٥٥ تنبيه في الاعتذار عن الصحابة

صفحة	صفحة
٢١٨	١٩ سلمان الفارسي وحديث
٢٢٢	اسلامه
٢٢٥	١٩ هود النبي وحديثه
٢٢٦	٢٠ صالح وناقته
٢٢٧	٢٠ عيسى بن مريم وجمله من المسائل
٢٢٧	٢٠ فريب بن ثمال وحديثه
٢٣٠	٢٠ الدجال وحديثه مع النبي
٢٣٣	٢١ حديث امير المؤمنين عن الدجال
٢٤٣	٢١ في تفسير طلوع الشمس من مغربها
	٢١ ادريس النبي وحديثه
	٢١ خاتمة في كيفية الصلاة على النبي
	٢١ في وجوب الاقتداء به أثره
٢١٨	في حكم محارب علي وابنائنه
٢٢٢	يزيد واعنه
٢٢٥	عدالة الصحابة عموما والرد على ذلك
٢٢٦	تحريم البعث في احوالهم والرد عليه
٢٢٧	تحريم البكاء على الحسين والرد عليه
٢٢٧	تحريم قراءة مقتل الحسين والرد عليه
٢٣٠	استحباب البكاء على الحسين
٢٣٣	اثبات امامة علي وافضلته
٢٤٣	حديث تفرق الأمة وبيان الفرقة الناجية

